



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران1 أحمد بن بلة **كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية**

قسم الحضارة الإسلامية **تخصص: حضارة إسلامية**

أهل الذمة في الدولة الزيانية

(633-962هـ/1235-1554م)

دراسة سياسية، اقتصادية، اجتماعية وثقافية

رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الاسلامية

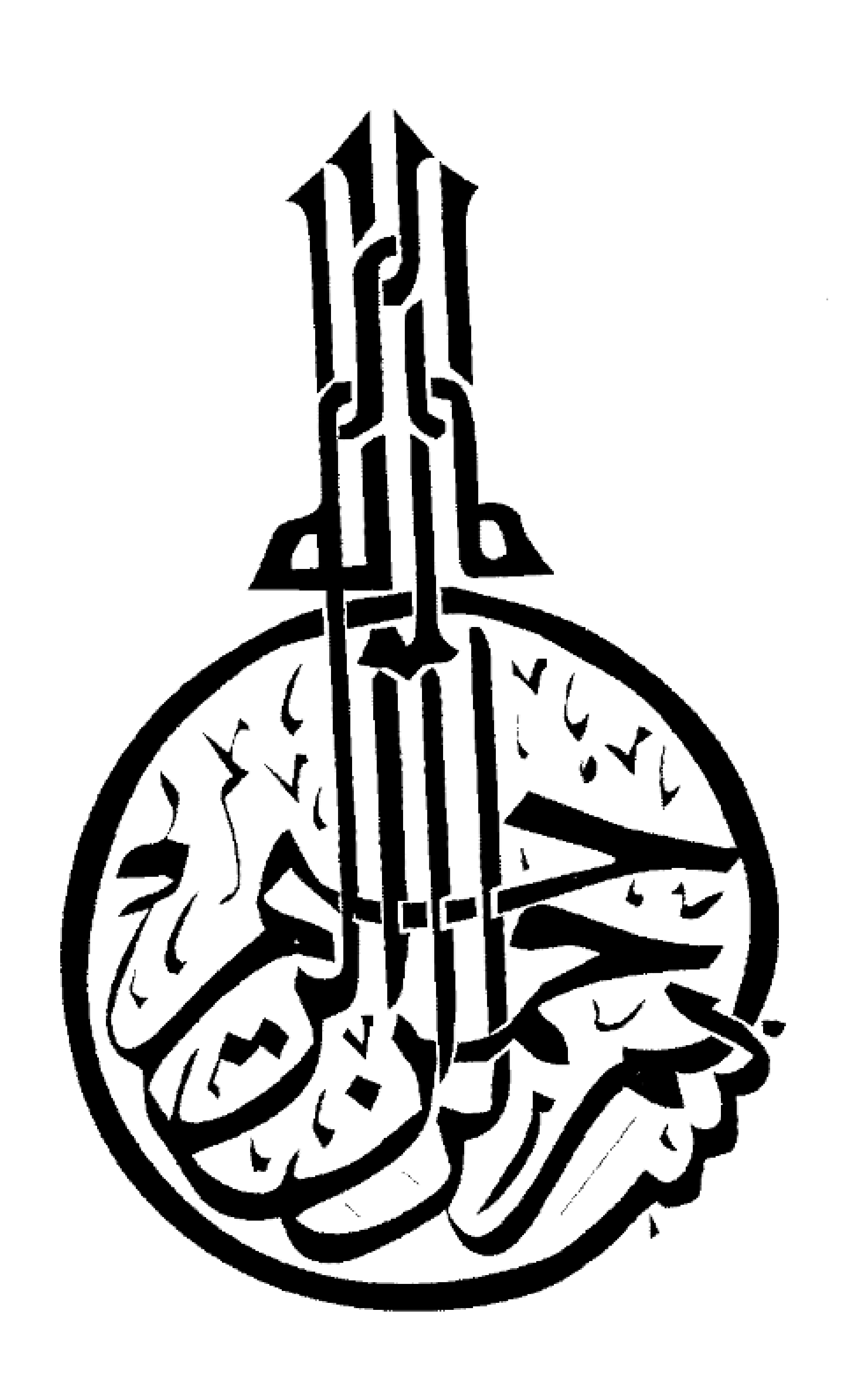
إعداد الطالب: **إشراف الأستاذ:**

عبد الصمد حمزة أ.د.محمد بوركبة

أعضاء لجنة المناقشة:

الأستاذ	الصفة	الجامعة
أ.د. محمد بن معمر	رئيســـــاً	جامعـــــة وهران 1
أ.د. محمد بوركبــة	مشرفا ومقررا	جامعـــــة وهران 1
د. محمد لعبــاسي	عضوا مناقشا	جـامعــــة وهران 1
أ.د. مختار حساني	عضوا مناقشا	جامعـــــة الجزائر2
أ.د. أحمد الحمدي	عضوا مناقشا	جامعـــــــة أدرار
أ.د. بلعربي خالـد	عضوا مناقشا	جامعة سيدي بلعباس

السنة الجامعية 1437-1438هـ/2016-2017م


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

أشكر الله العلي القدير الذي وفقنا لإنجاز هذه الرسالة.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف: أ.د. محمد بوركبة، الذي شرفني بإشرافٍ كريمٍ على هذه الرسالة وكان نعم المعين لي بتوجيهاته وإرشاداته، وأخلاقه الرفيعة، فحفظك الله أستاذنا الكريم وأدام عزك في الدنيا والآخرة.

والشكر موصول إلى كل من مدّ لي يد العون بالكلمة الطيبة والدعاء.

إهداء

إلى والدي الكريمين –حفظهما الله وأدام عزّهما- الذين سهرا على تربيتنا، وكل أملهما أن نبلغ أرقى المراتب.

إلى زوجتي العزيزة التي صبرت على عناء البحث معي، وساندتني.

إلى إخوتي وأخواتي سندي في الحياة.

إلى كل أساتذتي ومن علمني حرفا.

إلى كل أحبابي وإخواني وزملائي.

إلى أحبائي ياسين، أنس، إلياس.

إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد، وكل من له فضل علي.

إلى شهداء الأقصى.

أهدي ثمرة جهدي

المقدمة

تعددت الأسماء التي أطلقت على "الرعايا غير المسلمين"في ظل الدول الإسلامية على مر العصور فأحيانا يسميهم المؤرخون "أهل الذمة" أو"الذميون الفرنجة" أو"المعاهدون" ومصطلحات أخرى قد تشمل النصارى أو اليهود أو كليهما معا بالإضافة إلى المجوس، وخاصة مع اتساع الرقعة الإسلامية وفتح أراضي جديدة في إفريقيا وآسيا وأوربا، وتفضيل سكان هذه الأراضي الانضواء تحت راية الحكم الإسلامي مع الاحتفاظ بدين الآباء والأجداد، ولم يحظ هؤلاء سوى بمعلومات شحيحة خاصة في المصادر التاريخية العربية رغم المكانة التي احتلوها والدور البارز الذي لعبوه في تطور المجتمعات التي عايشوها أو حتى مساهماتهم في تقوية دول وإضعاف أخرى.

وقد لحق فئة الذميين إجحاف كبير من طرف بعض المؤرخين خاصة على عهد المرابطين(448-541هـ/1055-1147م) والموحدين (541-668هـ/1147-1269م)، وتميزت بعض من الدراسات بنظرة أحادية طمست كثيرا من الحقائق وألحقتها برفوف النسيان، رغم المكانة التي تبوأها هؤلاء بالمغرب الإسلامي خاصة إبان حكم المرابطين والموحدين، حيث وصلوا إلى أعلى مراتب الدولة فأضحوا وزراء للسلطان أو قادة للجيش أو الحرس الخاص للأمراء، واستأثروا بأموال وأراض وأملاك واسعة.

وعندما ورثت الدولة الزيانية حكم المغرب الأوسط بعد سقوط الدولة الموحدية، وجد أهل الذمة أنفسهم أمام مثال آخر رائع من أمثلة التسامح الإسلامي مع الآخر، وعاشوا في كنفها يمارسون أشغالهم ويتابعون حياتهم اليومية، وكانت دولة بني عبد الواد من أبرز الدول التي استقبلت جموع المهجرين اليهود من الأندلس في حملات متتابعة نفذها المسيحيون الذين استولوا على الأندلس وقضوا على آخر معاقل الإسلام فيها. وهنا بدأت مرحلة جديدة من مراحل حياة الذميين في المغرب الأوسط.

ولإلقاء الضوء على بعض الجوانب الحياتية لأهل الذمة في المغرب الإسلامي أثناء حكم الدولة الزيانية، وضعنا على عاتقنا دراسة الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للذميين لهذه الفترة في بحثنا الموسوم بـ:

أهل الذمة خلال عهد الدولة الزيانية

(633-962هـ/1235-1554م)

-دراسة سياسية، اقتصادية، اجتماعية وثقافية-

ويتلخص **الإشكال الأساسي** لهذه الأطروحة في سؤال هام وهو :

ما هو الدور الذي لعبه أهل الذمة بالمغرب الأوسط خلال عهد الدولة الزيانية في مختلف الجوانب الحياتية ؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية تساؤلات ثانوية هي:

- هل تمكن أهل الذمة من تبوء مناصب سياسية أو عسكرية إبان العهد الزياني؟

- هل حافظ الذميون في دولة بني عبد الواد على نشاطهم الاقتصادي الذين دأبوا على التفوق فيه خلال العصور السابقة ؟

-كيف كان المستوى المعيشي للذميين في هذا العصر؟

-هل حقيقة أن الذميين كانوا مضطهدين اجتماعيا واقتصاديا كما تصوره بعض المصادر غير العربية؟

-ما هي الخصائص الاجتماعية والاقتصادية لأهل الذمة في دولة العبد الواديين؟

-هل حاول أهل الذمة إنشاء كيان اقتصادي خاص بهم أم أنهم اندمجوا في المحيط الاقتصادي للدولة؟

-كيف كانت الحالة الثقافية والعلمية لليهود والنصارى في هذا العهد ؟

-هل أثرت الهجرات اليهودية للمغرب الإسلامي على الحياة العامة في المجتمع الزياني عموما وعلى إخوانهم في الدين خصوصا ؟

وتعود **أسباب اختيار الموضوع** إلى:

- عدم وجود دراسة شاملة عن أهل الذمة بالمغرب الأوسط في هذه الفترة - على حد علمنا-.
- الرد على بعض الدراسات التي تناولت الموضوع من زاوية ضيقة ولأغراض ذاتية.
- دراسة الدور السياسي لليهود والنصارى في عهد الدولة الزيانية.
- معرفة خصائص أهل الذمة اقتصاديا واجتماعيا في هذا العهد.
- إبراز التفاعل والتأثير الاجتماعي والاقتصادي للذميين على المجتمع طيلة هذه الفترة.
- دراسة الجوانب الثقافية لأهل الذمة ومدى تطور العلوم واهتمامهم بها.

وتكمن **أهمية هذا الموضوع** في:

- إيضاح الغموض الذي لف الحياة العامة لأهل الذمة في الفترة المدروسة ومحاولة الجمع بين بعض المحاولات الغربية لتشويه التاريخ خاصة فيما يتعلق بهذه الفئات والتي حاول بعض المؤرخين تصويرها على أنها مضطهدة ومغيبة تغييبا كاملا في محاولة يائسة لتقديم الحكم الإسلامي لمنطقة المغرب الإسلامي على أنه حكم دول قاسية متشددة متعصبة للعنصر الإسلامي متجاهلة ومتحاملة على الرعايا غير المسلمين، وبين الطرف الآخر وهو المؤرخ العربي –باستثناء البعض- الذي حاول حقيقة تغييب هذه الفئة العريضة من مجتمع العصور الوسطى الإسلامية وإبقائها على هامش التاريخ.
- دراسة الدور السياسي الذي لعبه أهل الذمة في ظل الحكم الزياني للمغرب الأوسط وهل وصلوا إلى تبوء مناصب سيادية كما فعل أبناء جلدتهم في الدولتين الجارتين الحفصية(634-981هـ/1237-

1573م) والمرينية(668-769هـ/1269-1464م) اللتان شهدتا وصولا لبعض الذميين إلى أعلى المناصب في الدولة والتحكم في رقاب المسلمين وفرض أوامرهم وأحكامهم حتى على الحاكم المسلم.

- تبيين الدور الاقتصادي لأهل الذمة خلال عصر الزيانيين وربطه بالتغيرات التي شهدتها المنطقة والفترة المعنية.
- معرفة الحالة الاجتماعية للذميين في هذا العهد، وهل تأثروا بعادات أهل البلاد، أم أنهم حافظوا على تقاليدهم الموروثة عن أجدادهم، وهل انصهروا في المجتمع الزياني، أم بقوا منعزلين في أحيائهم الخاصة؟
- إبراز المكانة الاجتماعية التي احتلها أهل الذمة في دولة بني عبد الواد والنتائج المترتبة على ذلك.
- دراسة الجانب الثقافي لأهل الذمة، ومدى اهتمامهم بالعلوم.

ولدراسة هذا الموضوع **قسّمناه** إلى مقدمة وخمسة فصول منها فصل تمهيدي وخاتمة استنتاجية.

فالمقدمة توضح الإشكالية الأساسية للموضوع وما يندرج تحتها من تساؤلات ثانوية، وأهمية الموضوع وأسباب اختياره وتقسيماته ومنهجية تقديمه والدراسات السابقة ثم تحليل لأهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها الباحث.

و**الفصل التمهيدي** يعتبر مدخلا مفاهيميا للدراسة، إذ خصصناه لدراسة تاريخ الدولة الزيانية، نسبها، نشأتها وحدودها، ومراحلها، ثم عرجنا بنظرة عامة على أهل الذمة قبل الفترة موضوع الدراسة. أصولهم والآراء حول تواجدهم في المنطقة، فئاتهم، ومكانتهم في الدول الإسلامية التي حكمت المنطقة منذ الفتح الإسلامي.

والفصل الأول خصصناه لدراسة الجانب السياسي لأهل الذمة، فتطرقنا فيه إلى الدور السياسي لهم، وأهم السفراء منهم، وبعض الأسماء من المسيحيين أو اليهود الذين عملوا كسفراء بين الدولة الزيانية والدول المسيحية، وكيفية كتابة المعاهدات، ونماذج عن بعضها.

ثم تطرقنا في المحور الرابع من هذا الفصل إلى حركة المغيلي ضد امتيازات اليهود السياسية والاقتصادية والذي تضمن ترجمة لهذا الإمام، ثم سير حركته ضد يهود توات ثم آثار هذه الحركة على المنطقة واليهود.

أما **الفصل الثاني** فتناولنا فيه الدور الاقتصادي لأهل الذمة، حيث بدأناه بالمحور الأول حول الحضور الذمي في النشاط الزراعي والصناعي الذي يتضمن ملكية الأرض ، ومزروعات أهل الذمة، وتطرقنا إلى الرأي القائل بأن اليهود هم أول من حفر الفقاقير التي تعتبر نظاما مطورا للري في الصحراء، بالإضافة إلى تربيتهم للحيوانات، وأهم الصناعات التي احترفوها وتفوقوا فيها ثم المحور الثاني عن النشاط التجاري الذي تضمن التجارة بأنواعها الداخلية والخارجية، وأهم السلع المتبادلة من قبل أهل الذمة سواء كانت صادرات أو واردات، ثم الطرق التجارية البرية منها والبحرية التي سلكها الذميون. وعالج المحور الثالث النظام المالي، وهو عبارة عن دراسة لمساهمة أهل الذمة في مداخيل الدولة الزيانية بما في ذلك المكوس والضرائب أو الجزية، ومن الجانب المقابل نفقات الدولة التي تضمنت ما ناله بعض أهل الذمة أو ملوكهم من أعطيات وهدايا سلطانية بالإضافة إلى رواتب الموظفين بما في ذلك أجور من عمل من أهل الذمة لدى السلطة، ومصاريف أخرى متعلقة بالبناء والتجهيز والحروب. ثم تطرقنا في آخر عنصر من هذا المحور إلى العملة وأهمية الدينار الزياني وقيمته خاصة لدى الدول المسيحية آنذاك، وأهم المعادن المستعملة في سك العملة والعاملون من اليهود في هذا المجال، الذي احتكروه لمدة طويلة.

وفي **الفصل الثالث** نلج إلى الحياة الاجتماعية للذميين خلال عصر بني زيان، فتناولنا المجتمع اليهودي في العصر الزياني في المحور الأول والذي تضمن تركيب المجتمع وتقسيمه إلى يهود أهالي ويهود

الأندلس، ثم مناطق استقرار اليهود المهجرين من الأندلس، وانتقلنا بعد ذلك إلى المناطق السكنية لكل من اليهود والمسيحيين على أراضي الدولة العبد الوادية، والمحور الثاني عن العادات والتقاليد اليهودية بدءا بالطعام والعادات الغذائية لليهود وتقاليد الصوم لديهم والأيام التي يفرض فيها عليهم الصوم، ثم عادات النظافة والطهارة، واللباس، وتناول المحور الثالث من هذا الفصل تنظيم المجتمع اليهودي بالتطرق أولا للمرأة اليهودية، ثم الزواج وأحكامه، بما في ذلك خطوات الزواج وتعدد الزوجات، والزواج المسمى عند اليهود بزواج اليبوم، وبعد ذلك الطلاق، أسبابه وإجراءاته، وننتقل بعد هذا على الختان في الشريعة والتقاليد اليهودية. ويتكلم المحور الرابع عن المواريث التي نقسمها إلى قسمين، المواريث عند التوشابيم والمواريث حسب القانون القشتالي، وآخر محور في الفصل عن التقويم والأعياد اليهودية، وتحدثنا في العنصر الأول عن التقويم اليهودي وتقسيماته، والعنصر الثاني عن الأعياد التي تنقسم عند اليهود إلى أعياد شرعية وأخرى غير شرعية، وأعياد خاصة بيهود المغرب الإسلامي.

وفي **الفصل الرابع** المعنون بالحياة الثقافية لأهل الذمة، درسنا في المحور الأول التربية والعلوم عند اليهود وفيها نظرية التعليم عندهم، وكذا مدارسهم ومضامينها، ثم نماذج تعليمية لعماء يهود، وكان المحور الثاني عن العلوم عند أهل الذمة وقسمناها إلى علوم نقلية وهي التشريع اليهودي والأدب، والعوم العقلية وتتضمن الفلسفة والتاريخ والجغرافيا والطب، وتطرق المحور الثالث والأخير إلى أبرز علماء اليهود في الدولة الزيانية.

وأنهينا دراستنا **بخاتمة** تلخص نتائج البحث والإجابة عن إشكاليته وتساؤلاته والتوصيات المختلفة.

كما حاولنا تجميع بعض النصوص المهمة أو الخرائط والأشكال والصور والرسائل في **ملاحق** منفصلة في آخر الدراسة لتدعيمها وتفصيل بعض ما أجمله البحث.

وعن **المنهج** المتبع في هذا البحث فكان جمعا بين عدة مناهج، فالمنهج التاريخي الوصفي لسرد الوقائع والأحداث، وترجمة الشخصيات، والتحليلي لتحليل النصوص واستخلاص النتائج منها، ومقارنة الأفكار والآراء بعضها ببعض، واستعملنا المنهج الإحصائي في الجانب الاقتصادي.

أما عن **الدراسات السابقة** التي تناولت هذا الموضوع فهي قليلة جدا، خاصة في عهد الدولة الزيانية.

فهناك بعض المؤلفين الذين تطرقوا إلى الحياة الاجتماعية والاقتصادية لأهل الذمة لكن في عصور أخرى غير هذا العصر، وغالبا ما يتم تناوله كنقاط فرعية لا تستغرق إلا صفحات قليلة، وأغلب الدراسات تطرقت إلى العصور السابقة للزيانيين .

ومن القليل من الدراسات التي تطرقت لأهل الذمة في عهد الزيانيين، لكن ليس على سبيل التدقيق ولكنها كانت عامة على منطقة المغرب الإسلامي في تلك الفترة نذكر:

-كتاب اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن هجري، الموافق للرابع عشر والخامس عشر ميلاديين لفاطمة بوعمامة، وشملت القرون (7-8هـ/14-15م) وكانت عامة على الدول الثلاثة الحفصية والزيانية والمرينية، إذ تم التطرق فيها إلى الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والدينية ليهود الدولة الزيانية ولم يستغرق الجانب السياسي إلا صفحات قليلة، لكنها كانت دراسة وافية فيما يخص الجوانب السابقة.

-اليهود في ليبيا وتونس والجزائر لعطا أبو رية، حيث لم يتم التطرق فيها إلى أهل الذمة في الدولة الزيانية إلا قليلا.

وبما أن البحث العلمي لا يخلو من صعوبات، فإن ما واجهنا من عوائق في طريق بحثنا، تمثل في أن كثيرا من الوثائق المرتبطة بتواجد أهل الذمة موجود في مكتبات وأرشيف الدول الأجنبية خاصة منها إسبانيا التي لم نستطع الذهاب إليها في الوقت الحاضر، إضافة إلى أن بعض المؤلفات الخاصة

بتاريخ اليهود وعاداتهم وتقاليدهم وحضورهم في بلادنا كتبت باللغة العبرية، وهو ما صعب من إمكانية الوصول إليها.

نقد وتحليل المصادر:

رجعنا في بحثنا إلى عدد كبير من المصادر والمراجع والوثائق التاريخية والأدبية والجغرافية والفقهية، والاقتصادية، وكتب التفسير والتراجم والنوازل والحسبة، استعملنا كلا منها حسب ما يقتضيه البحث، وأفدنا منها بدرجات متفاوتة، واعتمدنا كذلك على كثير من المصادر والمراجع الأجنبية باللغتين الفرنسية والانجليزية، والمترجم منها من اللغة العبرية، والتي تعتبر شواهد من طرف غير المسلمين، إلا أننا حاولنا التحري في كل ما نأخذه منها.

واستعملنا كذلك بعض المخطوطات، والموسوعات والقواميس بالعربية والفرنسية والانجليزية.

أولا: المصادر التاريخية:

1. "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار البربر والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" المعروف بتاريخ ابن خلدون للمؤرخ عبد الرحمان ابن خلدون: وهو الذي يعتبر موسوعة ضخمة خاصة إذا تعلق الأمر بتاريخ المغرب الإسلامي، لأن مؤلفه كان من أهل المنطقة وعاصر الدولة الزيانية، إذ أن وفاته كانت في بداية القرن التاسع الهجري لذلك فهو شاهد على النصف الأول من حقبة الدولة، وأفدنا منه كثيرا في تاريخ هذه الدولة وعلاقاتها.

2. "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد" ليحي بن خلدون: وهو كاتب السلطان الزياني أبي حمو الثاني، لذلك فهو شاهد عيان على تاريخ هذه الدولة ومقرب من دواليب الحكم عارف بخباياه، رغم أنه اغتيل من طرف ابن مليكه السابق، إلا أن الفترة التي عايشها ودوّن عنها أفادتنا في كثير من تفاصيل تاريخ الدولة، وبعض العلاقات والاتفاقيات مع الدول المسيحية.

3.مجموعة كتب للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي منها "مصباح الأرواح في أصول الفلاح" و"رسالة في اليهود"، واستعنا بها في ترجمة الإمام المغيلي وفتاواه وفتاوى المساندين له في حركته ضد اليهود في إقليم توات.

4."المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب" وهي الموسوعة النوازلية لصاحبها أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، إذ كانت ذات فائدة لنا فيما يخص بعض الأحكام والفتاوى الخاصة باليهود في الفترة المدروسة والفترات السابقة، بحكم أنه كان معاصرا لها.

5."وصف إفريقيا" للمؤلف الحسن الوزان، حيث أنه مصدر لا غنى عنه لكل باحث في تاريخ المغرب الإسلامي، فهو يصف المناطق والمدن والأحداث وصفا دقيقا.

6."البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان" لابن مريم التلمساني، والذي أفادنا في معرفة مشاهير مدينة تلمسان في هذا العصر، وتراجم بعضهم.

7."المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن" لمحمد الخطيب التلمساني المعروف بابن مرزوق، الذي يذكر اشتغال بعض اليهود بالطب وبراعته في تشخيص الداء واستخلاص الأدوية المناسبة له.

8."دلالة الحائرين" لمؤلفه اليهودي "موسى بن ميمون"، واستقينا منه معلومات مهمة عن الفلسفة اليهودية والتي كان ابن ميمون من روادها حيث اتبع المنهج الرشدي في ذلك.

9."بذل المجهود في إفحام اليهود" لصاحبه السموأل بن يحي بن عباس المغربي، واستعنا به فيما يخص المناهج التعليمية لليهود والتي كان صاحب الكتاب أحد المنظرين لها.

ثانيا: المراجع العربية والمترجمة:

1."موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" لعبد الوهاب المسيري، وأعانتنا كثيرا في شرح المفاهيم والأفكار والألفاظ والعقائد والفرق، إذ أن صاحبها خبير بكل ما يخص اليهود واليهودية.

2."اليهود في المغرب الإسلامي في القرن (7-9هـ/13-15م)" لفاطمة بوعمامة، ودرست فيها الفترة الخاصة بموضوع بحثنا، ففيها معلومات قيمة عن اليهود من الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

3."يهود الجزائر –هؤلاء المجهولون-" لفوزي سعد الله، وهو كتاب قيم تتبع الوجود اليهودي في الجزائر منذ القديم إلى العصر الحالي، واستقينا منه معلومات كثيرة عن الشخصيات والأعلام اليهودية في ظل الدولة الزيانية، وتعامل السلطة معهم ومكانتهم الاجتماعية وحتى حضورهم السياسي.

4."تلمسان في العهد الزياني" لفيلالي عبد العزيز، وأفدنا منه خاصة فيما يتعلق بالمدخل إضافة إلى تبيين الحضور الذمي في مملكة تلمسان، وفئاته المختلفة.

5."ألف سنة من حياة اليهود " و"يهود المغرب والأندلس" لحاييم الزعفراني، وهي كتب مترجمة، أجاد فيها الباحث، وقد شكلت لنا مصدرا مهما من مصادر المعلومات من يهودي يوصف بالاعتدال وتحري الحقائق في نقل الأخبار، لذلك فقد أفدنا منها واستعملناها في إثبات والتحقق من بعض الأخبار الموجودة في مصادر أخرى، وقد رافقتنا كتبه في كل مراحل البحث.

ثالثا: المراجع الأجنبية:

1.كتاب L'Espagne catalane et le Maghreb au XIII et XIV^e Siècles –De la bataille de Las Navas de Tolosa(1212 j.c) à l'avènement du Sultan mérinide Abou-l-Hasan (1313 j.c) وكتاب " Les relations de la péninsule Ibérique et l'Afrique du nord au XIV siècle" للمؤلف " Charles-Emmanuel Dufourcq"، وهما كتابين عظيمي الفائدة خاصة فيما يتعلق بتاريخ الدول المسيحية وعلاقاتها بدول المغرب الإسلامية، وقد أفدنا منهما في كل جوانب هذه الرسالة، وخصوصا الكتاب الأول، بحيث أن المؤرخ كان على اطلاع واسع بالوثائق والأرشيف الكبير عن تاريخ الدول المسيحية الوسيطية والمغرب الإسلامي المتواجد بالدول الأوربية.

2.كتاب " Le Royaume Abdelouadide à l'époque d'Abou Hammou Moussa 1er et d'Abou Tachfin 1er" "Les états de l'occident Musulman aux XIIIe, XIVe et XVe siècles –Institutions gouvernementales et administratives-" للمؤلف "Dhina Atallah" وكانا لنا ذوَي فائدة كبيرة، فهما كتابان جامعان لتاريخ الدولة الزيانية، وفيهما تفصيلات مهمة عن أهل الذمة ونشاطهم السياسي والاقتصادي، لأن المؤلف استقى كثيرا من معلوماته من مصادر أجنبية كان لها الفضل في الاطلاع على وثائق الدول المسيحية في المكتبات الإسبانية.

3." Traité de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des Chrétiens avec les Arabes de l'Afrique septentrionale au Moyen Age" لكاتبه "M.L. De Mas Latrie " وهو كتاب قيم جدا، لأنه قريب من المصادر، وصاحبه على اطلاع كبير بالاتفاقيات والمعاهدات الموقعة بين الدول المسيحية وغيرها من الدول.

4. كتاب "Les Juifs au Sahara, le Touat au Moyen Âge " للكاتب اليهودي "Jacob oliel"، فهو مصدر معلومات قيمة عن التواجد اليهودي في الدولة الزيانية، خصوصا الصحراء.

5.كتاب "Juifs d'Andalousie et du Maghreb "، " Deux mille ans de vie Juive au Maroc, histoire et culture, religion et magie" للمؤرخ اليهودي " Haïm Zafrani"، وهما مصدران يؤرخان لحياة اليهود في بلاد المغرب الإسلامي، لأنهما من تأليف عارف بخبايا وتفاصيل اليهود.

وهناك بعض الدراسات التي سنثبتها في قائمة البيبليوغرافيا.

وفي الأخير نتمنى أن يكون بحثنا حلقة مكملة في سلسلة دراسات القرون الوسطى والتي تروم نفض الغبار عن بعض الجوانب الخفية في دراسة التاريخ.

والله نسأل أن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الفصل التمهيدي

مدخل عام

1.تاريخ الدولة الزيانية (633-962هـ/1235-1554م):

ما كادت الدولة الموحدية تسقط في بلاد المغرب الإسلامي حتى تنازعت مناطق حكمها دويلات ثلاث هي الحفصية في إفريقية والمرينية في المغرب الأقصى والزيانية في المغرب الأوسط، وقد حاولت كل واحدة منهن أن تكون وريثا شرعيا للحكم الموحدي الذي جمع هذه البلاد تحت راية واحدة، لكن النزاعات بينها لم تكن تهدأ إلا لتثور من جديد، وفي هذا الخضم حاولت الدولة الزيانية الناشئة إيجاد موطئ قدم لها بين هذه الحكومات، فقد عاشت صراعا متواصلا مع جاراتها لأنها كانت تتوسطهن وبذلك فهي محل أطماع كل منها.

1.1-نسب بني زيان

ويعود نسب ملوك بني زيان إلى جدهم عبد الواد أو عابد الوادي كما يلقب، ذلك أنه كثير التعبد وخاصة بأحد الأودية فأطلق عليه هذا اللقب واشتهر به أولاده ونسله من بعده. وبنو عبد الواد هم فرع من فروع الطبقة الثانية من قبيلة زناتة البربرية[1]، وهم ولد سجيع بن وسين بن يصلتين بن مسرى بن زكية بن وسيج بن مادغيس الأبتر الذي ينتسب إليه البربر البتر، وكانوا عدة بطون، هي بنو يتكتين، بنو واللو، بنو تومرت، بنو ورسطف، وبنو مسوجا، يضاف إليهم بنو القاسم الذين يعود إليهم نسب بنو زيان حكام الدولة الزيانية[2]، ويذكر بعض المؤرخين أن القاسم بن محمد من نسل الأدارسة وكان حاكما على مدينة تلمسان، وبعد أن أزاحهم الفاطميون في زحفهم على بلاد المغرب لجأ إلى بني عبد الواد الذين كانوا يقطنون المنطقة الصحراوية جنوب تلمسان، فأصهر فيهم وعقب

---

[1] زناتة من قبائل البتر البربرية ويرجع أصلها إلى شانة أو جانة بن يحي بن صولان بن ورماك بن دره بن زميك بن مادغيس بن بر، وهي أقوى وأوفر القبائل البربرية، وكانوا عدة فروع منهم بنو مرين، بنو يفرن، وبنو عبد الواد...ينظر محمد ابن حزم الظاهري الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، 1962م، ص 495.

[2] أبو زكرياء يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج1، تقديم وتحقيق بوزياني الدراجي، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ص 186.

عقبا مباركا وإليه ينتسب ملوك بني زيان[1]، وقد رد ابن خلدون هذا الرأي وقصة النسب الشريف، حتى أنه أورد قول يغمراسن زيان أول ملوك الزيانيين حينما سئل عن ذلك فقال:"إذا كان هذا صحيحا فينفعنا عند الله، أما الدنيا فإنما نلناها بسيوفنا"[2].

2.1-تأسيس الدولة الزيانية:

وتَغْلُب على هذا القبيل حياة الترحال والانتجاع بحثا عن الكلأ والماء والرعي، وذلك من منطقة سجلماسة إلى منطقة الزاب، فتركزهم إذن كان في بلاد المغرب الأوسط أكثر من غيره، وقد استوطنوا ناحية تلمسان ودخلوا في خدمة الموحدين بداية من القرن السابع للهجرة، وحكموا هذه المنطقة باسمهم، وبذلك أقر لهم الموحدون بسيطرتهم على المنطقة، خاصة بعد تصديهم لبني غانية هنالك، فثبتهم الخليفة الموحدي "أبو العلاء إدريس المأمون" على تلمسان، وكان دخولهم إليها سنة 627هـ/1229م، بإمرة قائدهم "جابر بن يوسف بن محمد"[3]. وبعد وفاته سنة 629هـ تولاها ابنه الحسن الذي استبد بالرأي وأساء السيرة مع كونه فظا وقاسيا فقدم بنو عبد الواد مكانه ابن عمه أبو عزة زيدان ابن زيان سنة 631هـ/1233م، وقد عرف بقوة الشخصية والشجاعة فلم يمتنع إلا بنو مطهر أبناء عمومته عن مبايعته مقابل مبايعة جميع القبائل، ونهض لقتال الرافضين له، فحاصرهم لكنه قتل أثناء المعركة سنة633هـ/1235م،[4] فقام مقامه أخوه يغمراسن بن زيان، الذي يعتبر أول من

[1] محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، حققه وعلق عليه محمود بوعياد، منشورات موفم للنشر، الجزائر، 2011م، ص 67.

[2] عبد الرحمان بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج7، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1431هـ/2001م، ص 105.

[3] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 198.

[4] التنسي، المصدر السابق، ص 113-115.

استقل من بني عبد الواد بالاسم عن الموحدين، "فاستبد بالأمر عليهم وتحلى بحلية الملك وجرى على مرتبته، ولم يُبْقِ عليهم غير الدعاء على المنابر"[1].

وقد استطاع يغمراسن المعروف بشدته وقوته وبأسه الشديد أن يؤسس لبني عبد الواد ملكا ودولة ويوحدهم تحت راية واحدة دامت سيطرتها على منطقة المغرب الأوسط أكثر من ثلاث قرون رغم محاولات الإطاحة بها سواء من جيرانها المسلمين أو حتى من المسيحيين الذين كانت بلاد المغرب الإسلامي محل أطماعهم بعد أن نجحوا في ضم كثير من أراضي الأندلس في الأول ثم تحويلها كلية إلى الحكم الإسباني.

3.1- حدود الدولة الزيانية[2]:

يواجه الباحث والدارس لتاريخ الدول الإسلامية مشكل الحدود التي لم تكن لتستقر طيلة أطوار التاريخ الإسلامي وهي بالنسبة لتاريخ الدولة الزيانية أصعب وأعقد، لأن هذه الدولة عرفت تاريخا أشبه بالمد والجزر، نظرا لمحاولات احتوائها من قبل الدول المجاورة والمعارك الكثيرة والحصارات التي تغير حدود الدولة باستمرار. فمن الناحية الغربية حاول ملوك بني عبد الواد أن يجعلوها ثابتة، وقد اجتهد يغمراسن في تأمينها لكنه لم يفلح في ذلك إثر هزيمته على يد يعقوب بن عبد الحق المريني في موقعة تلاغ أولا سنة 666هـ/1267م[3]، ثم موقعة إيسلي سنة 670هـ/1271م، وأوصى بعد ذلك ابنه وخليفته عثمان بتثبيتها، فبقيت بذلك هذه الجهة شبه ثابتة زمنا طويلا، إذ يذكر التنسي أن حدود البلاد الزيانية كانت تبتدئ عند نهر ملوية مرورا ببلاد تاوريرت التي تقع غربي مدينة وجدة وتبعد عنها بحوالي مائة وستة وثمانين كلم وتدخل ضمنها قلعة تامزيزدكت، وصولا إلى وادي "صا"

[1] أحمد بن عبد الله القلقشندي، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ج2، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1985م، ص 100-101.

[2] حاولنا في الملحق رقم 01، توضيح الحدود الزيانية في أقصى اتساع لها.

[3] أحمد بن خالد الناصري السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج3، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955م، ص 26.

وفجيج في الجنوب الغربي[1]. وبقي النزاع قائما على مدينة سجلماسة التي ضمها الزيانيون سنة 663هـ/1265م، فعاد المرينيون وضموها سنة 673هـ/1275م[2].

وتمثلت الحدود الجنوبية في صحراء نوميديا بداية من إقليم توات الذي كان تابعا للدولة الزيانية إلى بلاد ميزاب وعاصمتها غرداية وصولا إلى ورجلان في جنوب الصحراء.

أما الحدود الشرقية فهي التي عرفت تأرجحا كبيرا إذ وصل الزيانيون إلى حدود مدينة بجاية وأنشأوا بها حصنا سمي بقلعة تامزيزدكت لنفس الاسم الذي كانت تعرف به في بلاد المغرب، وهذا على عهد السلطان أبي تاشفين الأول[3]، وكان أبوه "أبو حمو" قد ضم سنة 710هـ/1309م مدن جزائر بني مزغنة ودلس ومتيجة ووصل بقواته إلى إقليم الزاب، وواصل أبو تاشفين زحفه إلى بجاية وقسنطينة، ودخل مدينة تونس وحاول جعل ولاته عليها، وأقصى الحفصيين عن هذه المناطق وبذلك يكون قد أوصل الزيانيين إلى حدود لم يبلغوها من قبل.[4]

لكن الزيانيين لم يستطيعوا بعد هذا الاتساع الكبير أن يحافظوا على حدود دولتهم خاصة الشرقية منها التي كانت تتعرض للغزو من طرف الحفصيين وحلفائهم بنو مزني وبنو مغراوة وغيرهم، ومرّاتٍ بسبب حصار المرينيين فكان أمراؤها يلجؤون إلى الصحراء التي يجدون فيها الملاذ والفرصة لإعداد العدة كما حدث مرات مع أبي حمو، ثم العودة لتلمسان لإعادة بعث الإمارة من جديد.

---

[1] التنسي، نظم الدر، ص 118. عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، موفم للنشر، الجزائر، دط، 2007، ص 43.

[2] ابن خلدون، العبر، ج7، ص85، الناصري، الاستقصا، ج3، ص 76،36.

[3] التنسي، ص 118.

[4] يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1965م، ص 127.

4.1-مراحل حكم الدولة الزيانية:

عرفت الدولة الزيانية طيلة فترة حكمها أربعة مراحل مهمة وهي:

1.مرحلة التأسيس والنشأة (633-706هـ/1235-1306م):

وتبدأ هذه المرحلة منذ استلام يغمراسن بن زيان مقاليد الحكم سنة 633هـ إلى رفع حصار بني مرين على تلمسان والذي دام ثمان سنوات كاملة[1]، وأول حكام الدولة في هذه الفترة هو يغمراسن بن زيان الذي استطاع أن يؤسس دولة قوية منفصلة عن الحكم الموحدي، وعكف على تنظيم شؤون الدولة وبسط نفوذها على مناطق واسعة خاصة في مواجهاتها مع الدولة المرينية الناشئة في معركتي تلاغ وإيسلي اللتان هزم فيهما الجيش الزياني، لكن يغمراسن أبان عن حنكة وتدبير في تسيير شؤون دولته الفتية واستطاع أن يجعل لها مكانا ضمن ورثة الدولة الموحدية في المغرب الإسلامي، ولكي يضمن بقاء الدولة وقوتها ضم إليه أحلافا من القبائل المجاورة كان اعتماده عليهم في الحروب وهم عرب بني هلال من بني سويد وبني زغبة فأقطعهم الأراضي الواسعة وأغدق عليهم العطايا، ثم استقدم عربا آخرين من بني زغبة وهم بنو عامر وبنو هميان فقوي بهم جمعه وزادت قوته وكان يظاهر بهم حلفاء المرينيين من بني هلال.[2]

استمر يغمراسن في حكم الدولة الزيانية أكثر من خمسين سنة، دأب فيها على تنظيم صفوف دولته محاولا فرض حدودها الغربية مع بني مرين حتى غدا نهر ملوية هو الحد الفاصل بينهما وفي الجهة الشرقية كان في كل مرة يحاول التوسع على حساب القبائل الهلالية القاطنة في المنطقة وعلى حساب الحفصيين، لكنه رأى في آخر أيامه أن يكسب ودهم فخطب ابنة أبي إسحاق إبراهيم (678-

---

[1] مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار، وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1399هـ/1979م، ص 177.

[2] أبو الوليد إسماعيل ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تقديم وتحقيق وتعليق هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، 1421هـ/2001م، ص 24.

683هـ/1279-1284م) لابنه وولي عهده أبي سعيد عثمان، لكنه توفي في طريقه إلى تلمسان بنواحي وادي الشلف بعد أن استقبل موكب العروس سنة 681هـ-1284م،[1] وقد أوصى يغمراسن قبل وفاته خليفته بأن يتقي بأس بني مرين ويهادنهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا وأن يتحصن بأسوار مدينته إذا حاولوا الدخول عليه، وأن يحاول التوسع في الجهة الشرقية ليتوسع ملكه ويكثر حشده ويتقوى بذلك على عدوه[2].

وسار "أبو سعيد عثمان" (681-703هـ/1282-1303م) على نهج والده وعملاً بنصيحته في استجلاب ود بني مرين وتوسيع المناطق الشرقية له، غير أنه أجار الوزير ابن عطوا الخارج على السلطان المريني يوسف بن عبد الحق مما أثار حفيظة هذا الأخير فطالبه به لكنه رفض تسليمه إياه فعزم السلطان المريني على السير إلى تلمسان وضمها إلى سلطانه وضرب عليها حصارا طويلا بدأ منذ سنة 699هـ/1298م، وبنى بجوار تلمسان مدينة أخرى مواجهة لها سماها المنصورة، وجمع لذلك العتاد والعدة والجنود والذخائر، ودام هذا الحصار ثمان سنوات عانى خلالها أهل المدينة وهلك كثير منهم بعد انعدام الغذاء حتى أُكلت الجيف والقطط ونقص الطعام وأشرف الناس على الهلاك[3]، وتوفي عثمان في أثناء الحصار سنة 703هـ، وتولى بعده ابنه أبو زيان وبقي صامدا في وجه المرينيين مدة أربع سنوات ولما أيقن بالهلاك عزم على قتل النساء والحرم بأيدي اليهود والنصارى ثم خروج الرجال إلى القتال لئلا يقع أحد منهم في الأسر أو يتعرض حرمهم للذل، لكن الفرج جاءهم بعد مقتل السلطان المريني أبي يعقوب بيد بعض غلمانه واختلف آله على من يخلفه، فوثب أبو ثابت حفيد السلطان المقتول على السلطة وتولى بإعانة من أخواله بني ورتاجن وتعهد لأبي زيان بالجلاء عن

[1] يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص 115.

[2] ابن خلدون، العبر، ج7، ص 189-190.

[3] المصدر نفسه، ص 197.

تلمسان إذا أعانه على ذلك، فارتفع الحصار عن المدينة بعد أن خلف آثارا مدمرة في العباد والأرض، وقيل أن من هلك في هذه السنوات بلغ عشرين ألف إنسان[1].

2.مرحلة القوة والتوسع (706-737هـ/1307-1338م):

وتبدأ هذه المرحلة بعد رفع الحصار المريني عن تلمسان سنة 706هـ بعد مقتل السلطان المريني يوسف، وقد كان على رأس السلطة الزيانية أبو زيان –السالف الذكر- الذي حاول الانتقام من البربر المتحالفين مع المرينيين أثناء الحصار فبسط نفوذه على قبيلة مغراوة ووضع عليها المولى مسامح نائبا عليها باسم الزيانيين، واستطاع أن يعيد الحدود الغربية لدولته إلى ما كانت عليه قبل الحصار نظرا لحالة السلم التي آلت إليها الأمور بينه وبين المرينيين [2].

ثم بدأ عهد السلطان القوي أبي حمو موسى الذي استلم السلطة بعد وفاة أخيه أبي زيان سنة 708هـ، وقد شهدت الدولة في عهده توسعا كبيرا إذ ضم أبو حمو إليه مدينة جزائر بني مزغنة سنة 712هـ/1312م بعد أن استسلم له أميرها ابن علان[3]، واستعصت عليه مدن بجاية وبونة وقسنطينة بعد أن دوخ أهلها وحاصرها مرات، وكان قبل ذلك قد أخضع قبيلة توجين واستولى على مضاربها، وأخذ الرهائن من القبائل لضمان ولائها[4]. غير أن أبا تاشفين بن أبي حمو ثار على أبيه بمعونة أعلاج كانوا متولين لأمره، على رأسهم هلال القطلاني فأغروه بقتل أبيه وساعدوه في ذلك، وتولى أبو تاشفين الحكم سنة 718هـ/1318م،[5] ومد نفوذه دولته إلى المنطقة الشرقية فاستولى على مدن قسنطينة وبونة وضرب حصارا مريرا على مدينة بجاية وأنشأ حولها القلاع والحصون، وزحف بجيشه إلى

[1] ابن الأحمر، المصدر السابق، ص 28-29.

[2] يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 212.

[3] مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، تقديم وتصحيح محمد مبارك الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1976م، ص 409.

[4] التنسي، المصدر السابق، ص 136.

[5] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 214.

تونس التي هرب سلطانها فدخلها أبو تاشفين أياما ثم أناب عنها، لكنه وقع بعد ذلك بين فكي قوات الحفصيين بتونس، والمرينيين من الجهة الغربية والذين استولوا على تلمسان سنة 737هـ[1]، وقتل فيها أبو تاشفين وكثير من أفراد العائلة المالكة، وأضحت تلمسان عاصمة المغرب الأوسط تحت حكم المرينيين.

3.مرحلة النهضة (749-791هـ/1348-1389م):

دام استيلاء المرينيين على تلمسان حوالي اثنا عشرة سنة وبعد هزيمة السلطان المريني أبي الحسن في معركة القيروان سنة 749هـ/1348م[2]، توحد بعض أفراد البيت الزياني واستطاعوا إحياء مملكة أجدادهم، وهما الأخوان أبو ثابت وأبو سعيد من نسل أبي زكرياء بن يغمراسن فتولى الأول إدارة الشؤون العسكرية، واشتغل الثاني الأمور السياسية، وكان الاثنان على توافق كبير في إدارة شؤون الإمارة وتسيير نظمها[3]، كما تعاون الأميران في هذه الفترة مع قبائل مغراوة وتوجين على التحالف والمناصرة ضد الخصم المشترك، وهو بني مرين لكن الأمر لم يدم طويلا إذ اجتاحت القوات المرينية مناطق الزيانيين واستباحتها واستطاعت الظفر "بأبي سعيد" أولا وقتله ثم دست العيون فقبض على "أبي ثابت" وقتل كذلك سنة 753هـ ونجا ابن أخيهما "أبو حمو" ودخل تونس تحت حماية أميرها الحفصي "أبي إسحاق بن أبي يحي بن أبي زكرياء"(750-770هـ/1350-1369م)، ولما غزا السلطان المريني "أبو عنان" بلاد إفريقية سنة 758هـ انتهز "أبو حمو" الفرصة وجمع جموعه وجدّ السير إلى تلمسان مستعينا ببني عامر وجموع من زناتة، وفي طريقه أقصى كل القبائل المعادية له، وانتصر في كل المعارك التي خاضها، متحديا الصعوبات والمخاطر، خاصة لما علم بوفاة السلطان المريني ، حتى وصل

---

1 يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 213-214.

2 ابن خلدون، العبر، ج7، ص 115.

3 التنسي، المصدر السابق، ص 152.

إلى تلمسان فحاصرها وأزاح عنها الأمير المريني "محمد بن أبي عنان" وأعاد اسم الدولة الزيانية بها في ربيع الأول من سنة 760هـ.[1]

بقي "أبو حمو" في مدينته يعيد ترتيب أمورها وتنظيم صفوف القبائل المساندة ترغيبا أو ترهيبا، وتم استرجاع مدن الشلف ومليانة ولمدية والجزائر.[2] عرف عهد أبي حمو نشاطا عسكريا كبيرا بسبب الحملات الكثيرة التي كان يقودها لإخضاع القبائل المناوئة، كما شهد هجمات حفصية ومرينية متكررة كان "أبو حمو" يتصدى لها بكثير من الحزم، فكان كلما اشتد عليه الحصار يلجأ هو وأهله وحاشيته إلى الصحراء واحتمى بقبائله، فإذا ارتفع عاد إلى عاصمته وجمع شمله من جديد، وقد حدث ذلك أولا في سنة 760هـ/1359م حينما غادر عاصمة دولته خمسة وعشرين يوما، ثم أخرجه السلطان المريني "أبو سالم" (760-762هـ/1359-1361م) من تلمسان في السنة الموالية فمكث في الصحراء حوالي أربعين يوما[3]، ثم تمكن "عبد العزيز المريني" (768-774هـ/1366-1372م) من احتلال تلمسان لمدة سنتين، ففر "أبو حمو" إلى الفيافي مرة أخرى وطال مقامه بها لأكثر من سنتين من 772-774هـ[4]، ولم يرفع عن المدينة الحصار إلا بموت السلطان المريني، ورجوع وزيره "أبي بكر بن غازي" بالناس إلى فاس لأخذ البيعة "لأبي زيان محمد بن عبد العزيز" الذي لم يكن قد بلغ الحلم بعد.[5] ورجع "أبو حمو" إلى تلمسان في سنة 774هـ واستقر بها إلى سنة 785هـ أين أجلاه السلطان المريني "أبو العباس بن أبي سالم" (776-786هـ/1374-1385م) عنها فانتقل بأولاده وحاشيته إلى

---

[1] السلاوي، المصدر السابق، ج4، ص 4.

[2] التنسي، المصدر السابق، ص 118.

[3] أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، مطبوعات القصر الملكي، المطبعة الملكية، الرباط، 1382هـ/ 1962م، ص 56.

[4] ابن خلدون، العبر، ج7، ص 260.

[5] هو السلطان الذي تلقب بالسعيد بالله وهو ممن ولي الأمر وهو صبي، وفيه ألف لسان الدين ابن الخطيب كتابه المسمى:"إعلام الأعلام بمن بويع من ملوك الإسلام قبل الاحتلام"، وقد كفله الوزير أبو بكر بن غازي فكان إليه الأمر كله، ولم تدم دولته إلا سنة وثمانية أشهر وأياما. انظر السلاوي، الاستقصا، ج4، ص 60-61.

نواحي وادي شلف وبقي هنالك ما يقرب من سنتين، ثم عاد بعد عودة أبي العباس لإنقاذ مدينة فاس،[1] وشهدت الأمور في الدولة الزيانية استقرارا نسبيا لم يعكره إلا قدوم ابن أبي حمو نفسه وهو "أبو تاشفين" بإيعاز من بني مرين ومؤازرة من "أبي زيان الوطاسي"، ومواجهة الأب وابنه في معركة فاصلة بجبل بني ورنيد، وأفضى الأمر إلى سقوط "أبي حمو" قتيلا بسيوف أنصار ابنه سنة 791هـ/1390م وتقلد ابنه الحكم تابعا لبني مرين[2]. وكان سقوط دولة أبي حمو إيذانا بسقوط آخر ملوك بني زيان العظام ودخول الدولة في آخر مرحلة لها من دورة حياة الدول.

4.مرحلة الضعف والسقوط (791-962هـ/1390-1554م):

رغم أن هذه المرحلة تعتبر أطول مراحل الدولة عمرا، إلا أنها تعتبر في ميزان القوى الأقل تأثيرا والأكثر ضعفا، إذ شهدت ملوكا ضعافا لا هم لهم إلا تجميع الأموال والتحالف ضد بعضهم البعض من أجل كرسي العرش، وهناك اختلاف واضح بين المؤرخين في أسماء ملوك هذه الفترة بسبب التنازع الكبير بينهم على الحكم وتشابه الأسماء[3].

تبدأ هذه المرحلة بحكم "أبي تاشفين" الذي لم يكن إلا مجرد نائب لبني مرين في تلمسان، مع منازعة أخيه "أبي زيان" له بمساعدة عرب المعقل عدة مرات دون جدوى، ثم توجهه إلى بني مرين للإطاحة بعرش أخيه الذي بدأ يغير علاقاته مع المرينيين، وتوفي "أبو تاشفين" وقلد الحكم لابنه الصبي، لكن عمه "أبو الحجاج" المعروف بابن الزابية استطاع تنحيته والجلوس على كرسي الإمارة لعدة أشهر فقط، ثم جاء أبو زيان بمساعدة مرينية، لكنه لم يلتزم بشروطه اتجاههم فتدخل "أبو فارس المريني" (796-799هـ/1394-1397م) الذي كان وليا للعهد آنذاك ليحتل مدينة تلمسان ويضمها إلى العرش المريني سنة 796هـ، لكنه اضطر للعودة إلى فاس لاستلام عرش أبيه، وأعاد أبا زيان السابق لعرش تلمسان، وأصبح الزيانيون وإمارتهم لعبة في يد بني مرين يعزلون ويولون من يشاؤون من

[1] السلاوي، المصدر السابق، ج4، ص 67-68.

[2] المصدر نفسه، ص 76.

[3] عن أسماء ملوك بني زيان في هذه الفترة وسابقاتها، انظر الملحق رقم 02.

أبناء أبي حمو الثاني ما داموا يدينون لهم بالولاء التام، لكن الملاحظ أن أمراء بني زيان الذين سنحت لهم فرصة الاستقرار النسبي كانوا لا ينسون الالتفات إلى الجوانب الحضارية للدولة، فقد جددوا ما هدم وخرب من دولتهم وأقاموا الأسواق وشجعوا الحركة العلمية، وأشاعوا الأمن والهدوء[1].

ومنذ سنة 827هـ شهدت بلاد المغرب هيمنة حفصية كبيرة إذ تغلب "أبو فارس عبد العزيز بن أحمد" (796-837هـ/1394-1433م) على كل المناوئين وخُطب له على منابر تلمسان وفاس وغرناطة وبذلك بسطت الدولة الحفصية سيطرتها على كامل بلاد الغرب الإسلامي[2]، وبدأ تدخل الحفصيين في شؤون تلمسان جليا واضحا بتعيين "محمد بن أبي تاشفين" المعروف بابن الحمراء على رأس الإمارة الزيانية، ثم عمه "أبي محمد عبد الواحد" ثم عهد "أبي العباس العاقل" الذي طال نسبيا (834-866هـ/1431-1461م) وشهد استقرارا سياسيا واقتصاديا وحركة ثقافية نشيطة، رغم ما شابه من ثورات قادها أبناء البيت الزياني، وبتدعيم من الحفصيين، وبعد سقوط غرناطة سنة 897هـ/1492م، بدأ التهديد المسيحي لسواحل بلاد المغرب وأصبح تدخلهم سافرا في شؤون الحكم بتدعيم أمير على آخر إلى غاية تدخل الأتراك بقيادة "عروج" و"خير الدين" وإعلان إنهاء حكم الدولة الزيانية الذي دام أكثر من ثلاثة قرون، وضم تلمسان إلى الحكم العثماني سنة 962هـ/1552م[3].

---

[1] انظر عن ذلك التنسي، المصدر السابق، ص 210-211.

[2] أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ج2، تحقيق وتعليق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، الطبعة الثانية، 1966م، ص 125-130.

[3] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792م)، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2010،، ص 329.

2.التواجد الذمي ببلاد المغرب الأوسط قبل العهد الزياني:

2.1-المسيحيون:

شهدت فترة الفتح الإسلامي نزوحا جماعيا لنصارى بلاد المغرب الإسلامي، لأنهم رأوا أن المسلمين سيقصونهم عن مناصبهم السيادية التي توارثوها منذ سيطرتهم على البلاد، فقاموا بمحاولاتهم الأخيرة إبان عهدي "حسان بن النعمان" و"موسى بن نصير" ببعض الإغارات على شواطئ البلاد كترشيش التي أقام حسان بن النعمان مكانها مدينة تونس ومدّ إليها قناة من البحر لتكون بمأمن من غزوات النصارى الفارين منها، لكن بداية عهد الولاة كانت إيذانا بتحول كلي للمسيحيين من بلاد المغرب الإسلامي نحو جزر البليار وصقلية والبلاد المسيحية المطلة على البحر. ولم يبق إلا العدد القليل منهم في المدن والحواضر الإسلامية، هذه القلة الباقية تمثلت في رجال الدين المشرفين على أمر الكنائس والدير التي بقيت تحفظ لمن تبقى منهم إمكانية ممارسة شعائرهم وطقوسهم، والإشراف على تعليمهم، أو بعض الأسرى في سجون الإمارات الإسلامية التي تأسست بعد الفتح، فمثلا وجدت في عاصمة الرستميين مدينة تاهرت جالية كبيرة من النصارى والذين كان لهم حي مستقل سمي "حي الكنيسة" والذي أقيم على مكان مرتفع في المدينة بنيت فيه منازل وقصور لهم[1]، ولا نجد في المصادر تفاصيل عن أعداد أو جنسيات أو أماكن تواجد النصارى في البلاد قبل العهد المرابطي.

أما في العهد المرابطي فيظهر أثر التواجد النصراني في بلاد المغرب لأن المرابطين المعروفين بالتسامح الديني قد استجلبوا بعض الجنود والمرتزقة من الأندلس والجزر المجاورة، وضموهم إلى جنودهم حتى شكلوا بهم ميليشيات خاصة بحراسة الأمير وحاشيته، فاتخذ "يوسف بن تاشفين" فرقة خاصة لحرسه من النصارى كان قد اشتراهم وبلغ عددهم مائتين وخمسون[2] ونمت هذه الفرقة في عهد ولده

---

[1] عبد العزيز فيلالي، دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م، ص 64-65.

[2] عباس بن إبراهيم السملالي المراكشي، الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، ج10، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية، 1413هـ/1993م، ص 299-300.

"علي" حتى أصبحت تؤلف جناحا كبيرا في الجيش المرابطي من النصارى المرتزقة، وقد اشتركت هذه الفرقة مع جيوش المرابطين في معارك عديدة[1]، ومصدر هؤلاء كان بلاد الأندلس، بعد أن ظهر للمرابطين كفاءتهم في خدمة ملوك الطوائف، وتظهر مشاركة هؤلاء في المعارك مع الموحدين، وقد برز اسم قائدهم "الروبرتير Reverter" الذي كان فارسا قطلونيا أسره "علي بن ميمون" قائد الأسطول المرابطي وأرسله إلى مراكش ليقوم بخدمة المرابطين فقتل في إحدى معاركه مع الموحدين سنة 534هـ[2]. وظهرت في عهد علي بن يوسف بن تاشفين فئة خاصة، تبوأت مناصب عليا في الدولة، فارتقت إلى مرتبة النبلاء، وظهر غناها وترفها[3]. وفي عهد "تاشفين بن علي" صحب معه من الممالك النصرانية زهاء أربعة آلاف مسيحي، وكان قد استعرضهم في إحدى نواحي تلمسان مع بقية جنده عندما برز لقتال الموحدين[4].

استنكف الموحدون عن استخدام النصارى في جيوشهم لبداية عهدهم، لأنهم كانوا يرون أن المرابطين قد خالفوا الشرع في استعمالهم غير المسلمين، فنبذ أمراؤهم هذا الأمر وتخلوا عن الفرق التي ورثوها عن الملثمين، لكن في أخريات حياة الدولة الموحدية استعانت بالجند المرتزقة في مقاتلة خصومها المنشقين عن الدولة، وذلك أن الخليفة المأمون (626-630هـ/1228-1232م) قد لجأ إلى ملك قشتالة فرناندو الثالث ليعينه بفرقة من فرسان النصارى ليعبر بها إلى المغرب ويقاتل خصمه المنشق عليه الطامع في الحكم، وقد أمده ذلك الملك بفرقة تقدر بخمسمائة فارس مقابل شروط قاسية منها أن يتنازل المأمون عن عشرة من الحصون الإسلامية القريبة لحدوده، وأن تقام في مراكش كنيسة

[1] يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ج1، ترجمة وتعليق عبد الله عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1359هـ/1940م، ص 122.

[2] حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك بن القطان الكتامي ، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1990م، ص 141.

[3] إبراهيم القادري بوتشيش، المرابطون وسياسة التسامح مع نصارى الأندلس، مجلة دراسات أندلسية، تونس، العدد 11، رجب 1414هـ/1994م، ص 27.

[4] مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص 131.

للنصارى.[1] وبقيت هذه الفرقة من الجند المرتزقة قريبة من خلفاء الموحدين وتتقاضى أجورها مقابل الخدمات التي تقدمها من حراسة ومشاركة في الحروب ومدافعة عن الخليفة مع تمتعها بسكنات داخل المدينة، حتى ورثها الزيانيون عنهم وشاركوا بها في مختلف حروبهم مع خصومهم إلى أن بدرت منهم محاولة اغتيال فأبيدوا عن آخرهم[2].

وجلب حكام المغرب الأوسط الكثير من أسارى الحرب والعبيد من البلدان الأوربية نظرا لتوسع رقعة الحرب بين العدوتين، وانتشار ظاهرة القرصنة التي كانت متبادلة بين الطرفين المسيحي والإسلامي، وأطلق على الرقيق المجلوب من البلاد المسيحية اسم الصقلي وجمعها الصقالبة، ولعل هذا اللفظ قد أطلق في أول الأمر على الرقيق المجلوب من جزيرة صقلية ثم عُمم على كل العبيد المنحدرين من بلدان نصرانية[3]، ويذكر بعض المؤرخين الغربيين وجود جالية مسيحية في العصر الحمادي كانت ذات تأثير كبير، ولها أصول بربرية، ونسبوا إليها كثيرا من الأعمال، فهم يذهبون إلى أن الأمراء الحماديين استقبلوا في فترة من المحتمل أن تكون متوافقة مع إنشاء القلعة جالية كبيرة العدد من المسيحيين البربر الذين جاءوا يعمرون عاصمتهم الجديدة والذين ظلوا يقطنونها وقتا طويلا بعد إنشاء مدينة بجاية[4]. وتذكر بعض المصادر التسامح الذي كانت تحظى به الأقليات المسيحية بدليل بناء كنيسة سميت "كنيسة العذراء" (لا تزال آثارها باقية إلى اليوم) كان يؤمها هؤلاء رغم أن التشريعات

[1] فتحي زغروت، الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين (المغرب والأندلس)، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1426هـ/2005م، ص 115.

[2] يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 206.

[3] شكيب أرسلان، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1352هـ، ص 211.

[4] Genéral L.De Beylie, La Kalaa des Beni Hammad –une capitale berbere de l'Afrique du Nord- au XI^{e} Siècle, Ernest Lerous Editeur, Paris, 1909, P 20.

الخاصة بأهل الذمة في الدولة الإسلامية تقضي بأن لا تبنى كنائس أو معابد جديدة ولا يصلح ما خرب منها[1].

وعرف العصر الحمادي في المغرب الأوسط تجانسا بين أطياف المجتمع من مسلمين ومسيحيين ويهود، واشتهر الصقليون بكفاءتهم التجارية والصناعية، إذ حملوا معهم مهاراتهم في الصنائع والحرف ونشروها في أطراف الدولة خاصة المدن الساحلية منها كبونة وبجاية، وأخذها عنهم سكان البلاد[2].

وفي عصر المرابطين عرف المجتمع أصنافا متعددة من السبايا والجاريات الروميات اللائي كن يقدمن إلى المغرب إما عن طريق الأسر، أو بواسطة تجارة الرقيق، إذ يذكر أحد المؤرخين أن الأمير تاشفين بن علي جاز من الأندلس إلى المغرب سنة 532هـ/1137م محملا بستة آلاف سبية، بالإضافة إلى أسواق الجواري التي عرفت انتشارا كبيرا إبان هذا العهد، وتنافس الناس في اقتنائهن ووصلت أثمانهن إلى حدود كبيرة.[3]

وحرصا من الدول الإسلامية التي حكمت المغرب الأوسط قبل العهد الزياني على تنظيم حياة هؤلاء النصارى، وضمانا لدفعهم الجزية بانتظام فقد جعلت على رأس كل طائفة منهم رئيسا يسمى "زعيم عجمة الروم" أو "القومس comes" ويتولى أبناء جلدته انتخابه ليكون مسؤولا عن كل ما

---

[1] Encyclopedia of Islam, nouvelle edition, G.-P. Maisonneuve et Larose S.A, Paris Vol 2, Part 2, P 679.

[2] عبد الحليم عويس، دولة بني حماد، صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثانية، 1411هـ/ 1991م، ص 242.

[3] أبو الحسن علي بن عبد الله ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص 164.

يتصل بأمور النصارى، ومكلفا بجمع الجزية المفروضة عليهم، ويقدمها نيابة عنهم إلى السلطة الحاكمة، وكان هؤلاء منتشرين في جميع المدن الخاضعة لسلطة الدولة[1].

وقد تواجدت فئة من التجار المسيحيين كانت دائمة التردد على مدن المغرب الأوسط خاصة إذا تعلق الأمر بالمدن الساحلية التي كانت من أكبر المراكز التجارية العالمية آنذاك، إذ أنها شهدت تبادلات تجارية كبيرة فكانت موانئها تعج بالسلع الصادرة والواردة، وكان تجار البحر من رعايا البلاد المسيحية يجلبون إلى أهالي المغرب الأوسط المنتوجات الأوربية، وعلى الخصوص المنسوجات والأقمشة الصوفية والأواني المنزلية وغيرها[2].

2. اليهود:

اختلف المؤرخون في بداية التواجد اليهودي في بلاد المغرب الإسلامي عموما والأوسط منه خصوصا، فمن قائل أن أوائل اليهود قد استقروا بالبلاد مع وصول الفينيقيين إليها وتأسيسهم لمدينة قرطاج، ولا يستند رأي هؤلاء إلى أي دليل تاريخي أو وثائقي وإنما اعتمدوا في ذلك على آرائهم الخاصة وأصحاب هذا الرأي هم من اليهود الراغبين في إيجاد موطئ قدم لليهود وادعائهم بأنهم من أهل البلاد الأصليين.[3]

ويقول "كاهين" أن بداية قدوم اليهود إلى المغرب كان إثر حملة بطليموس على بيت المقدس حوالي 320 ق.م وترحيله لأكثر من مائة ألف يهودي إلى مصر حيث أرسل جزء منهم إلى ليبيا ومنها انتشروا إلى بقية البلاد. كما يعتبر "دارمون" في معرض حديثه عن أصل يهود الشمال الإفريقي

---

[1] شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج24، تحقيق عبد المجيد ترحيني، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1424هـ/ 2004م، ص 152.

[2] مزاري توفيق عبد الصمد، الجهاد البحري في عهدي المرابطين والموحدين، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الإسلامية، تخصص تاريخ وحضارة، جامعة الجزائر، 1428-1429هـ/2007-2008م، ص 205.

[3] André Chouraqui, Marche vers l’occident, les juifs d'Afrique du nord, paris, PUF, 1952, P 13.

أن هؤلاء قد قدموا من مصر بعد تحطيم المعبد الذي بناه "أونياس Onias" فتفرقوا في إفريقيا واستوطنت جماعة منهم مدينة تلمسان وضواحيها،[1] غير أن هذا الرأي لا يعدو أن يكون مجرد فرضية قدمها هذا الكاتب ولا تستند إلى دليل تاريخي.

ويعتبر حاييم الزعفراني اليهود أول مجموعة غير أمازيغية وفدت إلى المغرب، على الرغم من أنه يقر بعدم وجود أي نقوش مكتوبة أو شواهد أخرى تدل على إقامة مستعمرات يهودية كاملة على الشواطئ الإفريقية في عهود مدينتي صور وصيدا الفينيقيتين، بينما يؤكد من جهة أخرى أن هناك أخبارا تتحدث عن وجود آثار لأحجار كانت علامات لحدود يقال أن الذي كان قد وضعها هو يوآب بن صوريا" قائد جيش الملك داود، لكن الاختلاف هنا يكمن في موضع إقامة هذه الحدود المختلف فيه بين منطقة جربة التونسية أو طنجة أو فاس أو درعة أو في التخوم الصحراوية المغربية.[2]

ويعتقد بعض اليهود أن الأمازيغ ما هم في الحقيقة إلا بقايا أولئك الفلسطينيين الذين تعقبهم القائد "يوآب" إلى بلاد المغرب، وتجدر الإشارة هنا أنهم يترجمون اللفظ العبري: "فلستيم" التوراتية الواردة في هذا الحدث بلفظة "بربر".[3]

وحسب مجريات الأحداث التاريخية وتسلسلها فإن التاريخ الذي يمكن القبول به ليكون تاريخا واضحا لقدوم اليهود إلى بلاد المغرب هو بداية الألف الأولى قبل الميلاد نتيجة لعلاقة مدينة صور الفينيقية بالعبرانيين أثناء حكم سليمان، وتبدو هذه العلاقة الودية في طابع المعاملات والمبادلات التجارية بينهما، حيث تلقى أهل صور كميات من الأغذية مقابل الأخشاب والخيرات الغنية التي

[1] Raoul Darmon, Origine et constitution de la communauté Israélite de Tlemcen, Revue Africaine, OPU, Alger, V14, N°79, 1870, P

[2] حاييم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب –تاريخ، ثقافة، دين-، ترجمة أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1987م، ص 09.

[3] حاييم الزعفراني، يهود الأندلس والمغرب، ترجمة أحمد شحلان، مرسم للنشر، الرباط، المغرب، 2000م، ص 26.

قدموها للعبرانيين[1]، ولعل هذا ما يفسر سيطرة اليهود على تجارة الحبوب في تلك المدة لأن مدينة صور كان بإمكانها جلب الحبوب التي تنتجها سهول تونس من مستوطنة أوتيكا[2].

وقد احتل الساحل المغربي للبحر المتوسط مكانة هامة، حيث برزت فيه شبكة من المراكز والمحطات والمدن قدرها المؤرخون بحوالي ثلاث مائة[3]، وبفعل رحلات الفينيقيين حل معهم اليهود الحاذقين في الميدان التجاري على أهم المدن والمراكز التجارية مثل عنابة وجيجل، بجاية وشرشال والجزائر، وفي القرون اللاحقة استقرت أفواج منهم في المناطق الداخلية والصحراوية، ويؤيد هذا الرأي بعض المؤرخين اليهود الذين يروون أن مجموعة يهودية انحدرت من الجالية اليهودية الفينيقية تمركزت على طول المحور التجاري الممتد من خنشلة وتيمقاد، قالمة إلى سيرتا ثم سطيف وصولا إلى سور الغزلان الحالية، وذلك بسبب طبيعتهم الميالة إلى التجارة أكثر من أي نشاط آخر[4].

وفي العهد الروماني وبعد سقوط قرطاج سنة 146 ق.م بدأت بعض العناصر اليهودية تحل بالمغرب، إذ كشفت الآثار عن وجود نقوش عبرية باليونانية واللاتينية، غير أن تلك النقوش اليهودية الخالصة لا تتعدى أربعة، وجدت منها اثنتان في منطقة المغرب الأوسط في مدينتي سيرتا وسطيف.[5]

وازدهرت حياة الجالية اليهودية في عهد يوبا الثاني[6] -الذي تزوج من يهودية تدعى "قلافيرا" وكان طبيبه "أوفرن" يهوديا كذلك- خاصة في قرطاج وشرشال إذ كانوا يتعاطون التجارة والحرف،

---

[1] محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في البحر الأبيض المتوسط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1979م، ص 94.

[2] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1976م، ص 640-641.

[3] عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، ص 259.

[4] Ayoun Richard, Cohen Bernard, Les Juifs d'Algérie, deux mille ans d'histoire, Editions Jean-Claude Lattès, Paris, 1982, P 27.

[5] شنيتي محمد البشير، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص 198-199.

[6] يوبا الثاني: حكم من 25-23 ق.م، حمل إلى روما وهو صغير بعد انهزام والده يوبا الأول، قامت أخت الامبراطور الروماني "أوكتافيو" بتربيته ، وبعد أن شبّ نُصب ملكا على موريتانيا، وقدكان مجرد منفذ لأوامر روما،كما شارك في قمع ثورات المغاربة،

وكان لهم معبد كبير بشرشال على رأسه حاخام كبير، وكانوا يتمتعون بكامل الحرية في القيام بشعائرهم لما كان ليوبا من عطف عليهم، مما يدل على كثرة أعدادهم[1].

وشهدت فترة السيطرة الرومانية على الشمال الإفريقي إلى غاية الفتح الإسلامي غموضا من حيث المعلومات أو الأدلة على وجود يهودي أو علاقة مع القبائل البربرية أو حتى السلطة الحاكمة للبلاد، بينما نستشف من بعض المصادر التي تحدثت عن الفترة التالية للفتح ميلا لاعتبار عدد لابأس به من قبائل البربر يهودا، إما بتعلمهم مبادئ الدين اليهودي وتلقيهم للتعاليم التوراتية التي انتشرت قبل هذا العهد، أو أن بعض من هذه القبائل هي من أصل يهودي، ويأتي في مقدمة هذه القبائل التي يدور حولها جدل واسع قبيلة جراوة التي كانت تحتل المنطقة الواقعة حول جبال الأوراس، وهي القبيلة التي تنحدر منها "الكاهنة" الزعيمة البربرية التي قاومت الفتح الإسلامي في المنطقة وكان لها شأن كبير فيها ويدلل بعض المؤرخين على ذلك بأنّ هذه المرأة كانت تتقن السحر والكهانة واستطاعت من خلالهما السيطرة على المنطقة، أو أنها ذات أصول فلسطينية يهودية[2]، وقبيلة مديونة التي كان أهلها منتشرون في ضواحي تلمسان إلى مدينة وجدة بالإضافة إلى قبائل قنلاوة وبهلولة، والتي يقول ابن خلدون أن إدريس الأكبر مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى وجد منها من هم على دين اليهودية، فأجلاهم عنها[3].

ومنذ استقرار المسلمين في بلاد المغرب الأوسط وبداية عصر الولاة بعد الفتح وعصور الدويلات المستقلة، دخل اليهود كغيرهم ضمن نظام أهل الذمة فعُوملوا على أساس التشريعات الإسلامية التي تضمن لهم حقوقهم وتبين ما عليهم من واجبات ماداموا محافظين على عهودهم، غير أن المصادر الإسلامية لا تسعفنا بمعلومات وافية عن الوجود اليهودي في المنطقة سواء في عصر الولاة

=وقد دفعه زواجه بيهودية واتخاذه طبيبا يهوديا إلى زيادة عطفه على اليهود حيث وُجد عدد كبير منهم في عاصمته. ينظر عبد الحميد بن أشنهو، الملك العالم يوبا الثاني وزوجته كليوباترة سيليني، وزارة الأخبار والثقافة، الجزائر، 1971م، ص 25-26.

[1] المرجع نفسه، ص 41.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 214.

[3] المصدر نفسه، ج6، ص 256-257.

أو حكم الرستميين الذين أسسوا أول دولة مستقلة في المغرب الأوسط سنة 160هـ، وجاء بعدهم الفاطميون الذين عاش اليهود في كنفهم عندما سيطروا على المنطقة أو حتى عندما رحلوا عنها، ومن أبرز اليهود الذين عرفوا في هذا الزمن "يهودا بن قريش التيهرتي"(ق4هـ-10م) وكان عالما متضلعا في اللغات العربية والعبرية والآرامية والبربرية والفارسية، وهو صاحب رسالة إلى يهود فاس وهي بحث نحوي لغوي مقارن بين اللغات السامية[1]، بالإضافة إلى أنه واضع النحو التنظيري[2].

ومن بين أعلام اليهود البارزين في عصر الدولة الحمادية الربي إسحاق الفاسي التلمودي المشهور المولود بقلعة بني حماد.[3] وتلاه سليمان ديان بن فرماس الذي ترأس مدرسة تلمودية أسسها اليهود في قلعة الحماديين في بجاية، كما سيطروا على أنواع المتاجر واستغلوا التسامح الذي أظهره الزيريون والحماديون لنشر أفكارهم وترويج تجاراتهم[4].

وعندما جاء العصر المرابطي وامتد حكمه إلى المغرب الأوسط أين وجدوا أبناء عمومتهم الحماديين، فإن المصادر لا تعلمنا إلا بالحالة العامة التي كان عليها اليهود في المغرب والأندلس عموما، حيث كان اليهود يعيشون في مدنهم ملتزمين بأحكام الشرع، حتى إذا ما بدر منهم شيء مخالف سارعت السلطة إلى احتوائهم وإعادتهم إلى مكانتهم، وكان ذلك إما بدفع الأموال كما حدث ليهود أليسانة بغرناطة أو إجلائهم[5].

---

[1] عبد الرحمان بشير، اليهود في المغرب العربي (22-462م/642-1080م)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2001م، ص 145-146.

[2] عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1400هـ/1980م، ص 61.

[3] الزعفراني، يهود الأندلس والمغرب، ص 64.

[4] مسعود كواتي، اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط الموحدين، دار هومة للنشر، الجزائر، 2000م، ص 99.

[5] ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الرابع (البيان المرابطي)، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1983، ص23.

ولما قامت الدولة الموحدية أصدر عبد المؤمن أوامره بأن يخير أهل الذمة من اليهود والنصارى بين اعتناق الإسلام أو الجلاء عن البلاد، فمن أسلم سلم، ومن طلب المضي إلى بلاده أذن له في ذلك ومن أبى قُتل؛ فجميع أهل مملكته مسلمون لا يخالطهم سواهم ولهذا لم تنعقد عند الموحدين ذمة يهودي أو نصراني[1].

واستمر موقف الموحدين من هؤلاء حتى بعد تغير مفهوم التوحيد من ديني إلى سياسي، حتى إن المنصور الموحدي كان شاكا في إسلام اليهود فميّزهم في 595هـ/1199م في اللباس بما عرف "بالشكلة"، وقال:«لو صح عندي كفرهم لقتلت رجالهم وسبيت ذراريهم وجعلت أموالهم فيئا للمسلمين»[2]، وكان لونه أسودا فغيره ابنه أبي عبد الله الناصر إلى اللون الأصفر بطلب منهم.[3]

إذن كانت هذه وضعية أهل الذمة قبل العهد الزياني، وتميزت بنوع من التسامح ضمن الشروط التي وضعها الشرع الإسلامي، وحددها الفقهاء، رغم وجود بعض التجاوزات سواء من جهة أهل الذمة الذين كانوا يتعدون الحدود المفروضة عليهم، أو من طرف السلطة الحاكمة التي كانت تتشدد فوق ماهو محدد شرعا.

[1] عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1414هـ/ 1994م، ص252.

[2] عز الدين عمر أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، بيروت، الطبعة الأولى، 1403هـ/1983م، ص113.

[3] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص252.

الفصل الأول

التمثيل السياسي لأهل الذمة،

الحضور والجدل

1-الوضع القانوني لأهل الذمة في الدولة الزيانية

2-الدور السياسي لأهل الذمة

3-الدور العسكري ومناصب أخرى

4-حركة المغيلي ضد امتيازات اليهود

رغم أن أعداد أهل الذمة وخاصة اليهود منهم قد عرفت ارتفاعا ملحوظا في بلاد المغرب في فترة حكم الزيانيين، وخاصة مع الهجرات الأوربية المختلفة لهم وأبرزها حملة التهجير من الأندلس التي قادها الملكان الكاثوليكيان فرديناند وإيزابيلا، إلا أن هؤلاء لم يشاركوا في الحياة السياسية خلال عهد دولة بني عبد الواد، ولم يؤثر عنهم أي تبوء لمناصب سياسية سيادية، مثلما كان عليه الحال في الدولة المرينية أو الحفصية في نفس الفترة، عدا بعض التمثيلات المحتشمة في الوفود الدبلوماسية لا سيما في العهود المتأخرة للدولة، لذلك سنحاول أن نبرز في هذا الفصل أهم ما تميز به هذا التمثيل السياسي لأهل الذمة خلال العهد الزياني. لكن قبل ذلك يجب التطرق إلى الوضع القانوني لأهل الذمة في الدولة الزيانية.

1-الوضع القانوني لأهل الذمة في الدولة الزيانية:

استمد الوضع القانوني لأهل الذمة خلال عهد الدولة الزيانية شرعيته من التشريع الإسلامي، الذي يحدد الإطار القانوني للتواجد الذمي في الدولة الإسلامية، ومدار هذا التشريع يرتكز على ما قررته الآية الكريمة في سورة التوبة: ﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[1]، فالقرآن الكريم يحدد تعامل المسلمين مع أهل الذمة وهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ويضاف إليهم المجوس حسب حديث النبي -صلى الله عليه وسلم-[2]، ووجوب أخذ الجزية منهم ما داموا مُصرِّين على بقائهم على دياناتهم، والجزية هي جزاء تأمينهم في ديار الإسلام والدفاع عنهم وحمايتهم.[3] لما روي عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-"إنما بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا وأموالهم كأموالنا"[4]. وتفرض من طرف الحاكم المسلم على الرجال القادرين على القتال، فلا تؤخذ من صبي ولا امرأة ولا مجنون ولا خنثى، ومقدارها على الغني يكون أعلى من الفقير، ويمكن أن يُنظر هذا الأخير حتى يصبح قادرا على أدائها إذا كان معسرا[5]. وقد نصبت الدول الإسلامية المتعاقبة ممثلا عن كل ديانة يهتم بجمع أموال الجزية من إخوانه في الدين.

---

[1] سورة التوبة، الآية 29.

[2] يروى أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قد توقف في أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله -ص- أخذها من مجوس هجر(وهي قرية قرب المدينة)، إذ قال عمر بن الخطاب عند ذكر المجوس: ما أدري كيف أصنع في أمرهم، فقال له عبد الرحمن بن عوف: أشهد لسمعت رسول الله -ص- يقول :"سنوا بهم سنة أهل الكتاب"، انظر مالك بن أنس، الموطأ، الحديث رقم 631، باب جزية أهل الكتاب والمجوس، برواية يحي بن يحي الليثي، تحقيق كلال حسن علي، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1434هـ/ 2013م ، ص 232.

[3] أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق سمير مصطفى، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2001م، ص 164.

[4] السيد سابق، فقه السنة، ج3، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1999م، ص 418.

[5] الماوردي، المصدر السابق، ص 137.

1.1. وظيفة الناجد أو القومس:

"القومس Comes" هو ممثل الطائفة المسيحية في البلاد الإسلامية والذي يتولى رئاستها وجمع الجزية عنها نيابة عن السلطة الحاكمة، وهو الذي يتولى مهمة دفعها للسلطة، ويكون انتخابه من طرف أفراد طائفته أو تعيينه من طرف الدولة[1].

ولم تسعفنا المصادر في ذكر أسماء الذين تولوا هذا المنصب خلال عهد الدولة الزيانية ولا أعداد هؤلاء النصارى الذين كانوا يدفعونها، وهذا راجع لقلة أعداد النصارى الذين تواجدوا في أراضي الدولة، إلا أننا يمكن أن نقول أن زعيم الطائفة المسيحية هو نفسه القائد أو القنصل المعين من طرف سلطة بلده لأنه هو الذي يتولى شؤونها ويمثلها أمام السلطة الزيانية كما هو وارد في أغلب المصادر التي تتحدث عن هذا الموضوع، وهو ما سنورده عند معالجتنا لعنصر التمثيل الدبلوماسي المسيحي في البلاد الزيانية خلال هذا الفصل.

أما عند اليهود فقد سُمي ممثلهم في عهد الدولة الزيانية بالناجد أو النجيد أو النكيد وهي كلمة عبرية معناها الزعيم أو الأمير، وهو أكبر أحبار اليهود وينتخب من طرف الطائفة اليهودية أو يعين من طرف السلطة الحاكمة ولا يفارق هذا المنصب إلى غاية موته.[2]

ومن أبرز من تولى هذا المنصب خلال عهد الدولة الزيانية نذكر[3]:

الربي إسحاق بن شيشات برفات (Rabbi Isaac Barfat Bar Chechet): الملقب بريباخ[4]، والذي كان حاخاما بالأندلس وبعد موجة الاضطهاد المسيحي هاجر إلى بلاد المغرب، أين

---

[1] النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 152.

[2] عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الثاني، الجزء الأول، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، 2006م، ص 383.

[3] انظر الملحق رقم 03، عن أسماء من تولى هذا المنصب خلال عهد الدولة الزيانية وفترة توليهم إياه.

[4] ريباخ أو ريباش هو اختصار بجمع الحروف الأولى المشكلة للترجمة العبرية للربي إسحاق برفات بار(التي تعني ابن) شيشات **R**abbi **I**saac **Ba**rfat Bar **CH**echet فتصبح **RIBACH.**

استقر أولا بمدينة مليانة ورتب أموره بها ثم توجه إلى مدينة الجزائر، فعُين من طرف سلطان تلمسان حاخاما أكبر على يهود مدينة الجزائر بمساعدة طبيب السلطان الخاص ومقربه اليهودي أستروك كوهينAstruc Cohen، وظل في منصبه حتى وفاته سنة 811هـ/1408م، ولم يخلف سوى بنت واحدة.[1]

والربي شمعون بن سماح دوران (Rabbi Shimon Bar Shemah): الملقب براشباخ[2] الذي خلف ريباخ في منصبه عقب وفاته وظل رئيسا للطائفة اليهودية إلى غاية وفاته سنة 847هـ/1444م.[3] وقد دفن ريباخ وراشباخ في المقبرة اليهودية (بباب الوادي حاليا) بمدينة الجزائر والتي قيل عنها أن أرضها قد منحت لليهود حوالي سنة 1287م بموجب عقد تنازل موقع من قبل ملك تلمسان والذي كانت مدينة الجزائر تحت سلطته، وقد أُشير في عقد الهبة أن هذه الأرض بجوار الواد المسمى "واد قريش" أو "واد مغاسل"[4]. واستمرت هناك حتى السنوات الأولى من الاحتلال

[1] Maurice Eisenbeth, Les Juifs en Algérie, esquisse historique depuis les origines jusqu'à nos jours, Extrait de L'encyclopédie Coloniale et Maritime, Paris, sd , p10.
وقد اختلف في تاريخ وفاته لأننا نجد على شاهد قبره تاريخ الوفاة هو 1442م بدل 1408م.

[2] راشباخ أو راشباش هو اختصار بجمع الحروف الأولى المشكلة للترجمة العبرية للربي شمعون بن سماح **Ra**bbi **Sh**imon **Ba**r **Sh**emah فتصبح **RASHBASH**.وفي مصادر أخرى نجد اللقب هو RASHBAZ على اعتبار الاسم الأخير هو Zemah وليس Shemah انظر Encyclopedia Judaica, Keterpress, Juresalem, vol 06, P302(voir :Duran)

[3] Claude Cahen, Histoire des Juifs de l'Afrique septentrionale, extrait du recueil des notices et mémoires de la société de la province de Constantine, Constantine, 1867, P 09.

[4] Henri Klein, Feuillets d'El-Djezaïr, Imprimerie F-Fontana , Alger, 1937, P201.
وإذا صح هذا التاريخ فإن سلطان تلمسان الذي وهب هذه الأرض لليهود هو عثمان بن يغمراسن الذي حكم من سنة 681-703هـ/1279-1302م .

الفرنسي، ثم نقلت رفاتهما إلى مقبرة بولوغين بمدينة الجزائر، ولازال قبرا هذين الربيين محجا ليهود العالم عامة ويهود الجزائر خاصة.

ومنذ عهد شمعون بدأ عهد أسرته التي ورثت عنه منصب الناجد في عهد الدولة الزيانية، فخلفه ابنه سلومون Slomon على رأس الطائفة اليهودية في مدينة الجزائر وبقي في هذا المنصب حتى وفاته سنة 872هـ/1467م.

ثم خلفه ابنه سماح بن سلومون إلى غاية سنة 1500م ثم أخوه شمعون دوران الثاني حتى وفاته سنة 1502م، ثم انتقلت الرئاسة إلى شمعون بن سماح إلى غاية سنة 1531م[1] وبقيت في فرع آل دوران حتى انتقلت إلى عائلة بوشعرة في العهد العثماني بداية من سنة 1735م[2].

أما في مدينة تلمسان فقد كانت وظيفة الناجد موكلة إلى الربي موشي بن صمويل بن يهودا الإسرائيلي المالقي الأندلسي المولود بمالقة قبل سنة 820هـ/1418م وكان طبيبا[3]، وإليه ترجع رئاسة الطائفة اليهودية بتلمسان[4]. ثم عرفت مدينة تلمسان زعامة يهودية جديدة بدخول الربي "إفراييم بن إسرائيل النقاوة Ephraïm Ankaoua" إلى المدينة حوالي سنة 1392م هروبا من القمع المسيحي ببلاد الأندلس حيث استقر أولا بمدينة هنين ثم انتقل إلى تلمسان، إذ قربه بعد ذلك العاهل الزياني أبو العباس أحمد بن أبي حمو موسى الثاني الملقب بالعاقل الذي حكم بين(834-866هـ/1428-

---

[1] فاطمة بوعمامة، اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن هجري، الموافق للرابع عشر والخامس عشر ميلاديين، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1432هـ/2011م، ص 172.

[2] نجوى طوبال، طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر ما بين (1700-1830م) من خلال سجلات المحاكم الشرعية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تاريخ حديث، إشراف: د.عائشة غطاس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2004-2005م، ص 130.

[3] عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص 249.

[4] مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج3، دار الحضارة، الجزائر، الطبعة الأولى، 2007م، ص 251.

1462م) مكافأة له على إيجاد علاج لابنته المريضة التي عجز الأطباء عن شفائها، وبذلك أصبح إفرايم حاخاما أكبر بمدينة تلمسان، إلى غاية وفاته سنة 845هـ/1442م.

كما عرفت الطائفة اليهودية رئاسة جديدة يقودها الربي يوسف بن موسى الأشقر الذي لجأ إلى تلمسان بعد قرار الطرد سنة 1492م وعرف بزهده وورعه وعلمه حتى أصبح حاخاما بمدينة تلمسان وكتب مؤلفات وشروحات كثيرة وأحيط بهالة من التقديس إلى درجة جعلت مقربيه يوردون روايات تشبه المعجزات حول حياته ووفاته[1].

ويوجد ضريح الربيين إفرايم النقاوة وموسى الأشقر بمقبرة قباسة بتلمسان، ولا زالا مزاران هامان ليهود العالم.

وسهرت الدولة الزيانية خاصة في عهد قوتها على تعيين الناجد بنفسها عن طريق مرسوم ملكي، كما حدث بالنسبة للربي إسحاق بن شيشيت برفات الذي أصدر بشأنه حاكم تلمسان أبو زيان محمد الثاني بن أبي حمو موسى الثاني (796-801هـ/1394-1399م) مرسوما ملكيا يقضي بتعيينه حاخاما أكبر على يهود مدينة الجزائر[2]. وكذا تعيين الربي النقاوة في منصب حاخام مدينة تلمسان من طرف أبي العباس أحمد العاقل.

وقد حددت بعض الوثائق العربية الشروط التي كان ينبغي توفرها فيمن يتولى رئاسة اليهود ومنها: أن يكون من أكبر الكهنة وأعلم الأحبار، وأن يتميز بالنزاهة وحسن الخلق، وأن تكون له خدمة في مهمات الدولة، كذلك اشترط أن يكون رئيس اليهود عارفا بكتب اليهود وشرائعهم مُلمّاً باللغة العربية إلماما كاملا[3]. ورغم ذلك فإن هذه الشروط لم تحترم دائما في تعيين رئيس اليهود، لأنه

---

[1] Issac Rouche, Un grand Rabbin à Tlemcen au XV[eme] siècle, in Bulletin de la société de géographie et d'archéologie d'Oran, Société Anonyme des papeteries et imprimeries, Oran, 50[eme] Année, Tome 57, 1936, P 282.

[2] Eisenbeth. M, Les Juifs en Algérie, op. cit., P 10.

[3] قاسم عبده قاسم، اليهود في مصر، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، 1413هـ/1993م، ص 67.

أصبح منصبا سياسيا وتجاريا أكثر من كونه منصبا دينيا واجتماعيا. ومن الأدلة على ذلك ما ذكرناه من تولي أبناء دوران لهذا المنصب طيلة فترة حكم الدولة الزيانية ابتداء من عهد راشباش، وتنازع هؤلاء على المنصب بين بعضهم البعض أو بينهم وبين عائلات أخرى فيما بعد.

وقد كانت مهام رئيس الطائفة اليهودية هي تمثيل اليهود أمام الدولة والعكس، وهو القائم على الدفاع عن حقوق أفراد طائفته، وهو المسير لشؤونهم والحافظ لنظامهم، والمتوكل على قيادتهم في أمورهم وشعائرهم الدينية والساهر على حسن تطبيق التعاليم اليهودية[1].

2.1 الجزيـــــــــــة:

ويعد رئيس الطائفة اليهودية أو المسيحية كذلك مسؤولا عن جمع الجزية وإثبات أسماء المؤدين لها في كشوف خاصة، والذين يثبت لهم عهد الذمة بسبب أدائهم للجزية، ويعطون نظير ذلك وصلا يظهرونه في حالة الضرورة، أو إذا تحولوا إلى بلاد إسلامية أخرى، إذ أنهم يمنعون من الدخول إلا بإظهار هذا الوصل.[2]

إلا أن اليهود قد امتنعوا في بعض الأحيان عن أداء الجزية إذا ما أنسوا من أنفسهم قوة[3]، وخاصة في فترات الضعف التي كانت تمر بها الدولة الزيانية، وذلك ما أدى بالمغيلي إلى إعلان الثورة

---

[1] Chouraqui, Marche vers l'occident, les juifs d'Afrique du nord, op. cit., P 20.

[2] Solomon Grayzel, A History of Jews, USA, 1984, P 729.

ويسميGoitein هذا الوصل الممنوح لليهود والمعبر عنه في وثائق الجنيزة بـ "براءة" وأنها تمنح لليهود الذين يدفعون مبلغ الجزية ومن لم توجد عنده فإن السلطة مضطرة على أخذها منه مرة ثانية، كما يورد عبارات تبين شكاوى اليهود من إلزامهم بدفع مبالغ للجزية كل سنة، واضطرارهم للتنقل إلى بلدهم الأصلي لدفعها والحصول على ورقة "البراءة" وما يترتب عن ذلك من انشغالهم عن أعمالهم وانقطاعهم عن أهاليهم، وكذا ما يسببه قدوم أقاربهم إليهم من بلاد بعيدة واضطرارهم لعدم استقبالهم إذا لم يكونوا حائزين على وصل البراءة. انظر عن ذلك سلومو ديفريتز جواتياين، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تعريب وتحقيق عطية القوصي، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الأولى، 1980م ص 201- 202.

[3] Michel Abitbol, Le passé d'une discorde, Juifs et Arabes depuis le VII siècle à nos jours, Librairie Académique Perrin, Paris, 1999, P 72.

عليهم في مدينة توات وما جاورها[1]، بعد أن هاجر إليها من تلمسان التي رأى بها تسلط العنصر اليهودي على مقاليد السلطة، لكنه وجد واقعا مشابها أو أشد في الصحراء.

وأما عن مقدار الجزية المفروضة في بلاد المغرب الإسلامي فيذكر الوزان أن المقدار الذي كان مقررا على اليهود في مدينة فاس أداءه حينما تولى الأمير أبو سعيد المريني الذي حكم من سنة 800-823هـ هو أربعمائة دينار شهريا[2]. بينما حددها الونشريسي بأربعة دنانير أو أربعين درهما عن كل شخص في العام[3]. بينما يذكر أحد المؤرخين المعاصرين أن مقدار الجزية الذي كان مفروضا على أهل الذمة خلال عهد الدولة العبد الوادية بلغ دينارين إلى ثلاثة دنانير سنويا عن كل ذمي[4].

وقد يعود الاختلاف في تحديد مقدار الجزية المضروبة على أهل الذمة في عهد الدولة الزيانية إلى الاختلاف بين أئمة المسلمين في تحديد هذا المقدار بين دينار ودينارين عند الشافعي وأربعة دنانير على أهل الذهب عند مالك وتنقص على الفقير، و عند أبي حنيفة ثمانية وأربعون درهما على الغني وأربعة وعشرين على متوسط الحال واثنا عشر على الفقير، أما عند الإمام ابن حنبل فقد تعددت آراؤه في ذلك على حسب اختلاف البلاد[5].

---

[1] فوزي سعد الله، يهود الجزائر -هؤلاء المجهولون-، الجزء الأول، دار قرطبة، الجزائر، 1426هـ/2005م، ص 80 وما بعدها.

[2] حسن الوزان، وصف إفريقيا، ج1، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1983، ص 284.

[3] أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، ج2، تحقيق محمد حجي وآخرين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م، ص 253.

[4] Atallah Dhina, Les états de l’occident Musulman aux XIIIe, XIVe et XVe siècles –Institutions gouvernementales et administratives-, Office des publications universitaires, Alger, 1984, P261.

[5] انظر تفصيل ذلك عند ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، المجلد الأول، تحقيق يوسف بن أحمد البكري وشاكر بن توفيق العاروري، رمادي للنشر، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1417هـ/1997م، ص 124 وبعدها.

2.الدور السياسي لأهل الذمة في الدولة الزيانية:

لم يتسن لأهل الذمة خلال كل فترة حكم الدولة الزيانية الوصول إلى أي منصب سياسي سيادي مهما كان نوعه أو المشاركة في الحكم، وذلك يعود في نظرنا إلى التزام الدولة الزيانية بعدم إشراك هؤلاء في العملية السياسية نظرا للتجارب السابقة للدول الإسلامية التي بينت عن النتائج الوخيمة على الدولة والعامة من جراء استعمال الذميين في المناصب السيادية، ولعل أبرز الأمثلة التي كان الزيانيون يرون أنها جرّت الوبال على المسلمين، هي استعمال دولة بني زيري في غرناطة لليهودي "ابن النغريلة" وابنه وما حدث من ثورة عارمة من طرف أهل غرناطة، ثم كان استعمال المرينيين لليهود قد عاد عليهم بالخسران وألهب صدور العامة في فاس فثاروا ضد حكم بني مرين[1].

لكل هذا لا نجد في المصادر الإسلامية كما في المصادر اليهودية أو الغربية أي ذمي تولى منصبا سياسيا سياديا في كل عهد بني عبد الواد الذي دام حوالي ثلاثة قرون من الزمن.

إلا أن استعمال أهل الذمة كان بصورة أكثر في المجال الدبلوماسي وخاصة إذا تعلق الأمر باليهود الذين أتقنوا عدة لغات وتمتعوا بجانب كبير من الدهاء والحيلة والمكر ما ألجأ حكام بني عبد الواد إلى استعمالهم في سفاراتهم خاصة إلى البلاد المسيحية والممالك النصرانية، وهذا ما سنحاول التركيز عليه في هذا المبحث.

[1] انظر عن نكبة اليهود بفاس وضرب عنق السلطان المريني عبد الحق بن أبي سعيد عثمان الذي حكم (831-869هـ/1427-1464م) أحمد السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج4، ص 99.

1.2-أهم السفراء من أهل الذمة:

احتاج الزيانيون في فترات كثيرة إلى إرسال سفارات تقوم بمهام دبلوماسية، يتمتع أصحابها بجانب كبير من الحكمة والدهاء والقدرة على الإقناع والمفاوضة، وحسن الرأي بالإضافة إلى إتقان لغات عدة، وفي كتابه واسطة السلوك في سياسة الملوك أوصى السلطان أبو حمو موسى الثاني ابنه وولي عهده أبا تاشفين الثاني أن يختار رُسله من وجوه قبيلته مبينا له الصفات التي يجب أن تكون فيهم: «الأول أن يكون قوي القلب راجح العقل، الثاني أن يكون صادق القول، الثالث أن يكون محافظا على دينه، الرابع أن يكون حافظا على الأسرار كاتما لجميع الأخبار، ثم تتبع هذه الأوصاف الأربعة الضرورية أربعة أوصاف تكملة: أحدها أن يكون فصيح اللسان حسن العبارة والبيان، الثاني أن يكون مليح الهيئة والصورة فيه محاسن مشهورة، الثالث أن يكون محبا في سلطانك عاملا على ما يوافق شأنك، الرابع أن يكون قليل الطمع متنزها عما في الأيدي تنزه الورع.».[1]

فكان اختيارهم يقع في كثير من الأحيان على اليهود الذين توفرت فيهم هذه الشروط رغم أنهم ليسوا مسلمين، وفي بعض الأحيان غير صادقين اتجاه السلطات الزيانية التي تستخدمهم، إلا أن الملوك الزيانيين استعملوهم وبعض المسيحيين مرات عديدة.

أما من جانب الدول المسيحية فقد كان يتم انتخاب القناصل كممثلين لدولهم في الدولة الزيانية أو غيرها من دول المغرب الإسلامي في بادئ الأمر من طرف التجار المتواجدين هناك، لكن ابتداء من سنة 1266م أصبح هذا القنصل يعين من طرف مجلس المائة في بلده باسم الملك الأرغوني وسمي "قنصل القطلانيين" إلى أن ظهرت مملكة ميورقة وحرصت هي كذلك على إرسال مبعوثيها إلى

[1] أبو حمو موسى بن يوسف الزياني ، واسطة السلوك في سياسة الملوك، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1379هـ/1962م، ص 161.

البلاد الزيانية. غير أنه مع تنامي اهتمام الملوك المسيحيين بالتجارة مع الجيران المسلمين والتي أصبحت مصدرا عظيما للأرباح أصبح هذا المنصب يسمى "قنصل الملك" وذلك ابتداء من سنة 1276م.[1]

وعلى كل فإن مهام القنصل قد تعددت ومن بين أهمها:

-تمثيل السلطات على كل تجار بلاده وفي بعض الأحيان على كل التجار المسيحيين.

-التحكيم بينهم وإقامة العدل والمساواة.

-تمثيل تجار بلده وحتى باقي المسيحيين أمام سلطات البلد.

باسم بلده وملكه يُسير ويراقب الحياة داخل الفنادق والأنشطة المختلفة[2].

وسنورد الآن أسماء ومهام بعض السفراء أو القناصل الذي وصلتنا معلومات عنهم بين الدولة الزيانية والممالك المسيحية:

أبراهام بن اغلال Abraham Bengalil(Abengalel): ابن الربي يوسف بن اغلال الذي عاش في القرن 13 ميلادي في إسبانيا ثم انتقل إلى سبتة، حيث أرسل أبراهام وأخوه صامويل من طرف ملوك أرغونة (ألفونسو الثالث وجاك الثاني) في بعثات دبلوماسية إلى غرناطة والمغرب، وكان أبراهام صاحب تجارة في بلنسية.[3] ويذكر في مصادر أخرى باسم أبو أغلان Abou-Arlan وهو الذي بعثه السلطان الزياني يغمراسن بن زيان سنة 1250م إلى برشلونة لإتمام صفقات بيع وشراء بالجملة في كتالونيا ومونبوليي، واستطاع من خلالها أن يفاوض على شراء بعض عتاد السفن بالرغم

---

[1] Charles-Emmanuel Dufourcq, L'Espagne catalane et le Maghreb au XIII et XIV[e] Siècles –De la bataille de Las Navas de Tolosa(1212 j.c) à l'avènement du Sultan mérinide Abou-l-Hasan (1313 j.c), Presses Universitaires de France, Paris, 1966, P 69.

[2] Dufourcq, L'Espagne Catalane, P 69.

[3] Encyclopedia Judaica, vol 04, P502(voir :Bengalil)

من القرار البابوي بمنعه، وحاول ربط علاقات مالية مع أحد أصحاب رؤوس الأموال البرشلونيين وهو "رامون دوبانيارس"« Ramon de Bagnarés »، وإيجاد ضمانات مالية في البلاد المسيحية لصالح الزيانيين، ويذكر أن سفارة أبو أغلان هذا كانت أول سفارة بين الزيانيين والدول المسيحية خاصة مملكة أرغون، وكانت فاتحة لعلاقات دامت قرونا تميزت أغلبها بالسلم والمصالحة، عدا بعض أعمال القرصنة من الطرفين والتي كانت تتم بمرأى أو حتى دعم من السلطتين الحاكمتين[1].

ثم أرسل من طرف الملك الأرغوني ألفونسو الثالث في شهر جويلية 1290م، وعاد إلى برشلونة في ماي 1291م مصطحبا معه السفير الزياني محمد سيناج، وفي 15 من شهر ماي عام 1291م عاد إلى تلمسان للتفاوض حول إبرام معاهدة بين الملكين ولعله اصطحب معه عائلته في هذه المهمة الدبلوماسية[2]. وقد عاد من مهمته هذه في أكتوبر 1291م بعد وفاة ألفونسو الثالث وتولي جاك الثاني العرش فبلغه بوجهة نظر السلطان الزياني[3]. ولقد تميز هذا السفير بالفطانة والمهارة في إبرام المعاهدات، إذ أنه استطاع أن يأخذ في آخر معاهدة التزاما من السلطان الزياني عثمان بن يغمراسن بدفع مبلغ سنوي قدره 2000 دينار ذهبي للخزينة الأرغونية[4].

الفاكين بوندافي Alfaqui Bondavin[5]: وهو يهودي أرسل كذلك من طرف ملكي أرغونة ألفونسو الثالث وجاك الثاني في بعثة دبلوماسية إلى تلمسان[1]. فقد تم إرساله في شهر جمادى الثاني

---

[1] Dufourcq, L'Espagne Catalane, P 146-147.

[2] Encyclopedia Judaica, vol 04, P1201(voir :Bondavin)

[3] Dufourcq, L'Espagne Catalane, P 327.

[4] Ibid, P 325-326.

[5] عند Dufourcq تذكر هذه الكلمة "الفاكين Alfaqui "كلقب لهذا السفير غير أنها ترد في مصادر أخرى على أنها مرادفة لكلمة "مستشار« conseiller » ، انظر M.L. De Mas Latrie, Traité de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des Chrétiens avec les Arabes de l'Afrique septentrionale au Moyen Age, Henri Plon Imprimerie-Editeur, Paris, 1866, P 280(introduction historique).

من سنة 692م الموافق لـمايو 1293م من طرف جاك الثاني إلى الملك الزياني أبي سعيد عثمان بن يغمراسن، لإخراج العلاقات بين المملكتين من حالة الركود التي كانت تعيشها في تلك الفترة، خاصة منذ إخفاق محادثات سنة 1291م، ويبدو أن هذا السفير اليهودي قد تلقى تعليمات محددة للعمل بها، في سبيل تحقيق الهدف الأساسي من هذه السفارة وهو التوصل إلى اتفاقية صداقة، لذلك كان على "بوندافي" أن يجعل القرار بيد الملك الزياني للتوصل إلى ما يمكن تسميته بأرضية اتفاق مختلفة عن المطالبات المالية المجحفة السابقة للملك الأرغوني "ألفونسو الثالث" المرتكزة أساسا على تحديد الضريبة السنوية المدفوعة من قبل دولة بني عبد الواد والتي لم يقبل بها الطرف الزياني. لكن الواضح أن هذه السفارة لم تحقق أهدافها المرجوة إلا أنها استطاعت أن تتوصل إلى جس نبض السلطة الزيانية بخصوص قضية الضرائب وبعض الأمور العالقة[2].

سفارة أرنو دوكورنيلا Arnau de Cornellá: وكان من فرسان الميليشيا المسيحية العاملة في خدمة السلطان الزياني عثمان بن يغمراسن، وقد أرسله هذا الأخير في شتاء العام 1295م إلى الملك الأرغوني جاك الثاني لطلب سفينتين شراعيتين حربيتين يستعملهما في حصار بجاية، لكن أرغونة رفضت هذا الطلب بحجة أنها لا ترتبط مع تلمسان بأية معاهدة، بالإضافة إلى أنها في حاجة ماسة إلى كل سفنها، لكنها رغم ذلك تركت الباب مفتوحا لإجراء محادثات إذا أرسلت السلطة الزيانية وزيرا مفوضا إليها بصلاحيات أوسع. غير أن هذه السفارة كسابقتها لم تحقق ما كانت تصبو إليه بسبب التشدد الكبير من الأرغونيين في طلب ضرائب إضافية، الأمر الذي لم تكن لتقبله السلطات التلمسانية[3].

---

[1] Dufourcq, L'Espagne catalane, P 139 (marge N°07)

[2] Ibid, P 329.

[3] Ibid, P 331.

سلومون بن زكي Solomon benzequi: أصله من ميورقة اختار أن يستقر في مدينة برشك المتواجدة على سواحل الدولة الزيانية بين تنس والجزائر، وكان تاجرا وقد كلف عدة مرات بمهمات دبلوماسية من طرف الملوك المسيحيين.[1]

جاك ابن الملك جاك الثاني:[2] ويسمى جاك اللقيط « Jacques Le Bâtard» لأنه ابن غير شرعي لجاك الثاني ملك أرغونة، ويسمى في المصادر العربية "جاقمو" ويعد من أبرز الدبلوماسيين المسيحيين لدى المملكة الزيانية، إذ أنه قام بعدة سفارات وكان يعتبر لدى الملك الزياني أبي تاشفين الأول من المقربين وكثيرا ما استطاع أن يحقق للزيانيين مصالح جمة من خلال المعاهدات التي عقدوها مع أرغونة، وكان قد بعثه أبوه مرات عديدة في سفارات إلى تلمسان فأقام بها يرعى بها مصالح أبيه والقطلانيين ويتاجر بها[3]. وقد أرسله الملك الزياني أبو تاشفين برسالة مع حاجبه أبي يعقوب يوسف بن الحوراء مؤرخة في 17 رجب 727هـ/ الموافق لـ8 جوان 1327م، لإبرام عقد صلح، وفي نفس التاريخ حمل رسالة أخرى من وزير الملك الزياني هلال بن عبد الله القطلاني لنفس الغرض متضمنة بنود الصلح المزمع إجراؤه، وفعلا أقنع أباه بقبول عقد الصلح دون اشتراط أداء حقوق جمركية[4]. وأعيد استعماله من طرف أخيه ألفونسو الرابع -الذي استلم العرش بعد وفاة أبيه جاك الثاني سنة 1327م-، وأرسله أبو تاشفين برسالة بتاريخ 4 رجب 730هـ الموافق ليوم 14 ماي سنة 1330م، رفقة الشيخ أبي عمران والشيخ أبو يعقوب يوسف المعروف بابن الحوراء لإطلاع الملك ألفونسو الرابع على بعض الكتب التي أرسلها معهم بما يضمن التحالف والتعاون بين المملكتين الزيانية والأرغونية.

---

[1] Encyclopedia Judaica, vol 02, P 613. (voir Algeria).

[2] نلاحظ هنا الاختلاف في التسمية بين المراجع العربية فهناك من يطلق عليه اسم خايمي (Jaime) وآخرون يطلقون عليه اسم جاك (Jacques) وهو الاسم الوارد ذكره في المصادر الأجنبية مثلا عند De Mas Latrie أو Dufourcq.

[3] سعيدان عمر، علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن الرابع عشر ميلادي، دراسة ووثائق (رسائل ومعاهدات) وتعاليق وتحاليل، منشورات سعيدان، سوسة، الجمهورية التونسية، نوفمبر 2002، ص 76.

[4] المرجع نفسه، ص 77.

كما تم تعيين جاك الأرغوني -كما تسميه بعض المصادر- ابن الملك "جاك الثاني" " Jacques II" كقائد للقطلانيين بين سنتي 1325-1330م، وقد مارس مهمته كسفير وكقائد للجالية المسيحية بتلمسان في آن واحد، واستطاع أن يشرف على المهام القنصلية والتجارية، فكان بمثابة وزير تفويض للملكة الأرغونية على الأراضي الزيانية ساعدته في ذلك الحاشية التي كانت تحف به وتعينه على أداء وظيفته منهم العسكريون والمدنيون وحتى رجال الدين أمثال القس "غيوم استيف Jaume Esteve" الذي كان وكيلا لكنيسة مدينة تلمسان.[1]، كما أنه اعتلى رئاسة الجالية المسيحية كلها بما في ذلك الأرغونية والميورقية.

2.2-سفـــــــارات أخرى:

1.2.2- من المسيحيين:

عرفت العلاقات الدبلوماسية بين الزيانيين والمسيحيين تواجد سفراء عدة من جنسيات أوربية ولعل أبرزهم كانوا أولئك الذين شغلوا وظيفة قائد المسيحيين « alcayt » وقد يطلق عليه كذلك لقب « alcayt mayor » أي القائد الأعلى، ويعتبر رئيس كل المسيحيين سواء كانوا مدنيين أو عسكريين المتواجدين على أراضي مملكة بني عبد الواد، والذي كانت مهمته تتمثل في تحصيل الضرائب المستحقة للملك المسيحي، ويعتبر رئيس وقاضي التجار المسيحيين المتواجدين في الفنادق المنتشرة في المدن الزيانية[2]، ومن مهامه كذلك القيام بالسفارات بين المملكتين في حال الحاجة إلى ذلك[3]. وقد تم تعيين عدة قادة للجاليات المسيحية وخاصة من طرف مملكة أرغونة والتي كان قائدها يعتبر قائد كل المسيحيين على أراضي الدولة الزيانية. وأول قائد مسيحي يعرف اسمه كان في العام 1265م، إذ أرسل "جاك المحارب" الفارس "بار فيلاراقو Pere de Vilaragut" سفيرا وقائدا في

[1] Dufourcq, L’Espagne Catalane, P 472-473.

[2] Dhina.A, Les Etats de l’occident musulman, op. cit., P446-448.

[3] De Mas Latrie, Traité de paix et de commerce, -supplément et tables-, P 46.

نفس الوقت لمدة 3 سنوات، مع تمتعه بنفس صلاحيات سابقيه[1] المدنية والعسكرية، وبعد عامين فقط وقبل إنهاء السفير السابق مهمته عُيّن مكانه الفارس "غيوم غالسيران" " Guillem Galcerán" بنفس الصلاحيات، وبدون تحديد المدة، ثم أعيد تعيينه مرة ثانية في 11 جانفي 1272م.[2] وقد أدى هذا القائد وظيفته في تلمسان لمدة سنوات، وكان كثير التنقل بين أرغونة وتلمسان.

ويبدو أن القطلانيين من خلال معاهدة سنة 1286م الموقعة مع السلطة الزيانية قد حققوا زعامة نوعية بتبوء القائد القطلاني المعين من طرف ملك أرغونة منصب قيادة كل المسيحيين المتواجدين على أراضي مملكة تلمسان الزيانية فلا يسمح لهم بالدخول أو الخروج أو التقاضي إلا بإذن منه[3].

ويذكر في هذا الصدد إعلام الملك "جاك الثاني" " Jacques II "برسالة بعثها من فالنسيا يوم 12 أفريل 1296م أتباعه المقيمين بمملكة تلمسان بتعيين الفارس "رودريغو سانشيز دي فرغايس" "Le chevalier Rodrigue Sanchez de Vergayz" في منصب القائد ورئيس المسيحيين التابعين لمملكة أرغونة في تلمسان ويأمرهم بالتعرف عليه وطاعته في كل ما يأمر به في هذا المجال[4]، وقد أرسل هذا القائد من طرف مليكه إلى السلطان الزياني أبي سعيد عثمان يعلمه أنه يمكن

---

[1] لم تأت المصادر التي بين أيدينا على ذكر أي ممن تولى منصب قائد المسيحيين قبل هذا التاريخ وهو سنة 1265م، غير أن وقعة إيسلي بين يغمراسن بن زيان والأمير المريني يعقوب بن عبد الحق -التي جرت أحداثها في رجب من سنة 1270م قريبا من مدينة وجدة، وكان النصر فيها للمرينيين على بني عبد الواد- تشير إلى وجود الحامية المسيحية التي ورثها الزيانيون عن الموحدين وأنها قتلت في هذه الوقعة عن آخرها وقبض على قائدها المسمى "برنيس"، انظر السلاوي، الاستقصا، ج3، ص 32.

[2] Dufourcq, L’Espagne Catalane, P 151-152.

[3] Dhina, op. cit., P 448.

[4] De Mas Latrie, Traité de paix et de commerce, -supplément et tables-, P 46.

الاستمرار في علاقات الود والصداقة والصلح إذا تعهد الزيانيون بدفع 2000 دينار كإتاوات ضريبية عن العام الحالي، مع الالتزام بدفع نفس المبلغ في السنوات القادمة[1].

وكذلك تعيين الفارس "فيليب دي مورا" "le chevalier Felip de Mora" في منصب القائد إبان حكم "أبي حمو موسى الأول"، إلى غاية سنة 1324 أو 1325م، يساعده في ذلك كاتبه "غيوم سيرفيتجي Jaume Cervitge". وقد تم إرسال هذين المبعوثين من طرف السلطان أبي حمو سنة 1318م إلى الملك الأرغوني جاك الثاني، حيث أبلغاه رسالة شفوية من السلطان الزياني تتعلق بطلب عقد معاهدة صداقة وسلام بين الدولتين، وقد طلب الزيانيون في هذه المرة من الأرغونيين تعيين الشروط المالية التي يمكن شراء السلم بها، فكان الرد الأرغوني سريعا بأن ثمن هذه المعاهدة سيكون بدفع مبلغ 20000 دينار سنويا، وكان يمكن لهذه الاتفاقية أن تسير بشكل حسن لولا المؤامرة التي دبرها أبو تاشفين بن أبي حمو وأدت إلى مقتله وتبوء ابنه مكان السلطة[2]. ثم تعيين الفارس "غيوم استوريش" " le chevalier Guillem Estrus" على رأس الجالية الميورقية، وساعده في ذلك ضباط آخرون أمثال "بار ساروش Pere Sa Roche" و"برنارد دوبونتونس Bernard de Pontons" وكذا "بار سارديني Pere Sardini" وقد لعبت هذه الميليشيات المسيحية دورا هاما إبان حكم السلطان الزياني أبي تاشفين، وكان القائد "استوريش" من أبرز قادة هذه الميلشيات العاملة في خدمة السلطات التلمسانية[3].

وظهر في الجانب الدبلوماسي كذلك "غيوم بيريز" "Jaume Pérez" هجين الملك "بيار الثالث" "Pierre III"، وكان شخصية مشهورة لعبت دورا سياسيا مميزا في الفترة الممتدة من

---

[1] Dufourcq, l’Espagne, P 327-328.

[2] رضوان البارودي، دراسات وبحوث في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، مصر، 2007، ص 25.

[3] Dufourcq, L’Espagne Catalane, P 472.

1277-1279م وذلك بسبب معرفته الواسعة واطلاعه على بلاد المغرب من خلال تنقله بين برشلونة ومختلف المدن الزيانية وحتى الحفصية[1].

وبرزت شخصية أخرى في عهد الملك "بيار الثالث" "Pierre III" هي شخصية "إكزيمان بيريز داندوسيالا" "Eximen Pérez Dandossiella" الذي فُوّض في الفترة بين شهري جانفي-فيفري من سنة 1284م كسفير لدى السلطان الزياني عثمان بن يغمراسن الذي تولى الحكم سنة قبل هذا التاريخ، وكانت مهمة هذه السفارة هي عقد معاهدة صلح وتعاون بين المملكتين الأرغونية والزيانية، لكن في المقام الأول كان هم الأرغونيين هو تحصيل الضرائب، وهو ما حدث بالفعل إذ دفع السلطان الزياني مستحقات ضريبية هي عبارة عن ديون سابقة[2]، عقدت على إثرها معاهدة الصلح والتعاون بين الملكين، مع تعهد الزيانيين بدفع إتاوات سنوية ثابتة للأرغونيين[3].

رامون دوسان ليسيرو "Ramon de San-Licerio": كلف سنة 1286م من طرف ألفونسو الثالث بالعبور إلى تلمسان لتجديد إجراءات عقد معاهدة السلم والهدنة مع الزيانيين، والتي بدأت في عهد الملك الأرغوني السابق بيار الثالث، هذه السفارة التي تزامنت في نفس الوقت مع تهديد بحري كتالاني على السواحل التلمسانية، وذلك لإرغام عثمان بن يغمراسن على قبول بنود هذه المعاهدة، وبالفعل فقد تكلل مجهود هذا السفير بالنجاح إذ توجه بعده مباشرة السفير "بار غارسيا" "Pere Garcia" -الذي كان في خدمة السلطات الزيانية- من تلمسان إلى برشلونة حاملا معه

[1]Dufourcq, L’Espagne Catalane, P 314-315.

[2] Ibid, P 319 (marge N°2).

[3]نشير هنا إلى أن الحصول على هذه النتيجة -من خلال هذه المعاهدة- وهي الالتزام بدفع ضرائب سنوية ثابتة من قبل الزيانيين لأرغونة خلال عهد بيار الثالث اعتبر كعنصر سياسي ومالي للدبلوماسية الأرغونية التي لم تستطع الحصول على هذه الميزة طيلة عهد الملك السابق جاك المحارب، ذلك أن السلطان الزياني يغمراسن كان في موقع قوة لذلك لم يكن ليستجيب لطلبات الأرغونيين بيد أن دهاء وحيلة هؤلاء أجبرت خليفة يغمراسن على قبول هذا الشرط، رغم مماطلاته الكثيرة لتجنبه.

نص المعاهدة الموافق عليها والمختومة من طرف السلطان أبي سعيد عثمان بن يغمراسن وكبار بني عبد الواد[1].

بار فرنانديز دي هيجار " Pere Fernández de Hijar(Ixar)": وهو الابن غير الشرعي لجاك المحارب، وقد عمل على توطيد العلاقات بين يغمراسن وأبيه ثم أخيه بيار الثالث وأرسل فيما بعد إلى عثمان بن يغمراسن سنة 1295م ومن خلاله طلب الأمير الزياني تأجير بعض السفن الأرغونية، وكان ذا حظوة ومكانة عند الملكين الأرغونيين السابقي الذكر، وكذا عند السلطان الزياني عثمان.[2]

برنارد بورتي: Bernard Porter: مبعوث من طرف الملك الأرغوني بيار الثالث سنة 1276م إلى ملك تلمسان يغمراسن بن زيان بخصوص الأشخاص والعائلات المسيحية أو اليهودية التي تقطن بهذه الضفة ووجوب حمايتها من أي اعتداء سواء على أنفسها أو ممتلكاتها أو أموالها[3].

برنارد ديسبيوج وبرنارد زابيلا Bernard Despuig, B.Zapila : بعثهما الملك الأرغوني جاك الثاني من برشلونة في 03 ربيع الثاني 719هـ الموافق لـ24 أفريل 1319م برسالة إلى الملك الزياني أبي تاشفين الأول لتسريح الأسرى الأرغونيين في سجون المملكة الزيانية إضافة إلى إبرام عقد صلح وتجارة بين المملكتين، عرض تأجير بعض السفن الأرغونية وتجنيد قوات مسيحية للعمل في خدمة ملك تلمسان في البر والبحر مقابل دفع مبلغ سنوي لصالح الملك الأرغوني، كما طلب هذا الأخير من أبي تاشفين القيام بهجومات على حدود ملك المغرب، لإشغاله عن الهجمات التي تريد مملكة أرغونة القيام بها في مملكة غرناطة،[4] وكذا السماح لمملكة أرغونة في حالة الحرب هذه بالتزود من المواد

[1] Dufourcq, L'Espagne Catalane, P 320-321.

[2] Ibid, P 334.

[3] Norbert Bel-Ange, Les Juifs de Mostaganem, dans la collection « Histoire et perspectives méditerranéennes », Editions l'Harmattan, Paris, 1990, P 25.

[4] De Mas Latrie, Traité, P 388.

الضرورية من سواحل المملكة الزيانية، ويلاحظ في مهمة هذين السفيرين اللباقة التي تحليا بها لتحقيق المطالب التي بعثا لأجلها من طرف الملك الأرغوني[1].

سفارة أخرى: من ملك أرغون في 22 صفر 764هـ/ 11ديسمبر 1362م برئاسة فرنسيس قوسطة (costa) إلى السلطان أبي حمو تطلب إليه أن يشهر الحرب على ملك قشتالة في مقابل أن تعيد إليه بعض المشاغبين لبني يغمراسن ممن يوجدون بمملكة أرغون، الأمر الذي انتهى إلى عقد معاهدة بين بني عبد الواد ومملكة أرغون لمدة خمسة أعوام[2]، كان القائم عليها كذلك هو الرسول فرنسيس قوسطة ويحمل عقد الصلح تاريخ 29 صفر 764هـ الموافق لـ 18 ديسمبر 1362م[3].

كما كُلف "**جوان بيرمجلين Juan Per Michelin** " القطلاني بأن يكون سفيرا لأبي حمو الثاني ويحمل مع سفيرين آخرين رسالة إلى ملك أرغون بيدرو الرابع تحمل تاريخ 04 ربيع الثاني 761هـ الموافق لـ 23 فبراير 1360م، يعرب له فيها عن عواطفه وتؤكد أنه لا يزال يمنح له المساعدة بوسق الزرع، وفيها دعوة كذلك للصلح بعد هجوم طائفة من القطلانيين على مركب بمرسى وهران[4].

كما حاولت إمارة ميورقة في هذا الوقت أن يكون لها يد في العلاقات مع السلطة الزيانية دافعها الأكبر في ذلك هو الحصول على إتاوات ومداخيل مالية، وبالمقابل كان الهم لبني عبد الواد هو محاولة تأجير السفن الحربية لاستعمالها في مواجهة الحفصيين أو المرينيين، لذلك فقد وصل إلى تلمسان منذ سنة 1320م وخلال عهد أبي تاشفين الأول مجموعة من السفراء الميورقيين يتقدمهم "بار دومونتيسون Pere de Montesón" في المرة الأولى لوحده، ثم مرة ثانية مصحوبا بالفارس "بيرينقر دوسانتاسيليا le chevalier Berenguer de Santacilia"، ثم مع "بار غارسيا"

---

[1] De Mas Latrie, Traité, P 180.

[2] عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، المجلد السابع –عهد بني مرين والوطاسيين- الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مصر، 1408هـ/1988م، ص 21

[3] نص الوثيقة كاملا مترجما باللغة العربية عند سعيدان عمر، علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان، ص 151- 165.

[4] التازي، المرجع السابق، ص 19.

"Pere Garcia" وأبرز من قدم من الميورقيين هو أحد الشخصيات الميورقية الشهيرة والعارف بشؤون بلاد المغرب "بينيت بلانكاس Benet Blancas"، دون نسيان دور الفارس "استوريش""Estrus" قائد الميليشيا الميورقية لدى بني عبد الواد، كل هذه السفارات حاولت عقد تحالف عسكري بحري بين الزيانيين والميورقيين في عهد أبي تاشفين الأول لكن هذه المحاولات لم تتوصل إلى إبرام أية معاهدة بسبب تعنت الأمير الميورقي "سانشو Sanche" والذي تشدد كثيرا وغالى في طلباته المالية[1].

تعلمنا وثيقة محفوظة بأرشيف التاج الأرغوني ومؤرخة في 18 يناير 1320م الموافق لذي الحجة 719هـ، أن الملك الأرغوني جاك الثاني أصدر تعليماته إلى أحد قضاته والمسمى **"لورنزو سيما" "Lorenzo Cima"** يأمره بسرعة التوجه إلى تلمسان لحل المشاكل التجارية بين البلدين، وتوصل هذا المبعوث إلى اتفاق يقضي بتنازل سلطات بلنسية عن ادعاءاتها اتجاه بعض التجار التلمسانيين ، وبالمثل تتنازل السلطات التلمسانية عن ادعاءاتها حيال التجار الأرغونيين، وبموجبه كذلك تتحصل السلطات التلمسانية على مبلغ قدره 17 ألف ريال بلنسي.[2]

2.2.2- من اليهـــــود:

يعقوب بن اليسار اليهودي:

وكان سفيرا من الأمير أبي عبد الله محمد السابع الذي حكم (930-949هـ) إلى حاكم وهران الإسباني وذلك في رسالة مؤرخة في 1530/01/15م يقول فيها: «لقد وصلتنا رسالة سيادتكم وفهمنا محتواها: أن خادمنا الأمين "يعقوب بن اليسار (اليهودي)" سيقدم عليكم موفدا من قبلنا، وسيقص عليكم حالتنا ههنا، وأرجوكم أن تصدقوا كل ما يقوله لكم على لساننا»[3]. ويتبين فيما بعد

[1] Dufourcq, L’Espagne Catalane, P 482-483.

[2] رضوان البارودي، دراسات وبحوث في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، ص 32.

[3] توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، ص 230.

أن هذا السفير قد أدى مهمته على أحسن وجه بدليل أن حاكم وهران أرسل تقريرا إلى الامبراطور الإسباني يبين له فيه سير المفاوضات وأن هذا اليهودي رفض أن يقرر شيئا دون الرجوع إلى أميره الزياني.

ويتكلم تقرير آخر قدمه الحاكم "بيدرو دي لودي" من وهران لنيافة الأسقف مؤرخ في 20 أوت 1531م، عن استدعاء الأمير الزياني–السابق الذكر- لأحد اليهود من وهران لاستعماله في المفاوضات مع حاكم وهران[1]. ونحن لا نعلم هل هذا اليهودي المستدعى بعد سنة من استعمال "بن اليسار" هو نفسه أم أنه شخص آخر لأن اسم اليهودي الثاني لم يرد في هذا التقرير.

ويهودي آخر ورد ذكره في رسالة من الدكتور "لابريخا"كوريجيدور[*] وهران للامبراطور الإسباني مؤرخة في 2سبتمبر 1531م يقول فيها أن "مولاي محمد" وهو الأمير الزياني الذي سلف ذكره قد أرسل في طلب شخص يستطيع التفاوض معه وأنه –أي الدكتور لابريخا- بعث له باثنين من اليهود الحذرين الأذكياء وهما أهم من وجد، ويذكر أن الأمور سارت بشكل حسن إلى أن قدم على الأمير الزياني مبعوث من السلطان العثماني، فتغيرت الأمور بشكل جذري إلى درجة أن الأمير الزياني قد قدم هذين السفيرين للقتل اعتزازا بقدوم مبعوث السلطان العثماني[2].

وتنقل "Chantel de la Véronne" في كتابها " Oran et Tlemcen dans la première moitié du 16s" أنه في بداية شهر فيفري من سنة 1509م ذهب كل من إسحاق كانسينو وأبراهام زاميرو إلى وهران كسفيرين لملك تلمسان مولاي أبي عبد الله، ثم عادا إليها في السنة

---

[1] توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، ص 231-232.

[*] تكتب بالفرنسية Corrégidor وتعني قاضي المدينة (قديما في إسبانيا)، انظر المنهل قاموس فرنسي-عربي، سهيل إدريس، دار الآداب، بيروت، الطبعة الثالثة والعشرون، 1999م، مادة -corr، ص 311.

[2] المدني، المرجع السابق، ص 232.

التالية في بعثة دبلوماسية أكثر رسمية[1]، وتم عقد اتفاقية سلام في 14 جوان 1511م بين الملك الزياني وحاكم وهران وصودق عليها في تلمسان في شهر أكتوبر من العام نفسه، وقد ضمت هذه البعثة الدبلوماسية المبعوثين السالفي الذكر كانسينو وزاميرو، بالإضافة إلى اليهودي أبراهام عزيل(Oziel) الذي كان في خدمة ملوك تلمسان، وكذا اليهودي المسمى "ميمون Maymon"، الذي أرسله الأمير الزياني على مدينة تلمسان إلى وهران آنذاك رفقة مجموعة مهمة من الوزراء والسفراء المسلمين.[2]

كما تذكر بعثات أخرى تمت بقيادة أبراهام زاميرو وصموئيل زاطورة (Zatora) وخادمه اليهودي كذلك المدعو الكوركوبادو (el corcobado) أي القرطبي، هؤلاء المبعوثين كانوا شبه دائمين بين مملكة تلمسان والإسبان الذين احتلوا مدينة وهران[3].

وفي 1537/10/09م كلف "مولاي محمد الزياني" الحاخام "**حيام بنو درهوم**" أن يطلب من حاكم وهران تسديد 4000 دينارا لبني زيان حقا لهم في الضريبة الجمركية[4].

في سنة 1529م أرسل "مولاي عبد الله" اليهوديين "**حايم وأكسيا Haym et Oxua**" إلى الإسبان، مكلفا إياهما بإعلام نظرائه المسيحيين بأن -التموين بالقمح كما اتفق عليه الطرفان- لن يكون إلا بعد تجميع كل الكمية المعلومة بميناء مستغانم قبل تاريخ 22 جوان من السنة الجارية، وكلف اليهوديان بالإشراف على هذه العملية بعد وصول السفن المخصصة لذلك من إسبانيا والتي كانت تنقصها الحماية العسكرية لذلك فقد تعرضت لهجوم تركي بعد ذلك[5].

---

[1] Chantel De la Véronne, Relations entre Oran et Tlemcen dans la première partie du XVIe siècle, Librairie orientaliste Paul Geuthner S.A, Paris, 1983, P 15-16.

[2] Ibid, PP 16-19.

[3] فوزي سعد الله، يهود الجزائر –هؤلاء المجهولون-، ص 302.

[4] حساني، الدولة الزيانية، ج2، ص 125.

[5] Chantel de la Véronne, Relations entre Oran et Tlemcen, op. cit, P 38.

وفي سنة 1544م أرسل الإسبان مبعوثين يهوديين هما **"أغوس وأكسل"**[1] فوصلا تلمسان واتصلا بالأمير مولاي محمد واستطاعا أن يتحصلا على اتفاق معه أمضي من طرفه في 28 أكتوبر 1544م الموافق ل12 شعبان 951هـ وبمقتضى هذا الاتفاق يدفع مولاي محمد لصالح الإسبان ما قيمته خمسة آلاف دينار[2].

غير أننا نجد في مصادر أخرى أسماء متعددة لأهل الذمة من مسيحيين ويهود الذين كانوا نشطين في الجانب الدبلوماسي، ونظرا لتغير الحكام الزيانيين وتصارعهم على الحكم بين الفينة والأخرى، وتحالفهم مع الإسبان، فإنهم استعملوا كثيرا من السفراء الذميين، ولم يكن همهم في ذلك إلا تحصيل عوائد مالية أكثر، واستغلال المساعدة الإسبانية للبقاء مدة أطول على كرسي الحكم، ولو كان ذلك على حساب إخوتهم أو أعمامهم أو حتى الآباء، والقتال حتى مع بني جلدتهم بمساعدة المسيحيين الذين كانوا يطمحون أكثر فأكثر لاستغلال هذا الوضع واحتلال مناطق أخرى من البلاد الزيانية كما فعلوا بوهران والمرسى الكبير وغيرها.

3.2- كتابة المعاهدات:

لأن العلاقات بين الدول الإسلامية والدول المسيحية في الأصل علاقات حرب وعداء فإن المعاهدات التي كانت تتم بين الفينة والأخرى هي "معاهدات هدنة" يتم من خلالها إعلان حالة السلم بين الدولتين المبرمتين لأي اتفاقية، وهكذا كانت علاقة الدولة الزيانية مع الدول المسيحية، إذ أن العلاقات الدبلوماسية بينها كانت تضبط فقط بسبب المعاهدات ولفترات محددة فيها، كما يتم التطرق فيها لأمور عديدة، ولعل أبرز المبادئ التي كانت ترتكز عليها وتدور حولها المعاهدات بين المسلمين عامة والزيانيين خاصة –من جهة- والدول المسيحية –من جهة ثانية- هي:

[1] لم يرد ذكر هذين المبعوثين إلا هنا، ولم نجد لهما ذكرا في كل المراجع سواء العربية أو الأجنبية(التي بحوزتنا) التي تتحدث عن العلاقات أو السفارات الدبلوماسية بين الزيانيين والمسيحيين.

[2] حساني مختار، المرجع السابق، ج1، ص 191.

1. أمن الأشخاص وحرية المبادلات.
2. سلطة القناصل ومسؤولياتهم.
3. ملكية الفنادق والكنائس.
4. المسؤولية الشخصية لرعايا الدولتين
5. ضمان نقل وحراسة وبيع ودفع حقوق البضائع.[1]
6. تبادل الأسرى وافتداؤهم بالمال.
7. ضمان عائدات الجمركة وحقوق البيع والشراء.
8. وضعية الميليشيات المسيحية.
9. عقد التحالفات ومواجهة الأعداء المشتركين.
10. تعيين السفراء وحمايتهم.

وكانت مراحل عقد المعاهدات تتم أولا بإرسال سفراء ممهدين ليس لهم صلاحيات واسعة إلا في حدود المواضيع التي سيتم مناقشتها في هذا الشأن[2]، ويمكن أن يتم ذلك عبر مراحل أو سفارات متعددة وأشخاص مختلفين ولفترة تطول أو تقصر -مثلما هو الحال في بعض السفارات المذكورة سابقا- فإذا توصلوا إلى توافق مع السلطة التي تفاوضوا معها وخلص ذلك إلى أرضية اتفاق بالمعنى المعاصر يتم إرسال سفراء مفوضين لعقد وإتمام المعاهدة بصلاحيات مطلقة لكن في إطار تعليمات واضحة وصارمة، وهؤلاء يرسلون من طرف ملوكهم إلى عاصمة الدولة مزودين بورقتين غير مكتوبتين، لكنهما ممهورتين بخاتم الملك الذي يرسم ويصادق على الاتفاقية.[3]

[1] De Mas Latrie, traité, op. cit., P 84.

[2] Atallah Dhina, Le Royaume Abdelouadide à l'époque d'Abou Hammou Moussa 1er et d'Abou Tachfin 1er, OPU, Alger, sd. P 143.

[3] Ibid, P 143.

بعد ذلك يتم كتابة المعاهدة بلغة البلد التي وصل إليها السفير، فتكون باللغة العربية إذا كان السفير المسيحي في الأراضي الزيانية أو باللغة اللاتينية أو القطلانية إذا كان السفير الزياني في البلاد المسيحية. ويتم نسخ المعاهدة على كلتا الورقتين المختومتين ويضع عليهما الملك الآخر ختمه كذلك، ويعود السفير بهذه النسخ إضافة إلى ترجمة من نسختين باللغة اللاتينية أو القطلانية للاتفاقية المكتوبة باللغة العربية –أو العكس إذا كانت مكتوبة باللغة اللاتينية أو القطلانية-ويقوم بعملية الترجمة موظف موثوق بكفاءته في هذه العملية يعين من طرف السفير المفوض، هذه الترجمة لا تصبح رسمية إلا إذا كان عليها ختم الملك. وبالمقابل يتم تصديقها وترسيمها من طرف الملك المرسلة إليه عن طريق السفير المبعوث في بادئ الأمر. ثم يحتفظ كلا الطرفين بنسختين من المعاهدة المكتوبة باللغتين، كل نسخة محررة بلغة مختلفة.[1]

وقد يحدث أن تكون الترجمة موجودة بنفس الصفحة مع اللغة الأصلية، بحيث تكون الصفحة مقسمة طوليا وتكتب المعاهدة باللغة اللاتينية أو القطلانية على يمينها والترجمة العربية على شمالها أو العكس، كما هو الأمر بالنسبة للمعاهدة الموقعة بتلمسان في 13 أفريل سنة 1339م بين جاك الثاني ملك ميورقة وأبي الحسن المريني الذي سيطر على تلمسان في تلك السنة[2].

وفيما يخص مهمة المترجم فإنها توكل إلى الموظف المعين من طرف بلده فيمكن أن يكون مسيحيا أو يهوديا أو عربيا في بعض الأحيان بالنسبة للممالك المسيحية، ويتخذ من فندق جاليته مكانا لنزوله، ويجب عليه إتقان اللغتين قراءة وكتابة ونطقا، لتكون ترجمته متوافقة وصحيحة، وعليه أن يحضر مجالس المعاهدات كلها بما فيها المفاوضات الابتدائية، وقد يعين لهذا الغرض مترجمين اثنين، وفي

[1] Dhina, Les états, op. cit., P 404.

[2] De Mas Latrie, op. cit., P 282(introduction historique).

حالات أخرى يكون كل واحد منهما من جنسية مختلفة، كما هو الحال في بعض المعاهدات المبرمة بين المسيحيين والمسلمين[1] .

ويمكن ألا تتخذ المعاهدات نفس الطريقة السابقة خاصة إذا كان السفير مسلما في الأراضي المسيحية، لكن في كل الأحوال فإن المفاوضات تجري غالبا داخل قصر الإمارة في قاعة الاستقبال الملكية أو في حديقة الملك أو في بيوت أحد الموظفين السامين للدولة كالوزراء أو الحجاب أو مسؤول مفوض لذلك، ويتم تحديد هذا المكان في الوثيقة، وقبل بدء المحادثات يحمل كل طرف ملاحظات أو مذكرات أو نقاط يتم التفاوض عليها وتشكل بنودا مبدئية للمعاهدات.[2]

ويحضر مجلس كتابة الاتفاقية السفراء المفوضون ومترجموهم والموثقون، وقنصل الدولة المعاهدة والقناصل الأجانب وبعض كبار التجار من جنسيات مختلفة، ورجال الدين الممثلين للجاليات المسيحية، وبعض شيوخ المسلمين بالإضافة إلى قادة الميليشيات المسيحية المتواجدة في خدمة الأمير، وأغلب هؤلاء يحضرون هذا المجلس كشهود، ويتم تدوين أسمائهم وصفاتهم وملاحظاتهم وإمضاءاتهم في آخر وثيقة المعاهدة.[3]

وقد يحدث أن يطلب بعض السفراء الإذن بمقابلة الملك ليسمعوا منه مباشرة موافقته على بنود الاتفاق الذي أجري باسمه من طرف ممثليه، كما حدث في بعض المعاهدات.[4]

فإذا تم الاتفاق على المعاهدة نهائيا يجري إعلانها بين العامة في الدولتين المتعاهدتين أو على الأقل في موانئ الدولة المسيحية، لكن تبقى هذه المعاهدة هشة لأنها تربط بين الملكين اللذان وقّعاها أكثر مما تربط دولة بدولة، حيث أنه في حال وفاة أحد قادة الدولتين أو انتقال السلطة منه لآخر

[1] De Mas Latrie, op. cit., P 284-288 (introduction historique).

[2] Ibid, P 276.

[3] Ibid, P 277-279.

[4] Ibid, P 277.

تكون هذه المعاهدة معرضة للإلغاء تلقائيا إذا لم يسارع الأمير الجديد بتثبيتها وإعلان قبوله باستمراريتها.[1]

وعند إبرام عقد الاتفاقية تجري مراسلات بين الملكين الموقعين لها يعبر فيها كل منهما عن رغبته في الالتزام ببنود هذه المعاهدة، وتطويرها، وشكر على قبول المصادقة عليها، وتنويه بما قدمه السفير من أجل إبرامها وتقريب وجهات النظر بين الطرفين، وكدليل على كل هذا يتبادل الملكان الهدايا والتحف النادرة أو حتى إطلاق سراح بعض الأسرى الجدد كبرهان على صدق العلاقة وعلاقة الصداقة المتوجة بهذه المعاهدة[2].

من جانب آخر يبقى الاتفاق الموقع رهين التقلبات والأجواء السائدة في ذلك العصر، حيث أنه يمكن نقض الاتفاقيات بسبب تكرار أفعال مخالفة من أحد أفراد من الدولتين، خاصة إذا علمنا أن القرصنة في ذلك العصر كانت منتشرة إلى حد يقلق التجارة بين البلدان المتخذة من البحر ممرا ومعبرا لمبادلاتها التجارية، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تقضي معاهدة من المعاهدات على هذه الظاهرة حتى بين أفراد الدول المتعاقدة. لكن الأمر الذي يخفف من خطورتها هو الحركية التجارية المتزايدة في ذلك الوقت، لأن المبادلات لا تتوقف حتى بين الدول غير المرتبطة باتفاقية سلم أي التي هي في حالة حرب بمعنى آخر، فالحرب لن تمنع التجارة حتى وإن كان السلام هشا وصعبا في معظم الأوقات لأن الحرب والعداء ليست هي الأصل في العلاقة بين الدول[3].

وبإلقاء نظرة عامة على الاتفاقيات التي عقدت بين الدولة الزيانية ونظيراتها المسيحية وخاصة المملكة الأرغونية نخلص إلى أنه من جهة أولى أن سياسة هاته الدول اتجاه الزيانيين إنما كانت هي الحصول على قدر أكبر من الأموال في شكل ضرائب أو عائدات الجمركة عبر الموانئ، إذ أنهم كانوا يعتبرون المملكة الزيانية مصدر أموال لا غير -خاصة أنها تتربع على الموقع الاستراتيجي على طريق

---

[1] Dhina, Le Royaume, op. cit., P 143.

[2] De Mas Latrie, op. cit., P 288(introduction historique).

[3] Dhina, Le Royaume, op. cit., P 143-144.

ذهب السودان- وأكبر دليل على هذا أن معاهدة "مونتيجيديو Monteagudo" التي عقدت في نوفمبر-ديسمبر 1291م بين سانشو الرابع الميورقي وجاك الثاني الأرغوني تم فيها تقسيم الشمال الإفريقي بين الدولتين، حرصت فيها أرغونة على أن تكون بلاد المغرب الأوسط من نصيبها وفعلا حصلت على ذلك.[1]

ودليل آخر أنه في سنة 1317م حرك جاك الثاني بعض السفن للقيام بحركة قرصنة في البحر الرومي على السواحل الزيانية، خاصة أنها كانت في حالة حرب مع أمير مليانة، وكان الهدف الأكبر من هذه الحركة هو إجبار الزيانيين على الدخول في مفاوضات جديدة والرضوخ لمطلب الأرغونيين والميورقيين بدفع إتاوات وضرائب ثابتة للمسيحيين.[2]

ومن جهة ثانية فإن دولة بني عبد الواد خاصة والدول الإسلامية المجاورة لها عامة لم يكن اهتمامها منصبا على عقد اتفاقيات مع الدول المسيحية إلا للضرورة التجارية، فلم يكن هناك تبادل للسفراء (لم يعرف عن هذه الدول جميعها أنه عينت سفراء دائمين لها لدى الدول المسيحية) إلا للأغراض التجارية البحتة أو لتسهيل التفاوض حول معاهدة من المعاهدات المزمع عقدها، التي غالبا ما تكون محاطة بعديد التحفظات أو الاحتياطات الدينية من الجهتين، وإلا فإن كل الاتفاقيات لم تكن مدفوعة بضرورة التعايش بين هذه الدول أكثر مما كانت مدفوعة بالفوائد والعائدات التجارية والمالية لكلا الطرفين حتى في حالات الحرب القصوى[3].

هذه العلاقات المدفوعة دوما بالمصالح التجارية والمالية للدولتين الزيانية وإحدى الدول المسيحية، لم تمنع أن تتضمن بعض الرسائل التي كانت ترسل من طرف هذا الملك أو ذاك بعض عبارات الود والصداقة رغم أنها لا تمثل في نظرنا إلا محاولة لاستجلاب عطف وكسب ود الطرف

---

[1] Dufourcq, l'Espagne Catalane, P 328.

[2] Dhina, Le royaume, P 142.

[3] Dhina, Les états, P 405.

الآخر، ومن هذه العبارات نجد في الرسائل الأرغونية « l'amitié » بمعنى الصداقة و« amour »[1] بمعنى الود والمحبة، أما في الرسائل الزيانية فنجد عبارات تُدلل على إرادة من السلطة لتوثيق علاقات الود والصداقة مثلا "أسباب المواصلة والوداد" و"تجديد ما كان بين الأسلاف من المودة والاعتقاد" و"الصداقة بيننا وبينكم"[2].

3-الدور العسكري ومناصب أخرى:

1.3- الدور العسكري:

أما عن الدور العسكري الذي أداه أهل الذمة في الدولة الزيانية فمعلوم أن ملوك الدولة منذ ابتداء أمرها تداولوا على استعمال النصارى كحامية للسلطان، ويستعرض السلطان الزياني أبو حمو موسى في كتابه لابنه طبقات الجند، بدءا من الطبقة الأولى حتى يصل إلى الطبقة الرابعة منهم فيقول: "وهم أجناد السلطان ويتألفون من الأعلاج والنصارى والأغزاز والوصفان وهؤلاء "احتياطيين" لقمع كل عصيان ويجب لذلك أن يكونوا شجعانا ذوي بأس، كما يجب على السلطان ألّا يدعهم يفارقونه طرفة عين"[3].

وأول من استعمل النصارى هو يغمراسن بن زيان إذ ورثت الدولة الزيانية من الموحدين فرقة مؤلفة من ألفي فارس مسيحي، كان على رأسها ناصح الخصي الأوربي وهو قائد هذه الميليشيا والذي تسميه العرب أخو الكونت "Akho'lcomt"[4] وقد خص يغمراسن هذه الفرقة بحراسته لكن بينما

---

[1] De Mas Latrie, Traité, p 290-294(العبارات مترجمة من اللغة اللاتينية)

[2] ينظر وثيقة رقم 91، رسالة مرسلة من الملك الزياني أبي تاشفين الأول إلى ملك أرغونة جاك الثاني بين سنتي 1323-1324م، سعيدان عمر، علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان، ص 88-89.

[3] أبو حمو موسى الزياني، واسطة السلوك، ص 79.

[4] De Mas Latrie, Traité, P 126 (Introduction historique)

هو يستعرض جيشه بباب القرمادين قامت بمحاولة انقلاب عليه فأحاط بهم الجند من كل مكان واستأصلوهم جميعا، بعد أن قتل أخو يغمراسن واسمه "محمد" في تصديه للمحاولة، وذلك بتاريخ 25 ربيع الثاني سنة 652هـ، ومنذ ذلك التاريخ لم يستخدم بنو عبد الواد جند النصارى[1].

لكن عدة شواهد تقوم دليلا على أن بني عبد الواد قد لجأوا من جديد إلى استخدام المسيحيين كميليشيات مقربة لحمايتهم، وغير بعيد عن تاريخ المحاولة الانقلابية السابقة الذكر نجد أنه في سنة 670هـ وفي عهد يغمراسن ذاته وفي معركة إيسلي بينه وبين السلطان المريني أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق التي يقول عنها ابن خلدون: "وهلك عامة عسكر الروم لثباتهم بثبات السلطان يغمراسن فطحنتهم رحى الحرب وتقبض على قائهم "بيرتيس" أو "برنيس"وانهزم الباقون[2].

ودليل آخر على أن ملوك تلمسان كانوا لا يزالون يستعملون النصارى كجنود وميليشيات رسالة أبي حمو الثاني إلى الملك الأرغوني بيدرو الرابع المؤرخة في 22 صفر 764هـ/ 11ديسمبر 1362م " وأما قضية النصارى الذين كانوا أخذوا في الأجفان وخرجوا بمرسانا هنين المحروسة...خلينا سبيلهم وسرحنا جميعهم...امتنع عن الجواز أكثرهم واختاروا الإقامة، وطلبوا منا الخدمة المستدامة... فرددنا عليهم خيلهم وأرجعناهم إلى خدمتهم وأجرينا عليهم مرتباتهم وزدناهم على عادتهم..."[3]. فهذه العبارات تدل على استمرار استعمال النصارى كميليشيات لدى سلاطين تلمسان مع إجراء المرتبات عليهم. وتدل عبارات أخرى أن أعدادهم كانت معتبرة إذ في تتمة هذه الرسالة يقول السلطان الزياني أبو حمو أنه قد أراد الجواز من هؤلاء النصارى المحتجزين سابقا حوالي الثلاثين، وهو قبل ذلك يقول أن الذين امتنعوا عن الجواز هم الأغلبية[4].

---

[1] يحي بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص 206.

[2] عبد الرحمان بن خلدون، كتاب العبر ، ج7، ص 244.

[3] سعيدان عمر، علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان، ص 138-139.

[4] نفسه، ص 139.

وكان توظيف هذه الميليشيات في خدمة سلاطين المغرب كلهم وبني عبد الواد خاصة لأنهم يرون فيهم الشجاعة والإخلاص رغم ما بدر منهم في حادثة سنة 1256م، ومن جهة المسيحيين فإن توظيف هؤلاء كان يوفر لهم مداخيل مالية كبيرة، إذ يجري دفع ثمن الخدمة مباشرة إلى حساب الملك المسيحي الذي ينتمي إليه هؤلاء الجنود، إضافة إلى اقتطاع جزء مهم من رواتبهم لصالح مملكتهم[1].

وقد كانت رواتب الجند العاملين ضمن الميليشيا المسيحية مرتفعة إلى حد ظاهر، حيث كانت تتراوح بين خمسة دنانير وخمسين دينارا ذهبيا في كل شهر، وما يؤكد أن ملوك أرغونة كانوا مستفيدين بصفة كبيرة من توظيف هؤلاء الجنود، أنهم كانوا حريصين على تعيين قياداتهم بأنفسهم ويولون ذلك اهتماما كبيرا، ويحاولون مد نفوذهم في كثير من الأحيان إلى بقية الجنود المسيحيين المستخدمين من طرف ملوك المغرب بغض النظر عن جنسياتهم[2].

والظاهر أن الجند المرتزقة كانوا يسكنون في حي منفصل خاص بهم يعرف بربض النصارى وكانوا يتمتعون بأداء شعائرهم الدينية ويديرون شؤونهم بأنفسهم، كما كانوا معفيين من جميع الضرائب والرسوم الجمركية ويخضعون لسلطة قوادهم القضائية[3].

وكان حرص رجال الدين المسيحيين على عدم تحول هؤلاء الجند إلى الإسلام كبيرا فقد حث البابا "نيكولا الرابع" "Nicola IV" سنة 689هـ/1290م العاملين في خدمة ملوك المغرب على التمسك بديانتهم والتحلي بالسلوك القويم وعدم اعتناق الإسلام، وهذا في حد ذاته يعد تنبيها للمسيحيين الذي يعملون مرتزقة في الفرق العسكرية لصالح المسلمين من جهة ويعتبر اعترافا من جهة

[1] Dhina, les états, P 446-447.

[2] Dufourcq, L'Espagne Catalane, P 70.

[3] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 189.

أخرى بهذه الخدمة من البابا نفسه، لأن السلطة البابوية كانت تأمل في أن تجني من هذه الخدمة بعض المزايا لفائدة المسيحية في بلاد المغرب عامة ومدينة تلمسان على وجه الخصوص[1].

2.3- الجوسسة:

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن استعمال أهل الذمة عامة واليهود خاصة في أعمال الجوسسة وتتبع الأخبار وكذا العمل لصالح الأعداء نجد أمثلة يسير عن ذلك في العهد الزياني، ومن هذه الأمثلة البارزة هو العمل الذي قام به اليهودي الذي كان قائما على جمع المكوس والضرائب في مدينة وهران خلال بداية القرن السادس عشر للميلاد لصالح السلطة الزيانية اسمه "موسى أشطورة"[2] أو"زطورة" "Stora" أو "Zatora"، وعند صاحب الاستقصا هذا اليهودي له تسمية أخرى فهو "الزاوي بن كبيسة"، ولعل الرجل يكون واحدا أو أن هناك يهوديين اثنين تعاونا على ذلك خاصة أن المصادر الإسبانية تذكر وجود يهوديين بهذين الاسمين في نفس الفترة في مدينة وهران هما "Zatora" و"Xixa " فأيهما الخائن الأول أم الثاني أم الإثنين معا؟[3]

حاصل الأمر أن هذا اليهودي اشترى الإسبان ذمته بمال وفير ووعود جمة لا حصر لها، واشترى هو الآخر بنفس الوسيلة ذمة اثنين من المسلمين وهما القائد "عيسى العريبي" و"ابن قنص" كانا يعملان تحت إدارته، والقائمين على جمع المكوس بمداخل أبواب المدينة لحساب سلاطين الدولة العبد الوادية، على أن يسلموا المدينة للجيش الإسباني في الموعد المحدد وبينما أهل المدينة يعدون العدة لمواجهة الإسبان وجدوا الباب قد فتح من ورائهم بتدبير اليهودي ورفع فوقه الصليب الأحمر الذي كان علامة بين المتآمرين، ودخل الجيش الإسباني المدينة واستباحها وقتل فيها أزيد من 4000

---

[1] فيلالي، المرجع نفسه، ص 188. انظر عن نص الرسالة كذلك De Mas Latrie, Traité, P 150(introduction), Traité(suppléments et tables) , P17.

[2] توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة، ص 110.

[3] فوزي سعد الله، يهود الجزائر، ص 91، هامش 2.

مسلم واقتاد أكثر من 8000 فردا حولوا إلى عبيد في إسبانيا[1]. وكان من نتائج هذه الحملة احتلال وهران، واعتراف أبي حمو الثالث بنوع من التبعية لإسبانيا والتعهد بدفع جزية سنوية لها، وخضع كذلك رجال قبائل بني عامر، وغيرهم من الأعراب الواقعين ضمن دائرة وهران الإسبانية[2].

ومكافأة من الإسبان لهؤلاء اليهود أسكنوهم ببرج المرسى وأصبح يعرف بـ"برج اليهودي"، وجعلوا لهم من الصولة على المسلمين شيئا كثيرا فأصبحوا هم المتحكمين في قبض اليهود من المسلمين، وأقر الإسبان اليهودي أشطورة على عمله كمكاس وقابض للمال وضموا إليه مخازن سميت باسمه، وتوارثها بنوه من سنة (915-980هـ)[3]، وأصبح يخرج إلى القبائل ليقبض منهم الضرائب، فيضرب خباءه بواسطة دواوير بني عامر من أولاد عبد الله وغيرهم، ويتصرف فيها تصرف الملك في رعيته بما شاء يأمر وينهى فيصفد هذا في الأغلال ويضع على رجل هذا الأكيال ويجلد هذا ويتجلى سبيل هذا إلى غير ذلك، دون معترض له[4]، وكان لهذا اليهودي جوار من أحسن بنات الإسلام وفي هذا يقول الشاعر الشيخ أحمد بن القاضي في قصيدة يذم فيها الأعراب المتخاذلين المتذللين لحكم هذا اليهودي:

عليكم لحاف الذل أين فحولكم؟	أما أبصروا في السبي غير الحرائر
وتحت اليهودي غـــادة عربيـــة	يعاليهـا الخنزيـر فوق الهزابـــر[5]

---

[1] المدني، المرجع السابق، ص 100-101.

[2] المرجع نفسه، ص 102.

[3] يحي بوعزيز، وهران، منشورات وزارة الثقافة، مديرية الدراسات التاريخية وإحياء التراث، الجزائر، 1981م، ص 150.

[4] حساني، المرجع السابق، ج2، ص 160.

[5] المدني، المرجع السابق، ص 106-107. هذين البيتين يذكرهما المؤرخ المرحوم أبو القاسم سعد الله في موسوعته تاريخ الجزائر الثقافي على نحو آخر وبإضافة بيت هو:

فمن مبلغ عني قبائل بني عامـــر	ولا سيما من قد ثوى تحت كافر
أيا معشر الإسلام أين فحولكم؟	أما أبصروا في السبت عبد الحرائر
وتحت اليهودي غـــادة عربيـــة	يعالجهـــا الخنزيـــر فوق المزابـــر

وحتى أن اليهودي زطورة أصبح يحضر توقيع الاتفاقيات بين الإسبان والمسلمين، فقد وقع اتفاق بين شيوخ القبائل (شيخ قيزا وبوصفرو وأحمد القشتاني شيخ مصغرين) وبين الكوديتي حاكم وهران على عدم مواجهة مضاربهم بحضور كبار ضباطه وبعض أفراد من الجالية اليهودية يتقدمهم موسى زطورة[1].

إلا أن بعض المؤلفين يذكرون أن "زطورة " هذا قد اعتقل من طرف "عروج" سنة 1517م لدى دخوله إلى تلمسان، وصلب واستصفيت أمواله[2].

وقد استعمل الزيانيون كذلك بعض أهل الذمة في مصالحهم داخل القصور حتى لأعمال الجوسسة فقد وظف عثمان بن يغمراسن جارية رومية في البلاط المريني أهداها ليوسف بن يعقوب بعد أن دربها أسلوب الكتابة السرية أو علم التعمية، وعلى التجسس والتقاط الأخبار، وزودها بالورق الخاص بذلك، فكانت الجارية الرومية تبعث له بالمعلومات الهامة التي تتعلق بالبلاط وخططه ونواياه واستعداداته العسكرية وغيرها من المعلومات التي تساعد الخصم[3]. ومن أمثلة ذلك أن وفدا دبلوماسيا أرسله عثمان بن يغمراسن يضم "الخطيب" ابن الحاجب عثمان بن عامر، ووصل الأمر بهذا الشخص إلى أن اختلى بالسلطان المريني وأطلعه على أسرار البلاط الزياني، وتمادى معه في الحديث عن السلطان ، وكانت الجارية الرومية تسمع كل هذا الحديث فأرسلت به لعثمان بن يغمراسن الذي سارع إلى نكبة "الخطيب" وأبيه الحاجب وأسرته وقتلهم قتلا شنيعا وصادر أموالهما وسبى كل ما كان لهم من حريم[4].

=ويعزو هذه الأبيات إلى الشاعر ابن محلى، ينظر أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1998م، ص 262.

[1] حساني مختار، الدولة الزيانية، ج1، ص 204.

[2] Chantel de la Véronne, Relations entre Oran et Tlemcen, op. cit, P 25.

[3] فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص 25.

[4] نفسه، ص 26.

وتم توظيف النصارى واليهود حتى في أعمال التفتيش عند الأبواب، إذ يقول ابن مرزوق صاحب المسند الصحيح عن استيلاء المرينيين على تلمسان:"ولما استولى أبو الحسن المريني على تلمسان وأحوازها أسقط عنهم -رضي الله عنه- الربع من المغارم وشتى المجابي والملازم وأسقط ألقابا كانت منكرة جملة فلم يبق لها أثرا منها ما كانت تعم به البلوى من المطالبات في الأبواب من التفتيش الذي لا يحترم فيه من الناس أحد، فيتولى المسلم نصراني ويهودي وخارجي ويحيطون به ويفتشونه من رأسه إلى قدمه ظاهرا وباطنا لما عسى أن يدخل به من السلع التي يوظف عليها مغرما من المغارم، وحتى النساء يوكل بهن يهوديات يفتشنهن ويدخلن أيديهن إلى لحومهن، وفي هذا من الشناعة والبشاعة مالا يخفى، وكان هذا العمل في تلمسان وأعمالها."[1]

وكذلك اتخذ بعض أمراء الدولة الزيانية خاصة في فترة الضعف والانهيار خداما ومساعدين من أهل الذمة فقد جعل الأمير أبو مالك عبد الواحد الذي حكم لفترتين (814-827هـ/1411-1424م) و(831-833هـ/1428-1430م) أعوانا من اليهود وأعيانا وجعلهم من خلصائه وندمائه حتى أنكر عليه ذلك فقهاء المدينة وعلماؤها وفي هذا يقول الفقيه ابن مرزوق الحفيد:

تلمســان دار لا تليق بجاهنـــا ولكن لطف الله نسأل في القضا

فكيف يرجى الخير ممن يسوسه يهود وفجـــار ومن ليس يرتــضى[2]

كما سخر أغلب أمراء بني زيان المتأخرين كثيرا من أهل الذمة ليكونوا سفراء لهم عند الدول المسيحية أو ممثليها، خاصة بعد احتلال وهران من طرف الإسبان، فقد كان السفير الإسباني "سلمون تورنيرو Salamon Ternero" من أبرز من قام ببعثات دبلوماسية بين الزيانيين والإسبان في وهران

[1] محمد بن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعياد، صدر عن وزارة الثقافة، سحب الطباعة الشعبية للجيش، 2007، ص 285.

[2] ابن الأعرج، زبدة التاريخ، مخطوط المكتبة الوطنية بالرباط، المملكة المغربية، رقم د-3657، ورقة 98.

أو إسبانيا، خصوصا في عهد الأمير الزياني"أبو سرحان المسعود" سنوات 1520-1521م[1]، كما استعمل الأمير "أبو عبد الله محمد السابع" الذي حكم بين (930-949هـ) اليهود لخدمته وتعامل مع كل من يضمن له الوفاء والبقاء في السلطة، إذ جعل اليهود وسطاء بينه وبين الإسبان في التعاون الاقتصادي والسياسي[2].

3.3-مناصب أخرى تولاها أهل الذمة:

ومن الجدير بالذكر أن بعض المؤلفين[3] ذكروا تولي أحد اليهود مهنة الحاجب لدى سلطان الدولة الزيانية، وهو الحاجب "خليفة بن رقاصة" الذي تقلد عدة مناصب حتى بلغ إلى منصب الحاجب، ثم تدخل في عمل مخابراتي خلال حصار تلمسان وتعاون مع الزيانيين وسرب إليهم المؤن والذخيرة، لكن ابن خلدون يذكر أن آل رقاصة كانوا ضمن الحاشية المرينية التي رافقت السلطان المريني يوسف بن يعقوب في حصار تلمسان فلما أحس منهم تعاليا واستئثارا بالأمر دونه أهلكهم في شعبان من سنة 701هـ بما فيهم خليفة بن رقاصة وأخيه إبراهيم ولم يستبق منهم إلا ابن عم لهم يسمى خليفة الأصغر أهلكه هو الآخر السلطان أبي الربيع سنة 710هـ[4].

---

[1] Chantel de la Véronne, Relations entre Oran et Tlemcen, op. cit, P 28.

[2] فيلالي، تلمسان، ج1، ص 77.

[3] ينظر سعد الله فوزي، يهود الجزائر، ص 113، نقلا عن "André Chouraqui" في كتابه " La saga des Juifs en Afrique du Nord" ص82. ثم يعيد ذكره ص 296. نقلا عن "Nicol Serfaty" في كتابها " Les courtisans Juifs des sultans marocains"، ص 95. لكن بالرجوع إلى الكتاب الأخير نجد أنه لا ينقل إلا رأي "ابن خلدون" القائل بأن بني رقاصة هؤلاء كانوا في خدمة السلطان المريني أبي يعقوب، وأنه هو الذي استصفاهم خلال الحصار المريني لتلمسان، ينظر Serfaty, S.Nicol, Les courtisans Juifs des Sultans Marocains 13e-18eme siècle –hommes politiques et hauts dignitaires XIIIe-XVIIIe Siècles, Préface de Haïm Zafrani, Editions Bouchène, Saint Denis, France, 1999, P 90-95.

[4] ينظر عبد الرحمان بن خلدون، كتاب العبر، ج7، ص 307، 316.

ومن بين الملاحظات التي نوردها هنا حول تبوء اليهود لمنصب سياسي هي فرضية أن يكون رئيس بلدية تمنطيط في عهد الدولة الزيانية يهوديا وذلك حوالي منتصف القرن التاسع للهجرة الخامس عشر للميلاد، هذه الفرضية أصلها هو الرحالة "أنتونيو مالفنت" "Antonio Melfant" الذي تعود أصوله لمدينة جنوة الإيطالية، وقد بدأ رحلته من جنوة سنة 1446م مارا بهنين إلى تمنطيط، مهمته الأصلية هي التعرف على طريق ذهب السودان، وقد وصل هذا الرحالة إلى مدينة تمنطيط نقطة العبور للذهب بين سنتي 1446-1447م وقضى بها 3 سنوات قبل أن توافيه المنية هناك[1]، وفي خلال إقامته بالمدينة -التي كان أغلب سكانه يهودا أغنياء- كان ضيفا لدى رئيسها "يحي بن إدير أو يدير" "Yahia ben Idir" الذي يقول عنه أنه تاجر يهودي كبير ارتحل من تلمسان سنة 1438م إلى تمنطيط وكوّن بها ثروة عظيمة جعلته يتبوأ مكان الصدارة بين أغنياء اليهود فأصبح رئيسا لها[2].

هذه القضية وهذا الرأي لم يذهب إليه إلا "فانسنت مونتاي" "V.Monteil"، غير أن أغلب المؤرخين يجعلون "يحي بن يدير" فقيها وعلامة قدم إلى توات سنة خمسة وأربعين من القرن التاسع الهجري ومن تلامذته الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، والشيخ عبد الله العصنوني قاضي توات، وقد توفي بهذا الإقليم في يوم الجمعة العاشر من صفر عام سبع وسبعين وثمانمائة.[3]

إلا أن المعلوم أن اليهود قد شكلوا قوة اقتصادية وسياسية في منطقة توات وعاصمتها تمنطيط ومن غير المستبعد أن يكونوا مسيطرين على مركز القرار والسلطة بها، هذا إن لم يكونوا هم من

---

[1] Jacob Oliel, Les Juifs au Sahara, le Touat au Moyen Âge, CNRS Editions, Paris, 1994, P 88.

[2] Ibidem نقلا عن Vincent Monteil في مقاله في مجلة هسبريس المعنون بـ: Problème du Sahara occidental-Juifs et Judaisée, Hesperis N°XXXVIII, 1951, P28, note N°1.

[3] أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1422هـ/2002م، ص 509.

يشكلون السلطة في حد ذاتها، وخير دليل على ذلك هو تصدي الإمام المغيلي لهم نظرا لسطوتهم وتحكمهم في البلاد والعباد.

وهناك نازلة عند الونشريسي تتحدث عن يهودي أصبح متصرفا لبيت مال المسلمين في الدولة (لكن السؤال غير واضح عن أي دولة هل هي الدولة الزيانية أم غيرها) وبيده وزن الدراهم المقبوضة والمصروفة ونقدها، وسئل بعد ذلك عن حكم توليته وهل يعزل ويستبدل بمسلم ثقة، فأفتى بوجوب ذلك وبين حكم الشرع فيه.[1]

كما يذكر المؤرخون أن قهرمانة القصر الزياني كانت نصرانية تسمى "دعد" وكانت تقوم بالإشراف على الجواري النصرانيات المجلوبات لخدمة الأمراء الزيانيين، والتنظيف والأعمال المنزلية المختلفة وتربية الصغار[2].

[1] الونشريسي، المعيار، ج12، ص 376.

[2] روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13إلى نهاية القرن15م، ج1، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1988، ص 490.

4.حركة المغيلي ضد امتيازات اليهود:

1.4 ترجمة الإمام المغيلي:[1]

هو أبو عبد الله، محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني، (والمغيلي : بفتح الميم نسبة إلى قبيلة مغيلة وهي قبيلة من الأمازيغ الأشاوس استوطنت تلمسان ووهران و المغرب الأقصى، وهي فرع من قبيلة صنهاجة الأمازيغية المشهورة في التاريخ وهي كبرى شعوب الأفارقة البيض)[2] ولد في مدينة تلمسان سنة 790 هـ/ 1425م، من عائلة راقية النسب، ومشهورة بالعلم والدين والشجاعة في الحروب وهو يعتبر العالم رقم عشرين في سلالة المغيليين التي تبتدأ بإلياس المغيلي [و هو ذلك العالم الأمازيغي الذي اعتنق الاسلام ، وحمل لواء الجهاد فكان له شرف المشاركة مع طارق بن زياد في فتح بلاد الأندلس]، ينتهي نسبه إلى الأدارسة أولاد الإمام علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء رضي الله عنهما، والده الشيخ عبد الكريم اشتهر بالعلم والصلاح، كما أن أمه اشتهرت بأنها سيدة فاضلة تحب الفقراء والمساكين وتنفق عليهم بسخاء، وقد قام هذان الوالدان بتربيته وتنشئته تنشئة حسنة.

تلقى المغيلي العلم بتلمسان التي ولد بها ثم ارتحل إلى مدينة بجاية ثم الجزائر والتقى بكبار علماء العصر وتلقى عنهم وسمعوا منه وأجازوه منهم أحمد بن إبراهيم البجائي وأبو علي الزواوي المنجلاتي، والإمام أبي العباس الوغليسي والعالم الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي الذي أعجب بذكائه وفطنته فزوجه ابنته اعترافا منه بعلمه وفقهه وأدبه.

---

[1] عن ترجمة الإمام المغيلي ينظر: أبو عبد الله محمد بن مريم التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986م، ص 253-257. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج6، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، مايو 2002، ص 216. أحمد الحمدي، الإمام المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية، مؤسسة الجزائر، ط1، 1422هـ/2002م، ص 92.

[2] الوزان، وصف إفريقيا، ج1، ص 36-38.

وللإمام تآليف عديدة في الفقه والتفسير والفكر والشعر منها[1]:

- شرح البيان في علم التبيان.
- البدر المنير في علم التفسير.
- شرح مختصر خليل وعنوانه مغني النبيل.
- تأليف فيما يجب على الملوك
- مصباح الأرواح
- شرح منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب
- رسالة في الخلافة
- رسالة في اليهود

ولما رأى الإمام تسلط اليهود واستئثارهم بالمناصب وتحكمهم في رقاب المسلمين وجباية أموالهم بمدن بجاية وتلمسان وغيرها قرر الرحيل إلى الصحراء حيث النقاء والصفاء والبعد عن المكدرات، فانتقل إلى إقليم توات وبالضبط إلى مدينة تمنطيط التي كانت آنذاك حاضرة الإقليم والمركز الاقتصادي له ومعبرا من معابر التجارة مع بلاد السودان، لكنه وجد بها نفس ما نقمه في حواضر الدولة الزيانية الشمالية، إذ شهد بها تحكما كليا لليهود سياسيا واقتصاديا حتى أن المسلمين كانوا لا يجدون بدا من طاعة هؤلاء بسبب تحكمهم في كل مجالات الحياة.

---

[1] ينظر عن هذه التآليف وباقي تآليف الإمام المغيلي، محمد بن عبد الكريم المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، ضمن كتاب رسالتان في أهل الذمة، دراسة وتحقيق عبد المجيد الخيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1421هـ/2001م، مقدمة التحقيق للرسالة الأولى، ص 13-14.

2.4- حركة المغيلي:

بدأ فصل جديد في حياة المغيلي وسكان البلاد وحتى اليهود إذ أطلق الإمام حملة لرد الاعتبار للمسلمين وإعادة اليهود لمرتبتهم التي حددها لهم الشرع الإسلامي على أساس أنهم أهل ذمة.

وقد أنكر بعض المسلمين في توات على اليهود القاطنين في المنطقة، سلوكهم، ومخالفتهم للقوانين، وللتراتيب التي حددها لهم الفقهاء المسلمون، على مر العصور. وتفاقمت الأزمة بعد أن شيد أولئك السكان من اليهود، كنيسة جديدة لهم في "تمنطيط". وأثار هذا الخبر ثائرة المسلمين ، الذين اعتبروا تشييد معبد جديد، مخالفة صريحة للشريعة التي تسمح للذميين بإصلاح معابدهم القديمة فقط، وتحظر عليهم بناء معابد جديدة، غير أن بعض العلماء المحليين، وعلى رأسهم قاضي المدينة الشيخ عبد الله العصنوني، خالفوا أولئك النفر من المسلمين وقالوا: إن اليهود ذميون، لهم ما لأهل الذمة من الحقوق المنصوص عليها في كتب الفقه[1]. وقد احتج كل فريق بآيات قرآنية كريمة وبأحاديث نبوية شريفة، وبأقوال السلف من الأئمة والفقهاء، غير أن كلا الفريقين لم يقو على فرض آرائه، وعلى استمالة عامة الناس إليه. وكان في مقدمة الناقمين على اليهود، العالم الكبير محمد بن عبد الكريم المغيلي. وقد اشتهر هذا الفقيه بنشاطه، وبحيويته في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وفي نشر تعاليم الإسلام و محاربة البدع و الخرافات خاصة ببلاد الزنوج حيث أصدر فتوى أكد من خلالها: " أن سيطرة اليهود على عموم نواحي الحياة في تلك الديار، وبخاصة النواحي الاقتصادية، يتنافى مع مبدأ الذلة والصغار التي اشترطها الإسلام مقابل حمايتهم وعيشهم بين ظهراني المسلمين، وعليه فإن هذا التفوق لليهود وإمساكهم بزمام السلطة من خلال سيطرتهم على التجارة، يستوجب -في نظر هذا العالم- محاربتهم وهدم كنائسهم وكسر شوكتهم ليعودوا إلى الذل والصغار[2]". وقد أثارت هذه الفتوى، من قبل الإمام المغيلي، ردود فعل كثيرة في أوساط معاصريه من العلماء بين مؤيد ومعارض.

[1] فوزي سعد الله، يهود الجزائر، ج1، ص 82-83.

[2] محمد بن عبد الكريم المغيلي، رسالة في اليهود، تقديم وتحقيق عبد الرحيم بنحادة، عمر بنميرة، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط، الطبعة الأولى، 2005م، ص 86.

ولما حمي الوطيس بين الفريق المناصر لمحمد بن عبد الكريم المغيلي، والفريق المعارض له، واشتد الخلاف بين المسلمين، راسل كلا الفريقين أكبر علماء العصر في تلمسان، وفي فاس، وفي تونس، وكانت المدن الثلاث العواصم السياسية، والدينية، والثقافية للأجزاء الثلاثة من المغرب الإسلامي الكبير. ومن خلال الرسائل التي بعثها هؤلاء إلى كبار علماء العصر، يستفتياهم في القضية، كان كل فريق يأمل في تأييد موقفه ضد موقف الفريق الآخر، المتهم بمخالفة تعاليم الشريعة.

وقد أورد المغيلي أنه قد سئل عن وضعية اليهود في الصحراء: "ما تقولون في مسألة قبائل في آخر الصحراء حيث لا تنالهم أحكام الأمراء يتخذهم اليهود أخلاء يلقبونهم بالغلائف فيأوونهم وينزلونهم في قصورهم ويجعلون الحوارير والسكة بأيديهم دون أمير يكون عليهم فيغشون المسلمين ويخونونهم ويحجرونهم شيئهم ويخدعونهم ومتى قام عليهم أحد من المسلمين كفته غلائفهم وخاصمته دونهم حتى لا يتوصل إلى أخذ الحق منهم"[1] وهذا ما جعله يراسل علماء الأقطار لاستبيان آرائهم حول هذه النازلة.

وقد أورد الإمام الفقيه أحمد الونشريسي في موسوعته الفقهية المعيار المعرب، مختلف الفتاوى التي تلقاها الفريقان[2]، فكان ممن عارضوا المغيلي علماء من تلمسان وفاس، وعلى رأسهم الفقيه أحمد بن محمد بن زكري التلمساني مفتي تلمسان في وقته، وقاضي توات أبو محمد عبد الله بن أبي بكر العصنوني.

أما العلماء المؤيدون فقد كان على رأسهم الأئمة الأعلام محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي الجزائري مؤلف الكتاب في ضبط القرآن الكريم "الطراز على ضبط الخراز" ، ومحمد بن يوسف

---

[1] انظر محمد قومي، دور الطائفة اليهودية بتوات خلال القرنين 9-10هـ/15-16م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، إشراف غازي الشمري، المدرسة الدكتورالية (الدين والمجتمع)، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران2، السنة الجامعية 1434-1435هـ/ 2013-2014م، نقلا عن المغيلي، ما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار وما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار، مخطوط بخزانة الأستاذ مبروك مقدم، ورقة 01.

[2] الونشريسي، المعيار، ج2، ص 214-254.

السنوسي الجزائري، أبو عبد الله التلمساني الحسني الجزائري عالم تلمسان وصالحها ، ومحمد بن قاسم الرصاع فقيه تونس.

ويقول المؤرخون: "... إنه فور وصول جواب هؤلاء العلماء لواحة تمنطيط، حمل الإمام المغيلي وأنصاره السلاح، وانقضوا على كنائس اليهود، فهدموها دون تأخير".

وبمجرد ما بلغه جواب وتأييد الإمامين "السنوسي" و"التنسي" سارع هو وأتباعه إلى ارتداء لباس الحرب فقصدوا كنائس اليهود وأمر الشيخ بقتل من عارضهم دونها فهدموها عن آخرها، ووضع لذلك جوائز فمن قتل يهوديا كافأه بسبع مثاقيل، وجرى في ذلك أمور، ونظم في تلك القضية قصائد في مدح النبي -صلى الله عليه وسلم-، وفي ذم اليهود ومن ينصرهم.[1]

بعد انتصاره على اليهود، قام هذا الداعية الكبير برحلته الطويلة إلى مناطق السودان الغربي، وظل مشتغلاً بالدعوة والوعظ والتدريس والقضاء والفُتْيا وبَذَل النصح لأمرائها وأولي الأمر فيها. وطاف بعدد من عواصمها وأقاليمها فزار كانوا وكَشنَة في شمال نيجيريا، وكاغو (أو جاو) (الواقعة في مالي حالياً) وتَكَدَّة من منطقة أهير (التابعة للنيجر حالياً)، وغيرها من البلاد الواقعة بين نهري السنغال والنيجر[2]، ويقول بول مارتي:"ونحن نعلم . حسبما هو متداول من معلومات . أن الإسلام دخل إلى بلاد الجرما والبلاد المجاورة إلى تساوة (Tessaoua)، وزندر (Zinder) بواسطة الشريف الكبير الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي الجزائري، أو بالأحرى بواسطة تلاميذه المباشرين في القرن الخامس عشر"، إلى أن يقول: "لقد هبط الإمام المغيلي مع نهر النيجر إلى ناحية ساي (Saye)[3].

---

[1] عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، ص 323، المغيلي، مصباح الأرواح، ص 48.

[2] عبد العلي الودغيري، ملامح من التأثير المغربيّ في الحركة الإصلاحية في النيجر، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، العدد 11، 1429هـ/جويلية 1999م، ص 213.

[3] منطقة "ساي" هذه هي التي توجد بها الجامعة الإسلامية بالنيجر حالياً، وتبعد عن نيامي بحوالي 50 كلم.

ويضيف قائلا: "وأرسل بعثات من قبله إلى بلاد جرما جندا (Djermagenda)، وربما إلى الشرق أيضاً...."[1]

وقد استُقبلتْ وفادة الإمام الكبير المغيلي إلى هذه المناطق بحفاوة بالغة، وقربه أمراؤها وملوكها وجعلوا منه مستشارهم الخاص ومرجعهم الفقهي الأعلى، وكتب لهم رسائل ووصايا وفتاوى في أمور الحكم والدولة والسياسة الشرعية منها:

-" مجموعة في أمور الإمارة وسياسة الدولة " التي ألفها لأمير كانو "محمد ابن يعقوب" المعروف "بَرَمْفت"، وهي التي طبعت بعنوان مخترع: "تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين " (طبعت هذه المجموعة طبعات متعددة وترجمت إلى الإنجليزية، وآخر طبعاتها صدرت سنة 1994م، عن دار ابن حزم (بيروت)، بتحقيق محمد خير رمضان يوسف). وقد سلك فيها مسلك أسلافه من علماء المسلمين الذين ألفوا كتباً في نصح الملوك، وإرشاد السلاطين مثل أبي بكر الطرطوشي في "سراج الملوك"، والماوردي في الكتاب المنسوب إليه باسم: "نصيحة الملوك"، وكتابه المشهور "الأحكام السلطانية"، والإمام أبو حامد الغزالي في كتابه "التبر المسبوك في نصيحة الملوك"، وابن الأزرق الأندلسي في: "بدائع السلك في طبائع الملك"، والحميدي في "الذهب المسبوك في وعظ الملوك" وغيرها مما هو معروف.

-ثم كتب للأمير رَمْفَا محمد بن يعقوب أمير كانو وصية أخرى في " ما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام " (ترجمها ريشار بلمر (R. Palmer) إلى الانجليزية سنة 1914م، ثم نشرها الألوري في كتابه "الإسلام في نيجيريا"، وضمنت أيضاً في كتاب "ضياء السياسات" لعبد الله بن فودي الذي نشره د. أحمد كاني سنة 1988م).

---

[1] بول مارتي، القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني وقصة الاحتلال الفرنسي للمنطقة، ترجمة وتحقيق محمد محمود ودادي، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا، 2001م، ص 120.

-ثم مكث مدة عند السلطان محمد بن أبي بكر التوري المعروف بالحاج أسكيا أو أسقيا أمير مملكة سنغاي، وألف له أجوبة عن أسئلة كثيرة وجهها إليه، وهي المجموعة التي عرفت باسم: "أسئلة أسكيا وأجوبة المغيلي" ("أسئلة الأسقيا و أجوبة المغيلي "، تقديم وتحقيق الأستاذ عبد القادر زبادية، سلسلة ذخائر المغرب العربي، مطبعة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر سنة 1974م) ؛ فكانت بمثابة الحجة الشرعية الدامغة التي استعملها الأسقيا في توطيد دعائم ملكه ومواجهة خصومه".[1]

وفي أثناء مكوثه ببلاد السودان بلغ الإمام المغيلي خبر مقتل ابنه عبد الجبار بتوات[2] من طرف اليهود الذين استعادوا مكانتهم بعد خروج المغيلي وزيادة نفوذ أنصارهم، اليهودي الذي قتل ابن الشيخ تقول الرواية أنه قدم من القصر المسمى "قصر بني إيكو" ضمن التجمع الذي يدعى "زاقلو"، ونفس الرواية تقول أن هذا القصر قد دمر عن آخره وأن سكانه قد أبيدوا سوى عائلة واحدة أثبتت أنها لم تشارك في اغتيال الابن[3]. اشتد غضب الإمام المغيلي بعد هذه الحادثة، وطلب من سلطان التكرور إلقاء القبض على أهل توات المقيمين بكاغو، فقبض عليهم السلطان وأنكر عليه ذلك الشيخ الفقيه أبو الثنا محمود بن عمر الصنهاجي السوفي التنبكتي، إذ لم يفعلوا شيئا، وكان حينئذ القاضي فرجع عن ذلك، وأمر بإطلاقهم ورحل لتوات حيث أعلن الثورة الثانية على اليهود إذ وجدهم قد عادوا إلى مراكزهم، وأصبحوا أكثر قوة بفضل مساعدة قبيلة أولاد علي بن موسى لهم وكانت الحرب بينه وبين جيش عمر بن عبد الرحمان وهلك فيها كثيرون، لكن الغلبة في النهاية كانت للقاضي

[1] محمد بن عبد الكريم المغيلي، أسئلة الأسقيا و أجوبة المغيلي، تقديم وتحقيق عبد القادر زبادية ، سلسلة ذخائر المغرب العربي ، مطبعة الشركة الوطنية للنشر و التوزيع بالجزائر، 1974م، ص 10.

[2] محمد عبد الجبار هو ابن الشيخ المغيلي الذي استخلفه من بعده في إقليم توات ليكمل ما بدأه أبوه وذلك حسب رسالة الاستخلاف التي يقول فيها:"حتى توليت بالولاية الشرعية على جميع ناحية توات، وغيرت فيها من المنكرات ما لا يحصى، ثم استخلفت ابني محمد عند سفري، لعلمي أنه أهل لذلك إن وفقه الله وأعانه" إذا فقد أصبح المغيلي وأبناؤه هم المكلفين بحسن سير حملة تغيير المنكرات خاصة ما تعلق باليهود في إقليم توات. ينظر رشيد بليل، قصور قورارة وأولياؤها الصالحون في المأثور الشفاهي والمناقب والأخبار المحلية، ترجمة عبد الحميد بورايو، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، الجزائر، 2008م، ص 59.

[3] Jacob Oliel, Les Juifs au Sahara, P 117.

العصنوني، فما كان من الإمام المغيلي إلا أن لجأ إلى قبائل البرامكة واستقر عندهم مكملا ما تبقى له من العمر بينهم بعد أن أدى فريضة الحج وعكف على التدريس والتعليم وتفقيه الناس وبث علمه وفكره الإصلاحي بين أهل المنطقة حتى أدركته المنية بها في سنة 909هـ/1504م[1]. ودفن هناك في المكان الذي يحمل ذكراه، وهو زاوية كنتة بأدرار، ويذكر أن أحد اليهود ذهب إلى قبر الشيخ وبال عليه فعمي في حينه.[2]

3.4- آثار حملة المغيلي:

ومن آثار حملة المغيلي على اليهود بتوات هجرة كثير من اليهود بسبب حالة اللاأمن التي أصبحت تسود المنطقة سواء الطرق التجارية أو داخل المدن، كانت وجهة المهاجرين اليهود نحو القصور المجاورة أو مدن الشمال، لكن في بعض الأحيان كان يلاقي هؤلاء مصيرا غامضا وفي بعض الأحيان الموت إما تحت طائلة ملاحقات المغيلي وأنصاره أو الموت تيها وعطشا في الصحراء القاحلة، ويقال أن المعلم المتواجد في مدينة تمنطيط على بعد نحو 50 كلم نحو الشمال يخلد قصة اليهودي الذي هرب من بطش المغيلي لكن هذا الأخير لاحقه وظفر به في هذه المنطقة فقتله ومن ثم وُضع نصب مخلد لهذه الحادثة حتى سمي الموقع من طرف أهل المنطقة بـ"رجم اليهودي" (هذه الكلمة "رجم" كلمة عامية تعني النصب أو الموقع)[3].

وقد سافرت عائلات أخرى إلى وادي ميزاب واستوطنوا مدينة غرداية مثل عائلة "آل برتوش Partouche"، وطاب لهم المقام بها بدليل أن هؤلاء اليهود اندمجوا في المجتمع الميزابي وأصبحوا جزءا منه يشاركونه عاداته وتقاليده، وعكفوا على ممارسة الحرف والصنائع المختلفة، ولم تسجل أية تجاوزات أو انتهاكات لحقوقهم، واستمر هذا التعايش والجوار لعدة قرون حتى قرر اليهود عشية استقلال

---

[1] عبد الله مقلاتي، موقف الشيخ المغيلي من يهود توات، مجلة الحقيقة، عدد 06، 2005م، جامعة أدرار، ص 265. ينظر كذلك المغيلي، مصباح الأرواح، ص 49.

[2] ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر الأولياء من تلمسان، ص 255.

[3] Jacob Oliel, Les Juifs, P 116.

الجزائر الرحيل الطوعي عنها إلى وجهات مختلفة، وقد دأب يهود ميزاب منذ هروبهم من حملة المغيلي بتوات على التغني بتمنطيط في صلواتهم وابتهالاتهم خاصة في عيد الفصح حيث يعتبرون تمنطيط هي دار الرجعة عوض القدس التي كانت تعتبر مدينة الرجوع منذ الإخراج الأول لهم سنة 70م، فيقول يهود ميزاب في ابتهالاتهم :"العام القادم في تمنطيط" وقد كانوا يقولون من قبل:"العام القادم في القدس"[1].

كذلك مثال آخر عن محاولات الهروب من حملة المغيلي وتتعلق بالربي "سلومو بار بيريرو" "Rabbi Shlomo Bar Berero" وابنه "إسحاق"، هذا الربي تجول بين مدن الجزائر، تلمسان والصحراء (بسكرة، ورقلة، تمنطيط) وتقلد بهذه المدينة الأخيرة منصب الربي عند نهاية القرن التاسع للهجرة، الخامس عشر للميلاد وعند بداية ثورة المغيلي ضد اليهود بتمنطيط حاول أنصار هذا الربي وأتباعه حمايته فجعلوه يهرب وابنه إلى الشمال ليستقر بإحدى المدن التي لا تزال بها الطائفة اليهودية فقرر السير إلى ناحية وهران لكنه ضل الطريق ولقي حتفه هو وابنه قريبا من "قصر زقور أو زقوم" على بعد 5 كلم جنوب مدينة بشار الحالية، وأقيم في مكان موتهما معلم مخلد لهما ولذكراهما من طرف يهود المنطقة حيث لا يزال مزارا مشهودا ويعرف بـــ"مولى بشار" أي زعيم أو سيد بشار[2].

إن ما فعله المغيلي وأنصاره بتوات كان عبارة عن ردة فعل على الامتيازات التي حازها اليهود في المنطقة وتجاوزهم للأحكام الشرعية التي حددها قانون أهل الذمة على مر عصور الدول الإسلامية، وتسامح الكثيرين من أبناء الملة الإسلامية مع هؤلاء وفي بعض المرات وصل ذلك إلى حد التواطؤ حفاظا على المصالح واستجلابا لعطف اليهود الذين كانوا يسيطرون على التجارة في المنطقة وبخاصة تجارة الذهب والعبيد والتي كانت تجارة العصر ومن شأنها أن تدر على أربابها أرباحا طائلة، حتى أن بعض المسلمين رضي من اليهود توليته منصبا أو مشاركتهم في تجارة أو سماحهم له بالاتجار وبيع بضائعه مع ما قرره الشرع من عدم موالاتهم وإلزامهم بالجزية والتمييز باللباس وعدم بناء البيع

[1] Oliel, op. cit., P 120

[2] Ibid, P 115-116.

والكنائس التي تعتبر دليلا على انتشار الديانة اليهودية وسيادة أهلها[1]. وقد ورد أن أغلب أهل البلد من المسلمين كان لا يتوصل لحاجة من حوائجه، ولا يدفع شيئا من سلعته في غالب الأمر إلا على أيديهم حتى أن أهل البلد المذكور إذا جاء عليهم يوم السبت سبتوا في كثير من تصرفاتهم، وظهر أمر السبت على أسواقهم وجرى ذكره على ألسنتهم، وترى التاجر إذا قدم للبد نزل في منازل اليهود يأكل من أطعمتهم ويصبح ويمشي في جماعتهم، ويخالطهم كما يخالط المسلمين أحبابه المسلمين خوفا على تجارته من الكساد واختيار منازلهم على سائر منازل البلاد[2].

ومما يؤيد هذا القول ما يورده "Jacob Oliel" في كتابه " Les Juifs au Sahara –Le Touat au Moyen Âge" من أن الرحالة "أنطونيو مالفنت" الذي زار منطقة توات في منتصف القرن التاسع للهجرة، الخامس عشر للميلاد ونزل عند "يحي بن إدير أو يدير" الذي يعد بالمفهوم الحالي رئيس بلدية تمنطيط، قد لاحظ الرفاهية الكبيرة التي كان يعيشها يهود المنطقة وتحكمهم الكبير في البلد بسبب ازدهار تجارتهم التي تركزت على الذهب والمعادن الثمينة والعبيد، خاصة من بلاد السودان وأصبحوا هم همزة الوصل بين الشمال والجنوب، ولا يستطيع تاجر من داخل البلد أو خارجه أن يتوصل إلى شيء بدونهم[3]، وأضاف أنهم كانوا يحوزون على ثروات طائلة جعلتهم في قمة الهرم الاجتماعي ويسيطرون كذلك على سوق الحرف خاصة الصياغة وسك النقود، بالإضافة إلى تحكمهم في تجارة القوافل بين بلاد السودان إلى توات ومنها إلى الشمال والدول المسيحية وأغلب مدن المغرب الإسلامي[4].

---

[1] فضيلة مبارك، صحوة المغيلي وثورته ضد يهود تمنطيط، ضمن أعمال الملتقى الوطني الرابع حول "إسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية إبان العصر الحديث"جامعة أدرار، 19-20 أفريل 2010م، ص 138-139. ينظر كذلك المغيلي، مصباح الأرواح، ص 27-28.

[2] مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج3، ص 270.

[3] Jacob Oliel, Les Juifs au Sahara, P 86-87.

[4] أحمد الحمدي، الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، سيدي بلعباس، الجزائر، 1433هـ/ 2012م، ص 126. انظر كذلك . Jacob Oliel, Les Juifs, P 88-89

هذا وقد لاحظ "مالفنت" لدى إقامته بتمنطيط عند رئيسها "يحي بن يدير" أن المسلمين كانوا مجرد تابعين لليهود في مجال التجارة وحتى السلطة وهو ما نقمه عليهم المغيلي من "أن أحدهم -أي المسلمين من أتباع اليهود- يمكن أن يموت مع أسرته من أجل الدفاع عن سيده اليهودي".[1] وأن عمل أغلب المسلمين في التجارة هو كأدلاء على الطرق الصحراوية أو لحماية القوافل التجارية لليهود من هجمات قطاع الطرق أو قبائل التوارق المنتشرة في الطريق[2].

ويذهب أحد الباحثين بعيدا في مدى تسلط اليهود لدرجة أنهم تدخلوا في تعيين القضاة المسلمين بإقليم توات، حيث كان منصب قاضي الجماعة وهو أعلى سلطة داخل الإقليم ويتخذ مقره بعاصمة الإقليم تمنطيط، وكانت له مكانة كبيرة عندهم ويتمتع باحترام الجميع، ولأهمية المنصب الدينية والسياسية جعل التنافس على أشده من أجل الظفر به، هذا التنافس كان يقتضي استعمال كافة الوسائل المتاحة من أجل كسبه أو الاحتفاظ به، كما لا يمكن –يقول الباحث- أن نغفل الدور اليهودي في هذا الصراع ووقوفهم إلى جانب أسرة عبد الله العصنوني لاحتفاظهم بهذا المنصب واحتكاره بينهم لمدة تزيد عن المئة والخمسين عاما، الأمر الذي لم يكن ليحدث لولا مساعدة اليهود لهم، فهم أهل أصحاب ثروة ومال، لذا من البديهي أن يقف الشيخ العصنوني قاضي توات آنذاك إلى جانب اليهود ضد الشيخ المغيلي فيما عرف بنازلة يهود توات.[3]

---

[1] Jacob Oliel, op. cit., P 87.

[2] Ibid, P 86.

[3] فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2007م، ص 57.

بعد اطلاعنا على الدور السياسي لأهل الذمة خلال عهد الدولة الزيانية نرى أن هؤلاء لم يكن لهم تأثير كبير مثلما كان لأهل مِللهم في الدولتين المعاصرتين الحفصية في تونس والمرينية في المغرب الأقصى، ولم يتعد هذا الدور أن يكون تمثيلا دبلوماسيا في بعض السفارات التي كان يبعثها ملوك تلمسان لنظرائهم المسيحيين أو العكس، فقد اشتهر منهم بعض السفراء والوسطاء التجاريون، الذي تقلدوا هذه المناصب عدة مرات نظرا لإثباتهم لكفاءة ملحوظة، أو لثقة رؤسائهم بهم، فمنهم من استطاع بحنكته —خاصة اليهود منهم- الحصول على نتائج جيدة، ومنهم من كان عامل ضعف للدولة الزيانية خاصة في عصرها الأخير المتميز بضعف أمرائها وانهزاميتهم أمام أعدائهم، ومحاولة كل واحد منهم الانقضاض على الملك ولو على حساب إخوانه، وبمساعدة المسيحيين الذين كانوا يتحينون الفرص لفرض سيطرتهم واحتلال بلاد المغرب الإسلامي كله، والأوسط منه خاصة.

أما في الجانب العسكري فقد استعمل الزيانيون بعض النصارى كميليشيات وحرس خاص لهم أجور ورواتب معلومة من خزينة الدولة ويعود جزء منها إلى دولهم الأصلية، لكنهم كانوا يتخلصون منهم إذا ارتابوا فيهم كما حدث مع السلطان يغمراسن. وحدث أن استعمل ملوك الزيانيين اليهود أو النصارى في مجال الجوسسة والاستخبارات، على أعدائهم أو إخوانهم في الدين، كما عينت الدول المسيحية ممثلين عسكريين لها في الدولة الزيانية يقومون على رئاسة طائفتهم ويمثلونها أمام السلطة الحاكمة ويتولون أمورها، وقد أسال هذا المنصب لعاب كثير من المسيحيين الذين كانوا يتنافسون للظفر به نظرا للعوائد المالية التي يضمنها والمكانة السياسية التي يحتلها صاحبه لدى الدولة المسيحية أو بين أفراد المجتمع الزياني وسلطته الحاكمة، وقد تولى هذا المنصب في بعض الفترات أفراد من البيت الحاكم في أرغونة وميورقة.

لكن أهل الذمة واليهود منهم بالتحديد كانت لهم سيطرة ونفوذ داخل الدولة الزيانية —وإن كان محصورا في بعض المدن-، وهو ما أدى إلى نهوض بعض العلماء وعلى رأسهم الإمام المغيلي للتصدي لهذا الخروج عن الشرع الإسلامي والتعدي على أحكامه فيما يخص أطر وحدود التعامل مع أهل الذمة، فقام لذلك بحركة كبيرة في نهاية القرن التاسع للهجرة هدم فيها الكنائس وأجلى اليهود

عن إقليم توات، بمساعدة السكان وبمباركة كثير من علماء المسلمين في ذلك الحين والذين استفتاهم في الأمر وبين لهم حقيقة الوجود اليهودي، وتحكمه في رقاب المسلمين وتعديهم على الضوابط الشرعية التي حددت لهم، ولا تزال آثار هذه الحركة وأصداؤها في التقاليد والمواريث الثقافية لليهود في الجزائر وغيرها.

الفصل الثاني

الدور الاقتصادي لأهل الذمة

1-النشاط الزراعي والصناعي

2-النشاط التجاري

3-النظام المالي

عرفت بلاد المغرب الإسلامي بنشاطها وجذبها الاقتصادي فقد كانت في نظر الدول الأخرى خاصة المسيحية منها مصدرا ربحيا وفيرا، لذا فقد حاولت هذه الدول جاهدة إيجاد مكان لها في البلاد لتوفير ما عجزت عنه في أراضيها، لذلك فلا عجب أن نجد أهل الذمة يركزون نشاطهم في الموانئ الزيانية، لأنها كانت مركز عبور لكثير من السلع ويتم عن طريقها تبادل كثير من المنتوجات استيرادا وتصديرا، وسنحاول في هذا الفصل الاطلاع على أهم النشاطات التي عمل بها أهل الذمة وكيف كانت تعاملاتهم وما مدى تحكمهم في الأنشطة الاقتصادية، وأبرز من عمل فيها خلال عصر الدولة الزيانية.

1- النشاط الزراعي والصناعي

1-1- النشاط الزراعي

تميزت الدولة الزيانية بموقع جغرافي له أهمية اقتصادية كبيرة، لذا فقد انتشرت الزراعة في ربوعها وتضافرت عدة عوامل للنهوض بالنشاط الزراعي في تلك الفترة منها:

1. توفر عدة سهول خصبة ومنتجة لعل أهمها سهل متيجة، سهل وادي شلف وسهل العباد، وسهول أخرى محيطة بتلمسان وبقية المدن.
2. توفر المياه التي تعد الباعث الرئيس لكل زراعة بسبب تواجد عدد كبير من الأنهار والينابيع مثل وادي شلف، ووادي مينا وعين لوريط...
3. اشتغال عدد كبير من السكان بالنشاط الزراعي الذي يوفر عائدات مهمة تبوئهم المكانة المرموقة في المجتمع.

وقد وصف الكثير من المؤرخين الزراعة في تلمسان والمدن المجاورة في العهد الزياني والعهود السابقة بأنها جنات ومراع خصبة، حيث يقول الإدريسي عن تلمسان في نزهة المشتاق:" وما جاورها من المزارع كلها مسقي، وغلاتها ومزارعها كثيرة وفواكهها جمة، وخيراتها شاملة"[1]، ويقول الوزان الذي زار المدينة:"...حيث الكروم المعروشة الممتازة تنتج أعنابا من كل لون...وأنواع الكرز...والتين الشديد الحلاوة...والخوخ والجوز واللوز والبطيخ والخيار وغيرها من الفواكه المختلفة..."[2].ووصفها العبدري البلنسي الذي زار المدينة سنة 688هـ/1290م فقال:" والدائر بالبلد كله مغرس بالكرم وأنواع الثمار..."[3]. وأما يحي ابن خلدون فيشير إلى ما تتوفر عليه أراضي تلمسان من منتوجات زراعية فيقول: "ويوجد بخارجها الحدائق الغلب بما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين من فواكه الرمان، والزيتون،

---

[1] محمد الشريف الإدريسي، ذكر بلاد المغرب والأندلس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق وتقديم وتعليق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983م، ص 248.

[2] الوزان، مصدر سابق، ج2، ص 20.

[3] مبارك الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، ص 446.

والتين...وتنصب إليها من أعلى جبالها أنهار من ماء غير آسن...ويسقي بساتينها خارجها، ومغارس الشجر، ومنابت الحب"[1]. ويشيد الإدريسي بخصوبة الأراضي الممتدة من مدينة تنس إلى المسيلة بقوله: "والطريق من مدينة تنس إلى المسيلة...لها كروم ذات سوان، يزرعون عليها البصل والشهدانج والحناء والكمون، ولها كروم كثيرة ومعظمها على نهر شلف، ومن تنس إلى شلف مرحلتان"[2].

لكن عند الولوج إلى موضوع ممارسة أهل الذمة للنشاط الزراعي في العهد الزياني فإننا نصطدم بواقع النقص الفادح للمعلومات الخاصة به، ويرجع هذا النقص إلى سببين رئيسيين الأول يتعلق بتوجه الذميين وعلى رأسهم اليهود إلى ممارسة التجارة كنشاط ذي ربحية سريعة وأعباء أقل مما يكلفه العمل الزراعي وتربية الحيوانات واستغراقه لكل الوقت اليومي للمشتغل به، مما سيكلف حتما الانشغال عن الالتزامات الدينية وخصوصا عند اليهود الذين تكبلهم المناسبات الدينية وضرورة الاجتماع المستمر، الأمر الذي لن يكون متاحا عند العمل بالفلاحة والاضطرار إلى السكن بالأرياف والتنقل اليومي والانعزال عن الجماعات الدينية.

وسنحاول رغم ما أسلفنا أن نتتبع بعض الإشارات القليلة الواردة في ثنايا المصادر عن عمل أهل الذمة بالنشاط الزراعي لتكوين صورة ولو مقتضبة عن هذا الموضوع.

1-1-1-ملكية الأرض

فيما يخص ملكية الأراضي والتي تعطي لصاحبها مكانة وهيبة اجتماعية، غير أننا ما لدينا من معطيات يعتبر ضئيلا جدا للتدليل على امتلاك أهل الذمة للأراضي وهذا لا ينفي أبدا توجههم نحو تملك القطع الأرضية لخدمتها، وأولى الإشارات الواردة في ذلك وردت في فتاوى الونشريسي عن يهوديين كانا يمتلكان أرضا زراعية بيعت لمسلم وبعد وفاتهما ظهر ابن أخيهما ليدعي أن عماه حبسا عليه هذه الأرض، وهذا دليل على امتلاك يهود لأراض زراعية. وفي سؤالين أرسل إلى

[1] يحي بن خلدون، مصدر سابق، ج1، ص 10.

[2] الإدريسي، مصدر سابق، ج1، ص 252-253.

الجاؤون[1] حاي Hay يقوم الدليل على تملك اليهود للأرض، وقد أرسل السؤال الأول بطلب الفتوى في نزاع حول حقل يسقى بواسطة قناة تمر من خلال حقل لمالك آخر، وقام النزاع حول حق الانتفاع بالقناة وما يمكن أن ينمو حولها من أعشاب، والسؤال الثاني حول إرث من الأرض الزراعية مرهونة وجواز تقسيمها بين الورثة أم بيعها لسداد الرهن المترتب[2].

وفي عهد الزيريين قام الأمير يوسف بن بلكين بن زيري (362-373هـ/972-983م) بنقل عدد كبير من سكان تلمسان لإعمار مدينة أشير، وكان من بينهم مزارعون يهود أصحاب ملكيات زراعية فعوضهم هذا الأمير بأراض مقابل ذلك لزراعتها والانتفاع بها وعندما عادت الأمور إلى مجاريها عاد هؤلاء إلى مدينة تلمسان فاستعادوا ممتلكاتهم التي ورثوها[3]. ونستنتج من هذا النص أنه كانت لليهود في تلمسان قبل عهد الزيانيين ممتلكات من الأراضي ورثوها عن أسلافهم. كما عمل أهل الذمة على كراء الأراضي الزراعية من ملاكها لخدمتها والاستفادة منها[4]. وكان من بين الذميين من يحبس أرضه على الكنائس فكانت تستغل من طرف القسيسين والأحبار ويصرفون منها على أنفسهم وعلى مصالح كنائسهم[5].

---

[1] الجاؤون: مفرد لكلمة الجاؤونيم وهم العلماء والفقهاء اليهود الذين كانت لهم الزعامة الدينية في بابل العراقية على يهود العالم الإسلامي، واستمروا مسيطرين لمدة طويلة تقرب من 450 عاما، وإليهم كان يعود اليهود كلهم للاستفتاء حول الأمور الدينية والحياتية، انظر عبد الرزاق أحمد قنديل، الأثر الإسلامي في الفكر اليهودي، دار التراث، القاهرة، 1404هـ/1984م، ص 145.

[2] H.Z (J.W) Hirschberg, A History of the Jews in North Africa, Volume 1 -from the antiquity to the sixteenth century-, Leiden. E.J. Brill, 1974, P 262.

[3] Ibid, V1, P 105

[4] عبد القادر شريف، النصارى ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية دولة الموحدين (21-668هـ/641-1269م)، مذكرة لنيل درجة الماجستير، تخصص تاريخ وسيط، إشراف: د. محمد بن عميرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 1423-1424هـ/2003-2004م. ص 57.

[5] الونشريسي، المعيار، ج7، ص 73.

2-1-1-مزروعات أهل الذمة

أما عن عمل أهل الذمة في الزراعة فقد زرع اليهود كل أنواع المحاصيل بدءا من الكروم لاستخدامها في صناعة الخمور التي تخصصوا فيها[1]. وزرعوا كذلك الزيتون وخاصة في تلمسان وأحوازها وزاحموا بذلك أهل البلاد، إذ يحكى أن أحد أمراء تلمسان فرض على الأهالي –ومن بينهم اليهود الذين ساكنوا المسلمين داخل المدينة وخارجها-زراعة عدد معين من أشجار الزيتون والاعتناء بها ومنع أنعامهم من الاقتراب منها وكل مخالف يكون تحت طائلة العقاب الشديد الذي قد يصل إلى الموت، وهذا سبب وجود غابات واسعة من الزيتون في مدينة تلمسان وضواحيها[2]. وبما أن استخراج الزيت من أشجار الزيتون كان يعتبر آنذاك تجارة مربحة إذ كان من السلع التي تصدر إلى البلاد الأوربية بكثرة[3]، فإن اليهود قد عملوا بلا شك في عصره، لأنهم كانوا لا يتركون مجالا للربح إلا ولجُوه.

كما اهتم اليهود المهجرون من أرض الأندلس بنقل تقنية تربية دودة القز التي كانت رائجة في الأندلس على أشجار التوت وخاصة الأبيض منه، فكانت الشجرة الواحدة في تلمسان تنتج ما لا تنتجه خمس شجيرات في غيرها[4].

وزرع اليهود القمح في بلاد المغرب الأوسط خاصة في قسنطينة التي كانت بها مخازن ومطامير لحفظ المحاصيل الزراعية، فكان هؤلاء يعملون على تخزينه واستعماله في أوقات الأزمات والمجاعات، وربما باعوه بالقرض[5].

[1] عطا أبو ريه، اليهود في ليبيا وتونس والجزائر، إيتراك للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2005م، ص 135.

[2] Raoul Darmon, origine et constitution de la communauté Israélite de Tlemcen, op. cit., P380.

[3] عبد العزيز الفشتالي، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء، تحقيق عبد الكريم كريم، الرباط، 1972، ص 210.

[4] عطا علي ريه، اليهود في المغرب الأقصى في عهد المرينيين والوطاسيين، دار الكلمة، دمشق، الطبعة الأولى، 1999م، ص 147.

[5] Hirschberg, op. cit., V1, P 282.

واشتهرت مدينة سلجماسة بوفرة تمورها وكثرة محاصيلها وظهر بها يهود اشتغلوا بأعمال البستنة وإنتاج مختلف الفواكه ولعل أبرزها الكروم، إذ تُبين بعض الآثار الموجودة في المنطقة وجود رسوم لطائر يأكل العنب داخل المعابد والمقابر اليهودية[1].

وربما عملوا كذلك في زراعة القمح الذي اشتهر به إقليم سجلماسة فكان يزرع عاما ويحصد منه سنين متوالية، رغم أنه لم يكن من النوع الجيد وإنما كان رقيقا.[2] واستمرت مردودية الأراضي الزراعية بسلجماسة في النماء، خاصة القمح منه وهو ما تؤكده رواية ابن الزيات عن أبي بكر بن قرمان الباغاني الذي استأجر المتصوف عبد الله الجزولي للحصاد فامتلأت خزائنه بالحبوب لسنوات متتالية حتى أنه لم يجد أين يضع محصوله.[3]

وجدير بالذكر أن يهود توات قد سيطروا على المنطقة، فقد كانوا يمتلكون أراض وضياعا وبما أن الصحراء اشتهرت بتمورها، فبدون شك أن هؤلاء اليهود قد ساهموا بقسط كبير في زراعة النخيل والاستثمار في تجارة التمور، لأنها كانت تجارة رائجة في ذلك الوقت وتدر مداخيل كبيرة على المشتغلين بها. وقد كانت سجلماسة خاصة من أشهر مناطق إنتاج التمور في العهد الزياني إذ يصفها ابن بطوطة بقوله أن بها: " التمر الكثير الطيب وتشبهها مدينة البصرة في كثرة التمر، لكن تمر سجلماسة أطيب وصنف "إيرار" منه لا نظير له في البلاد"[4]. ومن أنواع التمور التي اشتهرت بها

[1] عبد الرحمان بشير، اليهود في المغرب العربي، ص 89-90.

[2] عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، نشر ديسلان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1837م، ص 151.

[3] أبو يعقوب يحي بن يوسف التادلي المعروف بابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، 1997م، ص277-278.

[4] محمد بن عبد الله ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المجلد الرابع، حققه وقدم له عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1417هـ/1997م، ص 239.

المنطقة تمر يسمى "البرني" يضاهي في حلاوته كل حلاوة ولونه أخضر ونواته صغيرة جدا، ولا يشبهه شيء من الفواكه[1].

كما اشتهرت منطقة سجلماسة بزراعة أنواع كثيرة من النبات لم تساعد الظروف البيئية على نموها في غيرها من البلاد ومنها النيلة والتاكوت والحناء والكمون وقد تجهز بها التجار المسلمون واليهود إلى أصقاع العالم.[2]

1-1-3-حفر الفقاقير:[3]

يدور كلام كثير حول دور اليهود في حفر الفقاقير، فمن قائل[4] أنهم أصحاب الفضل في إنشاء هذا النظام المائي الذي يزود المساحات الزراعية بما تحتاجه من ماء، ومن رأي آخر[5] أن الزناتيين هم من أنشأها وأن اليهود قد استغلوها عندما سيطروا على منطقة توات وقصورها. وحاصل الرأيين أن اليهود قد استعملوا هذا النظام لتوزيع الماء وسقي الأراضي الزراعية التي كانوا يملكونها في الصحراء ومكنتهم من تبوء المكانة الاقتصادية والاجتماعية الهامة بتحكمهم في رؤوس الأموال والحركة

---

[1] الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 226.

[2] حسن حافظي علوي، سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، وزارة الشؤون والأوقاف الإسلامية، المملكة المغربية، 1418هـ/1997م، ص 332.

[3] الفقاقير: حسب لغة أهل الصحراء الجزائرية فإنها جمع لكلمة فُقارة أو فُوغارة وقد تجمع فُقارات أو فُوغارات، وهي وسيلة من وسائل السقي لا زالت تستعمل في الصحراء الجزائرية لضمان التوزيع العادل للمياه الجوفية على بساتين النخيل خاصة والمزروعات الأخرى عامة. في القاموس المحيط فُقُرٌ : وهي آبار يتصل بعضها ببعض، انظر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة، 1426هـ/ 2005م، ص 457.وقد ذكرها ابن خلدون وأشاد بالتقنية العالية المستعملة في حفرها ووصفها بأنها غريبة من غرائب هذه البلاد، انظر ابن خلدون، كتاب العبر، ج6، ص 119.

[4] هذا الرأي يذكره سعد الله فوزي صاحب كتاب يهود الجزائر ويعزوه إلى يعقوب عليل « Jacob Oliel » في كتابه " les Juifs au Sahara"، الناقل كذلك عن "غوتيه" « E.F.Gautier » في كتابه « Oasis Sahariennes » و بريقس « L.C.Briggs » صاحب كتاب « Living Tribes of the Sahara »، انظر سعد الله فوزي، يهود الجزائر، ص 82، هامش رقم 2، وكذلك.Jacob Oliel, Les Juifs au Sahara, op, cit., P41-45

[5] هذا الرأي يذكره محمد بن عبد الكريم التمنطيطي في مخطوط درة الأقلام في تاريخ المغرب بعد الإسلام وهو مخطوط محفوظ بخزانة المطارفة بمدينة أدرار الجزائرية، انظر محمد قومي، دور الطائفة اليهودية بتوات، ص 97.

التجارية، وتسنم الهرم الاجتماعي في عهد الدولة العبد الوادية. وقد عرف اليهود هذا النظام واستعملوه جيدا في إقليم توات ولا أدل على ذلك من أن بعض الفقاقير كانت خاصة بيهود المنطقة مثل فقارة "هنو" الواقعة في الجهة الجنوبية لمدينة تمنطيط عاصمة الإقليم التي يقال أن اليهود هم الذين حفروها. بالإضافة إلى فقارات أخرى وآبار أقاموها هناك خاصة في المناطق المعروفة الآن كزاوية سيدي بكري وبني تامور، هذه الأنظمة المائية التي لا تزال شاهدة إلى الآن، رغم أن الكثير منها يعتبر في حكم المهجور بسبب جفافها وإهمالها.[1]

1-1-4-تربية الحيوانات:

كانت تربية الأنعام من غنم وإبل وأبقار وخيول وبغال وحمير وغيرها بأعداد كبيرة من النشاطات الاقتصادية الهامة في بلاد المغرب الأوسط خلال فترة الزيانيين فهي عماد السكان في غذائهم وملبسهم ومسكنهم[2]، وهي الدعامة الأساسية للنقل التجاري البري. وساعد على تنميتها تمتع البلاد الزيانية وخاصة المناطق الساحلية والسهبية بغطاء نباتي كثيف ويكوّن بذلك مراعٍ خصبة للحيوانات، مع الإشارة إلى ظاهرة الترحال الغالبة على مربي الحيوانات الذين يقصدون البلاد الشمالية والتلية وقت الصيف لوجود المراعي وبقايا الحصاد واعتدال الجو، بينما يعاودون الارتحال إلى المناطق الصحراوية حينما يحل فصل البرد[3]. وبما أن اليهود لا يتركون فرصة للربح إلا واغتنموها، فإنهم ولا ريب قد استفادوا من تربية الحيوانات للاستفادة من تجارتها وبيع المنتوجات المترتبة عن ذلك من

---

[1] Jacob Oliel, Les Juifs au Sahara, P 44, 143.

[2] عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري/السادس عشر ميلادي، الجزء الثاني، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص 09.

[3] Dhina, Le Royaume, Op. cit., P 151-152.

أصواف وجلود، وألبان وغيرها، إذ كانت تمثل المنتوجات الحيوانية 1/3 الصادرات من الدولة الزيانية إلى البلدان المجاورة وخاصة المسيحية منها[1].

فقد وردت نازلة عند ابن هلال السجلماسي (ت 950هـ) تبين أن سكان الصحراء خاصة سكان المناطق الحضرية في ذلك العهد كانوا يرعون أغنامهم بطريقة جماعية فيما يسمى بنظام "الدولة"، والذي يجمع فيه أهل قصر من القصور أو مجموعة من القصور أغنامهم أو أبقارهم كل حسب ما توفر لديه منها ويعينون لها راعيا تتوفر فيه شروط منها أن يكون بالغا عاقلا في مستوى تحمل مسؤولية الإشراف على ثروة أهل القصر من البهائم[2]، وذلك مما يدل على صبغة التضامن التي كان أهل الصحراء يتميزون بها في مواجهة الظروف الطبيعية المحيطة بهم، ولا تزال مثل هذه الصيغ تطبع الحياة الصحراوية والريفية منها في بلادنا.

وعن تربية اليهود للحيوانات فقد كانوا يملكون بعض الأبقار، إذ ورد سؤال عن إمكانية حلب الأبقار يوم السبت بوضع قطعة خبز داخل آلة الحلب والاحتيال على قانون تحريم العمل يوم السبت، فكان رد الربي "برفات" من مدينة الجزائر قاطعا بأن ذلك لا يجوز لأنه يؤدي إلى تجاوزات أخطر[3].

ولأن الإبل كانت تمثل إذ ذاك ثروة العصر فتقاس ثروة الرجل بما يملكه من إبل لا بما يملكه من أموال، فقد قال الوزان: "وتكون الإبل ثروة الأعراب وأرزاقهم، وعندما يراد ذكر ثروة أمير أو شريف من الأعراب يقال فلان له مقدار كذا من آلاف الإبل، ولا يقال: له مقدار كذا من الدنانير أو الممتلكات."[4]

---

[1] Charles-Emmanuel Dufourcq, Prix et niveaux de vie dans les pays catalans et maghrébins à la fin du XII et au début du XIV siècles, extrait de la Revue LE MOYEN AGE N°3-4, 1965, ALGER, P 481, Dhina, Le Royaume, P 166.

[2] حسن علوي، سجلماسة وإقليمها، ص 337.

[3] برنشفيك، مرجع سابق، ص 452-453.

[4] الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص 259.

وهي كذلك وسيلة النقل المفضلة للبضائع من بلاد المغرب إلى السودان والعكس، فقد ساهم الجمل في تنشيط القطاع التجاري بصفة كبيرة، واستعمله التجار اليهود والأوربيون لنقل تجارتهم وتسويق منتجاتهم عبر ربوع بلاد المغرب والسودان.

وبفضل إطلالة الدولة الزيانية على البحر فإنها استفادت مما يوفره من خيرات وعلى رأسها صيد الأسماك التي كانت غذاء لكثير من السكان ومادة قابلة للتصدير[1] نظرا لتنوعها الكبير وثراء البحر المتوسط بكميات كبيرة من الأسماك، إضافة إلى صيد المرجان على السواحل الزيانية النشاط الذي احتكره الأوربيون بصفة موسعة[2].

1-2-النشاط الصناعي والحرفي

ازدهر النشاط الصناعي خلال عهد الدولة الزيانية لا سيما في مدينة تلمسان التي كانت تموج بالفعلة والصناع، على اختلاف صنائعهم وأصنافهم، واشتهر من بين هؤلاء كثير من الذميين خاصة اليهود منهم على اعتبار معرفتهم الواسعة للحرف والصنائع، ومزاولتهم لها منذ القدم، ورغبتهم في احتكار المجال الحرفي والصناعي ليُبقوا المجتمع الذي يعيشون في كنفه في حاجة دائمة لهم[3]. بالإضافة إلى أن تعاليم دينهم تفرض على كل يهودي أن يعلم ابنه حرفة منذ صغر سنه، "يعتبر تعليم الابن مهنة من المهن فريضة شرعية...وعموما يتعلم الولد مهنة والده مثل الصياغة والنجارة"[4].

ومن المهم بمكان أن نذكر هنا إشارات عديدة لوثائق جنيزة القاهرة[5] إلى الحرف التي زاولها يهود القرون الوسطى، والتي بلغت حسب جواتياين « Goitein » 260 حرفة[1]، وإذ يبدو هذا

---

[1] المصدر نفسه، ج1، ص 126.

[2] بن خروف، مرجع سابق، ص 10.

[3] المسيري، الموسوعة، ج2، ص 375.

[4] حاييم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب ، ص84.

[5] تم اكتشافها في مقبرتين يهوديتين إحداها بالفسطاط والأخرى بحي البساتين بالعاصمة المصرية القاهرة وأطلق عليها اسم "جنيزة القاهرة" وتحتوي الوثائق التي تم العثور عليها مخبأة في صناديق قبل سنة 1890م وبلغت ذروة اكتشافها سنة 1897م على مراسلات وخطابات وعقود ومواثيق ومحاضر أرسلها اليهود لبعضهم البعض على مر عدة قرون وحفظت نسخ منها في هذا

العدد كبيرا جدا فإن السبب يعود حسبنا إلى تعدد أسماء بعض الحرف أو اختلافها من بلد لآخر وكذا تفرع حرف أخرى إلى عدة حرف ثانوية.

وتجدر الإشارة إلى أن الحرف والصناعات في مملكة بني عبد الوادي قد عرفت تطورا وإبداعا ملحوظا خاصة مع قدوم المهاجرين اليهود الأندلسيين إثر حملة التهجير التي عرفتها أوربا عموما وإسبانيا خصوصا برؤوس أموالهم وتفوقهم الحرفي على إخوانهم اليهود الأهالي ويظهر ذلك جليا في تصريح الحاخام "سيمون بن سماح دوران" ردا على شكوى اليهود الأهالي من منافسة اليهود المهاجرين إذ قال لهم:" كنتم تعيشون في رخاء بفضل علاقاتكم مع العرب الذين كانوا بحاجة إلى صناعتكم، وكانوا يقدمون لكم أموالا تستفيدون منها في تجارتكم وتلبية حاجياتكم، لكن بعد قدوم المهاجرين لمدينتكم برؤوس أموال مكنتهم من التفوق عليكم في الصناعة اليدوية فضلهم العرب عليكم لأنهم وجدوا عندهم ما هم بحاجة إليه"[2].

ويمكن أن نذكر هنا أبرز الصناعات التي زاولها أهل الذمة نذكر:

المكان. وقد كتبت هذه الوثائق التي جاوزت عدد مائة ألف وثيقة باللغة العبرية بحروف عربية أو حتى باللغة العربية، وحفظت بعد ذلك في مكتبات عالمية مختلفة في إنجلترا وفرنسا وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية، ولا تزال لحد الآن مصدرا كبيرا للتاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي والديني والثقافي للفترة التاريخية الممتدة من القرن الرابع حتى القرن الثامن الهجري الموافق للحادي عشر إلى الرابع عشر الميلادي، ليس فقط بالنسبة لليهود وإنما لكل الأجناس التي عايشت تلك الفترة الزمنية، للاستزادة عن وثائق جنيزة القاهرة انظر جواتياين، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص 189 وما بعدها.

[1] جواتياين، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص 167.

[2] Simon Ben Semah Duran, Réponse 393 in, Abitbol.M, Juifs Maghrébins et commerce transsaharien du XIII au XV^{e} siècle, Revue Française d'outre-mer, Paris, 1979, P 187.

1-2-1-الصناعات المعدنية:

إن الصناعة المعدنية هي صناعة يهودية قديمة، وقد أدى نفور المسلمين من هذه الصناعات خاصة ما تعلق منها بالمعادن الثمينة كالذهب والفضة إلى احتكار اليهود لها بشكل ملفت[1]، إذ يقول الحسن الوزان: "لا يمكن لأي مسلم أن يمارس مهنة صائغ، إذ يقال أن بيع المصوغات الذهبية والفضية بثمن أعلى مما يساويه وزنها يعتبر ربا، ولكن الملوك يسمحون لليهود بالقيام بهذا العمل"[2]. ومع توافر ذهب السودان اشتهر يهود تلمسان خاصة بصياغة الذهب وأطلق على من يشتغل بهذه الصناعة "صورفيم" بالعبرية أي "ذَهّاب" بالعربية ويطلق اسم السكاك أو الصياغ على من يشتغل بالفضة[3]. ولأن المسلمين قد عزفوا عن الاشتغال في هذه المهن فإن الصاغة اليهود لم يجدوا إلا الأسرى المسيحيين لتوظيفهم في هذه الحرفة خاصة في المدن الكبرى مثل مدينة الجزائر[4].

وقد عرف اليهود بغشهم في أوزان الذهب، من ذلك ما روي أن اليهود يضعون داخل حبات الشعير التي يزنون بها للناس أطرافا من حديد يركزونها داخلها بعد ترطيبها بالماء وتجفيفها، فإذا وزنوا للناس استعملوها وإذا وزنوا لأنفسهم استعملوا غيرها[5].

---

[1] يرجع احتكار اليهود لصناعة الذهب والفضة كذلك إلى طبيعة سكان بلاد المغرب التي تتسم بالبداوة لذلك فهم أبعد الناس عن الصنائع كما يقول ابن خلدون، انظر المقدمة، ص 404. وقد استغل اليهود هذا الجانب فنقلوا مهاراتهم الحرفية إلى بلاد المغرب واستطاعوا السيطرة عليها، وسبب آخر هو التشتت والتنقل المتواصل لليهود بين أقطار العالم وتمدنهم واحترافهم لمختلف المهن وأبرزها حرفة صناعة الذهب والفضة، انظر محمد عاشور وحسن ظاظا، اليهود ليسوا تجارا بالنشأة، القاهرة، 1975م، ص 113. وقد ساد اعتقاد غريب أدى إلى نفور السكان المحليين في بلاد المغرب من هذه الصناعة مفاده أن كل من يشتغل بها لا بد أن تكون له معرفة بالسحر، وينظر إليهم بسبب ذلك نظرة احتقار وخشية في الوقت ذاته مما فسح المجال واسعا أمام اليهود للولوج والسيطرة على هذه الصناعة، انظر روجيه لوتورنو، فاس في عصر بني مرين، ترجمة نقولا زيادة، مكتبة لبنان، بيروت، 1967م، ص 153.

[2] انظر الوزان، وصف إفريقيا، ج1، ص 219.

[3] الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، ص 152.

[4] عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830م، مقاربة اجتماعية-اقتصادية، منشورات ANEP، الجزائر، 2007، ص 246.

[5] جميلة بن موسى، اليهود وتجارة ذهب السودان الغربي، حولية المؤرخ العربي، العدد الأول، 2002، المركز الوطني للدراسات والبحث في تاريخ الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، ص 127.

وقامت عدة صناعات تابعة لحرفة صناعة الذهب والفضة ومن ذلك تزيين البيوت والمحلات بأواني الذهب والفضة وبعض الأدوات ذات الاستعمال الشائع كالسروج واللُجم[1]، والأحذية والخفاف ذات السيور الذهبية[2]، المكاحل والأمشاط وغيرها[3]، مع تصديرها إلى مناطق مختلفة.

إلى جانب صناعة أدوات الزينة الذهبية والفضية كالسلاسل والأقراط والخواتم والخلاخل والأساور التي تفننوا في إتقانها وأصبحت حكرا عليهم[4].

وقد اختص يهود مدينة تمنطيط إحدى المدن الكبرى لإقليم توات بإتقان حرفة صياغة الذهب والفضة، إذ كانوا يشترون الذهب الخام من القوافل التجارية القادمة من منابع الذهب في بلاد السودان ثم يقومون بصياغتها بأنواع وأشكال مختلفة من الحلي ثم تباع في الأسواق الداخلية التواتية أو في الأسواق الخارجية الشمالية منها والجنوبية ما جعلهم يكسبون من وراء ذلك أموالا طائلة وثروات كبيرة.[5]

واشتهر عمل اليهود في قصر "تاملزيلت" وهي الكلمة البربرية التي تعني في حد ذاتها مصهر الحديد أو مشعل الحداد، ويعود أصل التسمية إلى الجماعة اليهودية التي احترفت مهنة صهر الحديد في المنطقة[6].

---

[1] عبد الله بن محمد المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، ج1، تحقيق بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ/1994م، ص 182.

[2] الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، ج2، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1992م، ص 207.

[3] الونشريسي، المعيار، ج2، ص 502.

[4] الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود، ص 150.

[5] قومي، دور الطائفة اليهودية بتوات، ص 94.

[6] رشيد بليل، قصور قورارة وأولياؤها الصالحون في المأثور الشفاهي والمناقب والأخبار المحلية، ص 192.

كما عمل اليهود في مجال سك العملة وتخصصوا فيه رغم تحذير الفقهاء من ذلك وعلى رأسهم الإمام مالك الذي شدد على ذلك احتراما للفظ الجلالة المكتوب على النقود ولزيادة الضبط في الوزن[1].

وقد أدى إشراف اليهود على دور سك العملة إلى الإخلال في أوزانها والغش فيها بخلط الذهب بالفضة أو بالنحاس، ذلك أن أحبارهم يبيحون لهم غش المسلمين ويكذبون على أنبيائهم في وجوب إباحته، ويقولون لهم في مجالسهم إن أبا القاسم نبي العرب قال لأمته: "من غشنا فليس منهم فإن غششتموهم فلستم منهم، وإن لم تغشوهم فأنتم منهم"[2]. وربما قاموا بضرب العملة خارج دور السكة والاتجار بها لصالحهم[3]، وقد وجدت لديهم دنانير ودراهم مغشوشة، مما أدى إلى نقص عوائد دور السكة وتضرر مداخيل الدولة من جراء ذلك[4].

بالإضافة إلى صياغة المعادن النفيسة التي لاقت رواجا واسعا، عُرف اليهود بإتقانهم لحرفة تشكيل المعادن الأخرى والتي كان استعمالها واسعا، نظرا للاحتياجات الحياتية، خاصة الحديد والنحاس، نظرا لتواجد هذين المعدنين في منطقة المغرب الأوسط فالحديد يوجد ببجاية ومدينة تَفِسرة[5]

---

[1] عطا ريه، يهود المغرب الأقصى، ص 142. انظر أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف، رسالة في آداب الحسبة والمحتسب نشرت ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، 1955، ص84.

[2] علي بن يوسف الحكيم، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، نشر: حسين مؤنس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد 6، ع1-2، 1378هـ/1958م، ص 178.

[3] عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 252.

[4] الحكيم، الدوحة المشتبكة ، ص 181.

[5] تفسرة: مدينة صغيرة تقع على سهل يبعد خمس عشرة ميلا عن مدينة تلمسان وفيها حدادون كُثر لأنها قريبة من مناجم الحديد، وأهلها لا يشتغلون بغير خدمة الحديد ونقله إلى تلمسان، انظر الوزان، مصدر سابق، ج2، ص 24.

ومدينة كوكو[1]، والنحاس بجبل كتامة[2]، واستعمل اليهود معدني الحديد والنحاس وحتى القصدير لصناعة الأواني، والسيوف والخناجر والحراب[3] والسلاسل[4] والركب واللجم والحدوات للخيول ومهروا في صناعة السكاكين والملاعق والملاقط والخطاطيف والأمواس والإبر والأقفال. كما برع اليهود في صناعة الأدوات المتعلقة بالأعمال الفلاحية المتنوعة من آلات حرث وبذر وآلات الري والحصاد وعملوا على تأجيرها للمزارعين[5].

واحتل النحاس مكانة أساسية في صناعة الشمعدان (بالعبرية مينورا) الذي يتشكل من سبعة أفرع ويحتل مكانة أساسية في إقامة الصلوات اليهودية ويشكل جزءا رئيسا داخل المعابد اليهودية وفي أماكن الاجتماعات[6].

---

[1] كوكو: مدينة تبعد عن الجزائر بثمانية عشر فرسخا من جهة الشرق والجنوب، وعن مدينة بجاية بخمسة عشر فرسخا من جهة الشرق، انظر مارمول، مرجع سابق، ج2، ص 374.

[2] جبل كتامة: يقع بالقرب من مدينة جيجل الحالية وينسب إلى قبيلة كتامة، ويستخرج منه معدن الحديد والنحاس المصدر إلى جميع النواحي، انظر الهادي إدريس، مرجع سابق، ج2، ص104.

[3] عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب ، ص 11.

[4] المالكي، رياض النفوس، ج1، ص 182.

[5] عطا أبو ريه، اليهود في ليبيا وتونس والجزائر، ص 122.

[6] المسيري، مرجع سابق، ج 2، ص 59. المنوراه ذات الأذرع السبعة من بين الرموز الدينية التي بقيت تقدس منذ القدم فهي وسيلة إنارة بالشمع أو الزيت يعني منارة شمعدان كانت توضع في القدس في إتجاه الجنوب على يسار الداخل لخيمة الإجتماع وقد قام بصنعها "بصلئيل بن أوري بن حور" وهو من سبط يهوذا في أيام الهيكل الثاني انتشرت المنوراه ونقشها اليهود على المعابد والمقابر والميداليات يعتقدون أن الشمعة الدائمة المركزية والتي لاتنطفئ ليل نهار ترمز لفلسطين والشعب تمثل العالم ومن ذلك فلسطين دليل لكل المخلوقات وقبلة العالم الكوني تتجه إليها كل المخلوقات لأن الروح القدس تسري في فلسطين، وهناك منوراه أخرى تسمى حانوكياه نسبة إلى عيد الأنوار ذات ثمانية أذرع كانت قديما ذات مغزى سحري توضع فى أعلى المباني.. للوقاية من الحسد والعين الشريرة وكأداة للزينة وقد ذكر اسمها لأول مرة في مؤلف أشكول هاكوفير) عنقود الكافر ليهودا هاوس في منتصف القرن 14 ولم تتخذ كشعار أو رمز لهم إلا حوالى ق16 ، أما في ق 19 فقد ظهرت في درع عائلة روتشيلد عندما رفعه الإمبراطور إلى مرتبة النبلاء في 1656 م، استعملت للتمييز بين المدينة النصرانية (الصليب) واليهودية في فيينا على =حجر الحدود وعندما طردوا من المدينة سنة 1701 م وحملوها معهم الى مختلف الدول أنظر رشاد عبد الله الشامي، الرموز الدينية في اليهودية، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، مصر، ضمن سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد 11، سنة 2000م، ص 35 .

ولم تخل هذه الصناعات من غش اليهود إذ كانوا يطرقون المسامير القديمة ويبيعونها على أنها جديدة، وكانوا لا يصهرون الحديد جيدا فكان سريع الكسر، أو كانوا يصنعون المفاتيح التي تخصصوا فيها لأي شخص دون تثبت من هويته، رغم تشديد المحتسبين على وجوب التحقق من هوية الشخص المصنوع له[1].

1-2-2-الصناعات النسيجية:

احتلت صناعة النسيج ودباغة الجلود مكانة هامة في صناعات العهد الزياني إذ تبوأت درجة رفيعة في المنطقة كلها بل في العالم آنذاك، واشتهرت المنسوجات التلمسانية بجودتها وتفننها وبهائها وكثر الطلب عليها من التجار والأمراء.

وعمل اليهود خاصة من بين أهل الذمة في مختلف الصناعات النسيجية فقد اشتغلوا باستخراج الحرير من دودة القز التي ربيت على شجر التوت هذا النشاط الذي طوروه مع بقية المهاجرين الأندلسيين[2]، فكانوا يبدؤون بتفكيك الشرانق أولا ليستخرجوا منها الخيوط الحريرية ثم يقومون بصباغتها، ولقد كانت هذه الصناعة صناعة متخصصة ومتشعبة اشتهر اليهود بإتقانها[3]، وقد اشتهر الحرير بجودته خاصة في مدينة شرشال التي عرفت بصادراتها من المنسوجات الحريرية الفائقة الجودة[4].

وحصلت صناعة النسيج من الكتان على جانب كبير من الاهتمام إذ تواجدت بمدينة مقرة بإقليم الزاب واشتغل اليهود والمسيحيون بالعمل في كل مراحله بدءا من حصاده إلى إعداد تصديره

---

[1] ابن عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي المالقي، في آداب الحسبة، تحقيق حسن الزين، مؤسسة دار الفكر الحديث، بيروت، لبنان، 1987، ص 80-81.

[2] F.Diego.de Haedo, Topographia historia general de Argel, trad en Français par A.Berbrugger et MM.Monireau, in, Revue Africaine, N°14, 1870, Alger, p 372.

[3] جواتياين، مرجع سابق، ص 168.

[4] مارمول كاربخال، إفريقيا، ج2، ترجمة محمد حجي وآخرين، دار نشر المعرفة، الرباط، 1408-1409هـ/1988-1989م، ص 356.

مرورا بنسجه وصباغته[1]. وظهر كذلك ذميون يعملون في صناعة الصوف الذي توفر كثيرا في بلاد المغرب الأوسط نظرا لكثرة الأغنام واشتغل به نساء مدينة فكيك في إقليم سجلماسة فينتجون منه أغطية للأسرة دقيقة ورفيعة حتى يظن أنها من الحرير وتباع بأثمان مرتفعة بمدن فاس وتلمسان[2]، وعرفت صناعة الصوف كذلك في مدن قسنطينة وميلة[3]. ويزرع القطن في بلاد المغرب والذي عمل اليهود في تصنيعه حتى أننا نجد عائلات أطلق عليها تسمية المشتغل بصناعة القطن مثل النداف أو الحلاج[4]، وخاصة بالقرب من سجلماسة في منطقة الهبط التي وجدت بها مزارع القطن[5].

وتأتي حرفة الصباغة على رأس الحرف التي اشتهر بها اليهود وتخصصوا بها كما تشير إلى ذلك وثائق الجنيزة[6]، إذ عرفوا فنون صباغة الملبوسات فجلبوا الألوان العديدة واستخرجوها من النباتات أو استوردوها من البلاد المجاورة فاستعملوا لذلك الأرجوان واللاك والنيلة والشب والصمغ[7] والمصطكى والقرمز[8] والكبريت والزعفران وصبغة الأسبيداج، والتي تستخدم في صبغ المنسوجات كل حسب لونه، مع الإشارة أن أغلب هذه المواد قد عمل المسيحيون على تصديرها إلى مملكة بني عبد الوادي[9]. وعرفت مدينة العباد بجوار تلمسان ومدينة دلس بالقرب من جزائر بني مزغنة بكثرة الصباغين بها لوجود عدد من الجداول والأنهار[10]. كما تفنن اليهود في زخرفة الملبوسات بزخارف ملونة ورسومات

---

1 جواتياين، مرجع سابق، ص 168.

2 الوزان، مصدر سابق، ج2، ص 132.

3 نفسه، ج2، ص ص 60، 94.

4 عثمان الكعاك، الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط، معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة، 1965م، ص 74.

5 الونشريسي، المعيار، ج8، ص 625.

6 جواتياين، مرجع سابق، ص 168.

7 Dhina, Le royaume, op. cit., P 162-164.

8 Charles-Emmanuel Dufourcq, Les relations de la péninsule Ibérique et l'Afrique du nord au XIV siècle, anuario de estudios medievales, instituto de historia mediaval de Espana, Bercelona, 1970-1971, P 53.

9 Dhina, Les états, op. cit., P 394.

10 الوزان، مصدر سابق، ج2، ص ص 24، 42.

مزركشة لا سيما رسوم الشمعدان (المينورا) أو النجمة اليهودية أو الكف لاتقاء العين والحسد[1]، واحتكروا كذلك تطريز المنسوجات بالذهب[2].

بالإضافة إلى حرفة دباغة الجلود التي برع فيها اليهود في مدن المغرب التي عرفت بكثرة تربية الماشية، بما فيها مدينة تلمسان التي استعملت فيها الجلود المدبوغة في صناعة سروج الخيل[3]، وفي صناعة الرق الذي استعمل للكتابة وتغليف الكتب[4]، أو تصنع منها الأخفاف والنعال والحقائب الجلدية لنقل البضائع والقرب لحمل الزيت والنبيذ وأشياء أخرى مثل الدقيق والمحافظ لإرسال الأموال فيها[5].

1-2-3-حرف وصناعات أخرى

وهناك مهن أخرى وصناعات عمل بها اليهود خلال عهد الزيانيين منها حرفة صناعة الكحل حيث تواجد منجم لمادة الإثمد التي يستخرج منها الكحل في منطقة "تازولت" بإقليم توات التي سكنها اليهود[6]. وحرفة الجزارة حيث نجد إشارة عند صاحب المعيار الذي سئل عن بيع اليهود للطريف (وهو اللحم المحرم عند اليهود) فأجاب: "أن بيع الطريف ليس بحرام عندنا، وكان ابن القاسم يكره بيع الطرفان واشتراء اللحم من مجازر اليهود والنصارى.. وإنما كرهه استثقالا لكراهيتهم وأما حرام فلا"[7]. كما عملوا في صناعة الخمور بسبب نفور المسلمين منها فكانوا يصنعونها من العنب خاصة ما أثار جدلا حول تحريم بيع العنب لأهل الذمة[8]، وجدير بالذكر أن اليهود ذوي الأصول المالقية في

---

[1] عبد الرحمان بشير، اليهود في المغرب العربي، ص 95.

[2] الزعفراني، مرجع سابق، ص 153.

[3] أبو الحسن علي بن يوسف بن سعيد، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، بيروت، 1970م، ص 140.

[4] Hirschberg, A history of the Jews, op. cit., V1, P 271.

[5] عطا أبو ريه، اليهود في ليبيا وتونس والجزائر، ص 125-126.

[6] Jacob Oliel, Les Juifs au Sahara, P 146.

[7] الونشريسي، المعيار، ج5، ص 250.

[8] أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد ابن رشد ، فتاوى ابن رشد، ج3، تحقيق المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1407هـ/ 1987م، ص 1281-1282.

وهران كانوا يشرفون في ذلك الوقت وإلى غاية عصور متأخرة على صناعة الخمور[1]. وبيعت الخمور خاصة للمسيحيين المتواجدين بالفنادق، وفي بعض الأحيان لبعض المسلمين الذين أدمنوا شربها.

كما اعتبرت مهنة تحضير الأدوية والأعشاب الطبية مهنة يهودية بقدر ملحوظ في وثائق الجنيزة، إذ ورد ذكرها مرات عديدة[2]، ويذكر ابن مرزوق في مسنده أن أحد اليهود في مدينة تلمسان اشتهر في مهنة الطب، صنع للسلطان المريني أبي الحسن مرهما للتداوي به من وجع أصابه في كوعه الأيمن، بعد كان أجاد في شرح المرض وعلاماته وعلاجه، لكن هذا السلطان اشترط على اليهودي الإسلام فلما لم يجبه إلى ذلك رد عليه دواءه[3].

كما زاول أهل الذمة وخاصة النصارى منهم حرفا أخرى منها صناعة الزجاج والفخار والنجارة وبالأخص في عهد السلطان أبي تاشفين[4]. ويشير وجود بعض البقايا الخزفية في إقليم توات وخاصة في منطقتي "ويلميري" و"تلفزو" أو "تربزو" -الواقعتين في حدود الواحات شمال وشرق مدينة تمنطيط-، إلى انتشار هذه الصناعة بشكل كبير، خاصة إذا علمنا أن هذه المنطقة كانت تضم عناصر يهودية كبرى[5].كما اختص اليهود ببعض المهن الوضيعة منها حرفة البناء إذ يقول البكري عن أهل سجلماسة: " والبناؤون عندهم يهود لا يتجاوزون بهم هذه الصناعة"[6]. وحرفة الكنافة وهي حرفة تختص بتنظيف القاذورات والمزابل وعن اختصاص اليهود بهذه الحرفة يقول صاحب الاستبصار:" فمن

[1] Richard Ayoun et Bernard Cohen, Les Juifs d'Algérie, deux mille ans d'histoire, op. cit, P 91.

[2] جواتياين، مرجع سابق، ص 168.

[3] ابن مرزوق، مصدر سابق، ص 381.

[4] الميلي، مرجع سابق، ج2، ص 485-486.

[5] Jacob Oliel, Les Juifs au Sahara, P 143.

[6] البكري، مصدر سابق، ص 149.

دخل في الكنافين من أصناف الناس سموهم المجرمين لاجترامهم على حرفة موقوفة على اليهود وقصروا البناء عليهم، خاصة لأنهم خائفون أبدا من أن يخون أحدهم المسلم فيهلكه."[1]

2-النشاط التجاري:

لعب أهل الذمة دورا لا يستهان به في العلاقات التجارية بين الدولة الزيانية والدول المحيطة بها خاصة مع الدول المسيحية الناشئة في تلك الفترة، وسنتطرق في هذا المبحث إلى النشاط التجاري لأهل الذمة والذي سنتناوله من خلال عنصرين أساسيين هما التجارة وأنواعها والطرق التجارية.

2-1- التجارة وأنواعها

برز في العهد الزياني ذميون كثر استحوذوا على قطاع التجارة ساعدهم في ذلك كثير من المعاهدات والاتفاقيات التي أبرمتها الدولة الزيانية مع نظيرتها المسيحية. غير أن أبرز نشاطاتهم التجارية برزت على الصعيد الخارجي نظرا للأرباح الهائلة التي تدرها هذه التجارة، ولم تلق التجارة الداخلية اهتماما كبيرا منهم.

2-1-1-التجارة الداخلية:

كما سبقت الإشارة فإن التبادل التجاري الداخلي كان قليلا بالنسبة للذميين داخل أراضي الدولة الزيانية، ذلك أنهم كانوا يهتمون بالتجارة الخارجية أكثر نظرا لما تدره عليهم من أرباح طائلة، إضافة إلى أن المسلمين هم من كانوا يحتكرون التجارة الداخلية سواء داخل المدن أو بين المدن الزيانية بعضها ببعض، وبسبب سكوت الكثير من المصادر عن تناول هذا الموضوع. غير أننا سنحاول من خلال بعض النصوص والإشارات التطرق إلى بعض السلع المتاجر بها من طرف أهل الذمة وأماكن تجارتها ومن تولى ذلك منهم.

---

[1] مجهول،كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1985م، ص 201.

يذكر المؤرخون أن فنادق الأوربيين المتواجدين داخل أراضي الدولة الزيانية خاصة الساحلية منها كانت تحتوي على دكاكين يضع فيها التجار بضائعهم ثم يعرضونها على الزبائن لبيعها إما عن طريق الجملة أو بالتجزئة عن طريق المزايدة، ويتلقون في هذه المحلات البضائع القادمة من جوف الصحراء حيث يبيعها لهم تجار يهود ومسلمون[1].

بالإضافة إلى انتشار ظاهرة التاجر المتجول التي اشتهر بها اليهود[2]حيث وردت نازلة في هذا المعنى ضمن نوازل ابن مرزوق يقول فيها السائل:" جوابكم على الرجال من المسلمين ومن أهل الذمة يقصدون بيع السلع من النساء في الدور أو لتصليح الحوائج مثل المغزل أو غيره، وقد تخرج إليهم المرأة لمباشرة البيع وهي مكشوفة الوجه وخصوصا في زمن الحر، وقد تدفع ما تشتري به من مال زوجها ببخس من الثمن أو من الزرع أو غيره، هل يسوغ تقديم مثل هؤلاء للبيع من النساء"[3].

ووردت نازلة أخرى عند المازوني يقول فيها: "سئل أبو الفضل العقباني عن يهود سكنوا في البادية ويتجرون في أنواع المتاجر..."[4]. إذ يتبين من هاتين النازلتين انتشار بيع التجول نقدا أو مقايضة.

ويتبين كذلك انتشار الذميين في أرجاء الدولة الزيانية خاصة في حواضرها الكبرى مثل تلمسان، وهران ومستغانم وتنس، إضافة إلى بجاية –التي استولى عليها الزيانيون فترة من الزمن-، ويذكر أن بها سوقا كان لليهود يبيعون فيها منتجاتهم خاصة من الأقمشة والملابس المصنوعة التي تجد رواجا لدى المسلمين.[5]

[1] عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ص 138.

[2] Jean Laloum et Jean-Luc Allouche, Les Juifs d'Algérie, Images et textes, Editions du Scribe, Paris, 1978, P 244.

[3] نوازل ابن مرزوق، مخطوط المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر، رقم 1342، ورقة 17.

[4] مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج2، ص 255.

[5] برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، ج1، ص 442.

وقد اشتهر كذلك يهود توات بممارستهم التجارة في الواحات والقصور التابعة لتوات والتي يتجاوز عددها مائتي قصر بالإضافة إلى واحاتها المتعددة[1]، فأصبحت مركزا تجاريا هاما لكثير من أثرياء وتجار اليهود يتحكمون فيها بكل الأسواق ولهم بها دكاكين كثيرة يمارسون بها البيع والشراء للسلع الآتية من السودان أو الذاهبة إليه، ولا يكاد يستطيع أحد مجاراتهم بسبب احتكارهم وعلاقاتهم المتينة مع حكام البلاد، فكان التجار المارون بتوات لا يعارضون اليهود ويتوددون إليهم ليمكنوهم من التصرف في سلعهم ببيعها أو استبدالها أو شراء سلع أخرى.[2]

وبما أن اليهود كانوا صناعا وحرفيين فإن تجارتهم في هاتين الحرفتين قد لقيت رواجا كبيرا في مدن الزيانيين، فقد تفننوا في صياغة المعادن الثمينة كالمجوهرات والحلي والذهب والمرجان وطوروها بمهاراتهم وخاصة عند قدوم يهود الأندلس برؤوس أموالهم وخبرتهم إلى البلاد الزيانية، وتدعيمها فهيمنوا على تجارتها خاصة في مدينة تلمسان[3]، فقد كانت لهم بها سوق مشتهرة عرفت باسم سوق الصياغة وتوجد بين المكان المسمى "سويقة إسماعيل" إلى "رأس الصاغة"[4].

وكذا تجارة اللحوم أي حرفة الجزارة فقد وردت نازلة عند الونشريسي تسأل عن بيع اليهود اللحوم للمسلمين ومدى جواز ذلك، وبخاصة اللحوم المحرمة عندهم والتي يسمونها "طريفة"[5]، مما يبين أنهم كانوا يتعاطون هذه التجارة. وقد أفتى الونشريسي بجواز شراء ذبائحهم وأكلها، إلا أن الارتياب طبع نفوس المسلمين عند التعامل مع اليهود في هذا المجال[6].

---

[1] الشيخ الأمين عوض الله، تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وآثارها الحضارية حتى القرن السادس عشر الميلادي، ضمن كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1404هـ/ 1984م، ص 80.

[2] مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج2، ص 270.

[3] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 217.

[4] نصر الدين براهامي ، نص: سيدي محمد نقادي، تلمسان الذاكرة، منشورات ثالة، الجزائر، بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007، ص 69.

[5] الونشريسي، المعيار، ج5، ص 250.

[6] الونشريسي، المعيار، ج5، ص 250.

وكذلك نجد من أفراد الجالية اليهودية من كانوا يصنعون الصابون والمنسوجات والسروج وحاجيات الخيول وأغلب مصنوعاتهم تصدر إلى سوق أم عسكر الذي تعرض له الوزان في زيارته له في القرن (10هـ/16م)[1].

ونجد بعض التجار الإسبان يستقرون في البلاد لممارسة التجارة مثلما هو الحال مع أحد تجار إسبانيا المعروف باسم الدكتور "أوربيخا Lebrja" سنة 943هـ/1536م الذي استقر بمدينة تلمسان لمزاولة النشاط التجاري، وكُلف فيما بعد بشراء الحبوب لفائدة حاكم وهران "الكوديتي"[2].

واستقر في مدينة بجاية سنة 1390م مهاجر يهودي أندلسي يدعى "موسى عمار Moïse Amar" وقد كان تاجرا من جزيرة ميورقة قبل استقراره في هذه المدينة وتخصص في تجارة الخمور[3]. إذ عرف أهل الذمة باحتكارهم لتجارة الخمور نظرا لتحريمها على المسلمين، فاشتهروا بها وباعوها لأهل ذمتهم وللمسلمين عبر أراضي الدولة الزيانية، كما اشتروا العنب الذي يقومون بعصره لإنتاج أنواع مختلفة من الخمور[4].

وكان الأحبار المعلمون في البيعة لا تسمح لهم المكافأة التي يتلقونها أن يعيشوا حياة لائقة، فكانوا مضطرين على الدوام أن يقوموا بأشغال هامشية أو ثانوية، كتجارة الورق أو الحبر الذي يقومون بصناعته ثم بيعه[5].

كما تضمنت الأسواق حوانيت تضم كافة حرف اليهود ولم يلتزم اليهود بالبيع في الأسواق فقط بل كانوا يبيعون للنساء في منازلهم، إلى جانب خروجهم لتلقي القادمين من البادية في الطريق

[1] مختار حساني، المرجع السابق، ج2، ص 80.
[2] حساني مختار، تاريخ الدولة الزيانية، ج2، ص 139.
[3] فوزي سعد الله، يهود الجزائر -هؤلاء المجهولون-، ص 98.
[4] الونشريسي، المعيار، ج6، ص 69.
[5] حاييم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، ص 63.

لشراء البضائع بأسعار أقل من التي في الأسواق[1]، كما كان بعض اليهود يخرجون إلى الأسواق البعيدة للشراء أو البيع، ويسمى هؤلاء الطوافون، وتقوم بعض نساء اليهود ببيع القمح ومحاصيل أخرى، أثناء اشتغال الرجال بالطواف لجمع المحاصيل[2].

كما نقل الوزان من خلال رحلته أنه كان للتجار الجنويين الذين كانوا يتجرون ببلاد المغرب الأوسط مخازن لوضع بضائعهم. وكانوا يتاجرون مع أهل البلاد الذين يدفعون لهم القمح مقابل أقمشة وغيرها من منتوجات أوربا[3].

2-1-2-التجارة الخارجية:

عرفت التجارة الخارجية ازدهارا كبيرا في العهد الزياني، وعقدت عدة معاهدات خاصة مع المسيحيين، وظهر أهل الذمة في ميدان التجارة فاحتكروا الموانئ واستغلوا علاقاتهم العنكبوتية مع كل دول حوض البحر المتوسط، ومعرفتهم بالطرق التجارية والتسهيلات التي أتاحتها لهم الدول التي تعاملوا معها، واستفادت هذه الأخيرة من نشاطاتهم بإضافة مداخيل هامة إلى خزائن السلطة الحاكمة، وقد استفادت الدولة الزيانية من التجارة الخارجية أيما فائدة، فضمِنت المعاهدات التي عقدتها مع الدول المسيحية الناشئة في بلاد الأندلس خاصة، حرية التجارة والمبادلات التجارية، فأنشئت لهذا الغرض الموانئ وعمرت بالبضائع وبنيت الفنادق لاستقبال التجار وتمكينهم من ممارسة نشاطاتهم في أحسن الظروف، وشيدت الأسواق بالمدن الساحلية التي تعرف حركة تجارية واسعة، مثل وهران، هنين وتنس، وبرشك... ، وأبرزها تلمسان، هذه الأسواق المسماة القيساريات.

---

[1] عطا أبو رية، اليهود في ليبيا وتونس والجزائر، ص 143.

[2] المرجع نفسه، ص ن.

[3] الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص 55.

أ-القيسارية المدينة الاقتصادية في الدولة الزيانية:

"القيسارية"la Kayssaria وأنشئت في المدن الساحلية التي تحوي الموانئ، وهي عبارة عن تجمع كبير بمثابة مدينة بها كل المرافق التي يحتاجها التجار، ومن أمثلتها قيسارية مدينة تلمسان* التي أسسها السلطان الزياني أبو حمو موسى الأول (707-718هـ) والتي ربما تزيد مساحتها عن 4500م أي أكثر من 100هكتار[1]، وتضم ساحة كبيرة مسورة بجدار تعلوه رايات الدول التي تتاجر مع الدولة الزيانية مثل قشتالة وأرغون، وميورقة وبروفانس ولانغدوك وبيزا وجنوة والبندقية[2]، وتحيط بالساحة عمارات من طابقين أو أكثر لسكن التجار الأجانب، وليس لهذه الفنادق باب من ناحية المدن،[3] إلا باب واحد ضخم يغلق ليلا تحت حراسة مشددة، لمنع اختلاط التجار الأجانب مع أهل البلد، ولا يسمح بالدخول إلا لمن يحمل ترخيصا من القناصلة[1]، ولكل جالية فندق خاص بها، فللجنويين فندقهم وللبيزيين كذلك، والبنادقة والميورقيين، والأرغونيين...وكل فندق يحوي طابقين لنوم وراحة التجار، وتضم القيسارية مخازن للبضائع، ودكاكين لعرض السلع، ومكاتب الجمركة، ومكاتب

---

* شيدت قيسارية تلمسان في عهد الأمير "أبو حمو موسى الأول" بمركز المدينة، شرق المسجد الكبير، وفي بداية الاستعمار الفرنسي كان علو الجزء المتبقي من سور القيسارية هو 9 أمتار من قاعدته إلى قمة الشرفات. لسوء الحظ، وبمنطق حاقد من الاستعمار، استولت سلطات الاحتلال على القيسارية، وحولتها إلى ثكنة عسكرية قبل أن تسويها بالأرض حيث يقول Brosselard نفسه:" منذ الأيام الأولى لفتحنا، ونظرا لضرورة الحاجة إلى ثكنات للجند قررت السلطات أن تضع اليد على هذا المكان الواسع والجميل، الواقع في منطقة مركزية ورائعة" (R.Afr.P22)، وتحتل هذه القيسارية مكان السوق المغطاة الآن وتجاوزه كثيرا، وليست هي الشارع التجاري الرئيسي الذي يحمل الاسم نفسه، بل هي قريبة منه.. انظر براهامي، مرجع سابق، ص 65. و Bouziane-Oufriha, Tlemcen, op. cit., P 347, 349.، ولا زالت تسمية القيسارية متداولة في البلاد المغربية وخاصة في المغرب الأقصى، ويقصد بها تجمع الدكاكين المختصة ببيع الأقمشة والألبسة.

[1] Bouziane-Oufriha, op. cit., P 347.

[2] Dhina, le Royaume Abdelouadide, P 60.

[3] Ibidem.

القناصل، إضافة إلى الكنائس المسيحية والمعابد اليهودية والتي كان عددها سبعة عشر كنيسا يهوديا[2]، ومقبرة خاصة بكل جالية[3]، وحمامات وإذا لم يتوفر الفندق على حمام يسمح لبعض الجاليات حسب الاتفاقيات المبرمة بالذهاب إلى حمام المدينة في يوم محدد من أيام الأسبوع[4]، وتتضمن الفنادق أفرانا وفي بعض الأحيان حانات[5].

بالإضافة إلى ذلك كانت هناك عدة فنادق مخصصة لإقامة التجار الغرباء وعرفت بأسماء متعددة مثل فندق الرمانة، فندق أبو علي، فندق المامي وتقع كلها بالحي الاقتصادي للمدينة مما يدلل على أهميتها الاقتصادية في الفترة الزمانية ولا تزال هذه المباني قائمة إلى الآن رغم تحول نشاطات بعضها وخضوعها للترميمات للحفاظ على طابعها المعماري الأصلي[6].

ويشرف على دور العبادة في الفنادق رجال الدين المعينين من طرف أساقفة دولهم، كما توجد بالفنادق غرف خصصت لسجن التجار المخالفين الذين يصدر ضدهم القنصل أحكاما، واستخدمت بعض غرف الفندق كأندية للتجار.[7] ويسهر على الشؤون الإدارية للفندق موظف يسمى الفندقي، وهو مندوب القنصل ويختار من ذوي الجاه والمنزلة.[8]

---

[1] De Mas-Latrie, Traités de paix et de commerce, op. cit., P 171(introduction).

[2] Darmon, Origine et constitution de la communauté Israélite de Tlemcen, op. cit. , P377.

[3] Dhina, le Royaume Abdelouadide, op. cit., P 64.

[4] سلفاتوري بونو، وضع الجاليات الأوربية في المغرب، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 25، جمادى(1-2) 1395هـ/ ماي-جوان 1975م، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ص 144.

[5] De Mas-Latrie, Traités de paix et de commerce, op. cit., P 169.

[6] عمر بلوط، الفنادق في مدينة تلمسان الزيانية، رسالة لنيل شهادة الماجستير، تخصص آثار إسلامية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، إشراف أ.د.لعرج عبد العزيز، 2004/2003م، ص 89 وما بعدها.

[7] فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص 138.

[8] Mas-Latrie, op. cit., P 169.

أما القناصل فهم تجار أيضا تعينهم حكوماتهم، طبقا للاتفاقية المبرمة مع بني زيان، ويعتبرون الواسطة بين التجار الأجانب والسلطة المحلية والتي يسمح له بمقابلتها في كل شهر[1]، وكانت مدة خدمة كل قنصل قصيرة لا تتعدى 3 سنوات على الأكثر، يتمتع خلالها بالحصانة الدبلوماسية، ويسمح له أن يصطحب معه كاهنا وحصانين وأربعة خدم يعرف أحدهم الكتابة، ومن حقه أن يأخذ معه ما يرغب فيه من السلع والبضائع للاتجار بها، ويبلغ راتبه ثلثي دخل الفندق، الذي يشتمل على أجور غرف الفندق والدكاكين التي تؤجر بمعيته[2]. كما كان لكل دولة أكثر من قنصل يمثلها لدى الدولة الزيانية، وربما يحتاج إلى نواب في عدة مدن يساعدونه في الأمور التجارية لجالياتهم[3].

ويمكن أن يكون القائد alcayt هو ممثل الدولة المسيحية وقائد المسيحيين داخل الدولة الزيانية سواء كانوا تجارا أو جنودا أو رجال دين فيقوم بذلك مقام القنصل، فقد أعلم الملك "جاك الثاني" " Jacques II" برسالة بعثها من فالنسيا يوم 12 أفريل 1296م أتباعه المقيمين بمملكة تلمسان بتعيين رودريغو سانشيز دي فرغايس "Rodrigue Sanchez de Vergayz" في منصب القائد ورئيس المسيحيين التابعين لمملكة أرغونة في تلمسان ويأمرهم بالتعرف عليه وطاعته في كل ما يأمر به في هذا المجال[4]، وكذلك تعيين الفارس فيليب دي مورا " le chevalier Felip de Mora" في منصب القائد إبان حكم "أبي حمو موسى الأول"، وخلال سنوات 1325-1330م تم تعيين الفارس غيوم استوريش" le chevalier Guillem Estrus" على رأس الجالية الميورقية. كما تم تعيين ابن الملك جاك الثاني " Jacques II" كقائد للقطلانيين بين سنتي 1324-1325م.[5] ويذكر أن القطلانيين من خلال معاهدة سنة 1286م الموقعة مع السلطة الزيانية قد حققوا زعامة نوعية بتبوء القائد القطلاني المعين من طرف ملك أرغونة منصب قيادة كل المسيحيين

---

[1] Dhina, op. cit., P 257. برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، ص 463

[2] فيلالي، المرجع السابق، ص 138-139.

[3] برنشفيك، المرجع السابق، ص 466.

[4] Mas-Latrie, Traité de paix et de commerce, -supplément et tables-, P 46.

[5] Dhina. A, Les Etats de l’occident musulman, op. cit., P446.

المتواجدين على أراضي مملكة تلمسان الزيانية فلا يسمح لهم بالدخول أو الخروج أو التقاضي إلا بإذن منه[1].

وفيما يخص التجار المسيحيين فلم يكن يُسمح لهم باصطحاب زوجاتهم أو الزواج من بنات المسلمين، مما لم يشجعهم على الإقامة في المدن الزيانية أو تشكيل طوائف اجتماعية[2]. لكن الدولة تقوم بحمايتهم لأن نشاطهم التجاري يعود بفائدة كبيرة على الخزينة. هؤلاء التجار كانوا لا يرغبون في الذهاب بتجارتهم إلى جوف الصحراء، ولا يتوغلون فيها وإنما ينتظرون في فنادقهم قدوم التجار المسلمين واليهود بالذهب والعاج، وريش النعام وهي البضائع التي تشتهر بها بلاد المسلمين والسودان[3].

وقد حرصت الدول المسيحية على تنظيم إقامة وتنقل تجارها داخل المدن الزيانية من خلال معاهدات واتفاقيات ومنها اتفاقية سنة 696هـ/1286م الموقعة بين عثمان بن يغمراسن ملك تلمسان وألفونسو ملك أرغونة[4]، والتي حددت أماكن تواجدهم وإقامتهم وحقوقهم وسهر السلطات الزيانية على حمايتهم وقضاء احتياجاتهم، وكذا خضوعهم لأحكام الدولة وحرية احتفاظ بجنسياتهم ومعتقداتهم[5]، وممارسة شعائر دينهم بأمان، أما الذين لا توجد بين دولهم وسلطان تلمسان أية اتفاقية فبإمكانهم الدخول تحت لواء دولة صديقة، وعلى كل فإن أعداد التجار المسيحيين المتواجدين في البلاد الزيانية لم يكن ليزيد عن بعض العشرات من كل دولة[6].

---

[1] Dhina. A, Les Etats de l'occident musulman, op. cit., P 448.

[2] Dhina. A, le Royaume Abdelouadide, op. cit., P 60.

[3] فيلالي، المرجع السابق، ص 138.

[4] انظر نص الاتفاقية في الملحق رقم04.

[5] تجدر الإشارة إلى الأمر البابوي الصادر سنة 1290م عن البابا نيقولا الرابع le Pape Nicolas IV الذي يشدد فيه على وجوب التزام الدين المسيحي بالنسبة للمسيحيين العاملين في خدمة سلطان تلمسان وعدم التحول إلى الإسلام. انظر Dhina, Le Royaume, op,cit, P61.

[6] فيلالي، المرجع السابق، ص 190.

ب-نظام الجمركة: شهد النظام الجمركي الذي كان يطلق عليه اسم الديوان أو ديوان البحر[1] خلال الحقبة الزيانية تطورا مشهودا، بتنظيمه المحكم وازدهاره، إذ وجدت في عهد الزيانيين إدارة مركزية للجمارك بمدينة تلمسان عاصمة الدولة وإدارتين محليتين تابعتين لها الأولى بمدينة وهران والثانية بهنين[2]، اهتمت بمراقبة التجار المارين منها وإليها وتنظيم تعاملاتهم وجبي الضرائب والمكوس المفروضة عليهم. ولا شك أنه كانت هناك إدارات أخرى في موانئ المدن التجارية التي كانت تشهد حركة تجارية كبيرة لا يمكن الاستهانة بها أو التغاضي عن تحصيل الضرائب المترتبة عليها من طرف حكام الدولة الزيانية. ومن هذه المدن تنس، وبرشك ومستغانم وأرزيو وشرشال، ومزغران...، والتي يشيد الوزان في كتابه وصف إفريقيا بازدهارها التجاري[3]. والتي عرفت تواجد إدارات جمركية بها[4]، بالإضافة إلى ميناء تاونت الذي لعب دورا اقتصاديا مهما في العلاقات بين الدولة الزيانية والدول المسيحية آنذاك[5].

---

[1] برنشفيك، المرجع السابق، ص 379، انظر كذلك بشاري لطيفة، العلاقات التجارية للمغرب الأوسط في عهد إمارة بني عبد الواد من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين (13-16م)، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ص 177.

[2] الدراجي بوزياني، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص 221.

[3] انظر الوزان، وصف إفريقيا، مصدر سابق، خلال حديثه عن هذه المدن وتطورها التجاري في الجزء الثاني الذي بدأه بوصف مملكة تلمسان ومدنها.

[4] Kaddache Mahfoud, L'Algérie des Algériens de la préhistoire à 1954, EDIF 2000, ALGER, 2003, P 300

[5] Dhina, le royaume Abdelouadide, op. cit., P 140.

يقول قداش محفوظ (في المرجع السابق وفي نفس الصفحة) عن هذا الميناء أنه يقع غرب ميناء وهران ويطلق عليه تسمية أخرى إضافة إلى اسم تاونت وهي Nemours، كما تم ذكره في المجلة الإفريقية على أنه يتواجد بضواحي وهران وبالضبط في مدينة الغزوات الحالية ولم يتبق منه إلا الآثار، انظر Francis Llabador, Recherches d'Archéolgie musulmane : Les ruines de Taount, bourgade berbère du Maghreb central, Revue Africaine, V 88,1944, Alger, pp 200-201.، أما عند البكري فهو حصن منيع في جبل منيف قد أحاط به البحر من ثلاث جهات وينزله قبيل من البربر يعرفون ببني منصور، انظر البكري، عبيد الله، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 80، كما بقي يعتبر إبان الاحتلال الفرنسي مركزا هاما وأقيمت به ثكنة عسكرية، ينظر André Brochier, Dictionnaire des communes, douars et centres d'Algérie sous l'administration civile Française, AMAROM, Aix-en-Provence, France, 2016, P 345.= و، -

وقد أدار شؤون هيئة الجمارك في الموانئ الزيانية موظف يطلق عليه اسم صاحب الديوان أو المُصرف[1]، وربما تعني هذه الكلمة المتصرف الذي يتصرف في شؤون هذه الهيئة أو هي تصحيف لكلمة المُشرف أي من يشرف على أمور هذا الديوان، وأطلق عليه كذلك اسم الناظر[2] وقد يهتم بهذا الأمر -الذي يعد ذا أهمية كبيرة لدى السلطة الحاكمة- المكلف بالإدارة المالية للدولة الذي يكون في أغلب الأحيان صاحب الأشغال لأن مداخيل التجارة مع الدول المسيحية ذات أهمية عظيمة عند سلطان الدولة الزيانية[3]، وقد قابل الرحالة المصري عبد الباسط بن خليل خلال زيارته لمدينة وهران في سنة 870هـ/1465-1466م مشرف المدينة الذي قال عنه أنه ليس لأحد معه كلمة، وأرود خبر قدوم "عبد الله بن عبد الرحمان بن النجار" ابن صاحب الأشغال في الدولة الزيانية لجباية العشر من مراكب مسيحية قدمت من بلاد الفرنجة للتجارة بوهران[4].

ومهمة مشرف الديوان أو المدير هي جباية الرسوم المفروضة على السلع المتاجر بها لصالح السلطان ويشرف على الشرطة داخل الموانئ ويمثل في نفس الوقت سلطة قضائية لأنه يفض المنازعات ويفصل في الدعاوى بين المسيحيين ذوي الجنسيات المختلفة[5]. ويمكن الإشارة إلى لجوء سلاطين الدولة الزيانية -في أواخر عهودها-إلى الاستعانة ببعض اليهود لجباية الأموال وقبض الأعشار من التجار الإسبان وغيرهم المتوافدين على سواحل المغرب الأوسط، مثلما أرسل السلطان مولاي محمد

Archives Vincennes, France, boite 1H 4448, dossier N° 01, bulletin de renseignements.

[1] برنشفيك، المرجع السابق، ص 105. ويطلق عليه دهينة اسم المدير انظر.Dhina, op. cit.,P258

[2] Mas-Latrie, Traité, P 187.

[3] بوزياني، مرجع سابق، ص ص 164، 220.

[4] محمد حسن، المرسى الكبير بوهران ودوره في الملاحة المتوسطية من النشأة إلى الاحتلال الإسباني (904-1509م)، كتاب الملتقى الدولي "الموانئ الجزائرية عبر العصور"سلما وحربا"" المنعقد يومي 07-08 ديسمبر 2009م بالجزائر العاصمة، تنظيم مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط (الجزائر) إلى نهاية العهد العثماني –جامعة الجزائر، منشورات دار هومة، الجزائر، ص 620.

[5] Dhina, op. cit., P 258-259.

اليهودي الحاخام"حيام بنو درهوم" سنة 1537م لاستخلاص حق بني زيان من الضريبة الجمركية من حاكم وهران، أو بعث "سلمان تورينو" اليهودي. لأخذ نصيب بني زيان في ضريبة عام 1521م[1].

وقد أثار استعمال اليهود في استخلاص الجبايات والإشراف على مراكز الجمركة حفيظة العلماء والفقهاء الذين أنكروا ذلك، إذ يقول الفقيه محمد بن مرزوق الحفيد (ت 842هـ/1439م):

تلمسان دار لا تليق بجاهنـــــا ولكن لطف الله نسأل في القضا

فكيف يرجى الخير ممن يسوسه يهود وفجـــار ومن ليس يرتضى[2]

ويساعد هذا المشرف في عمله عدة معاونين منهم أصحاب الوظائف العليا وهم موظفون كبار محترمون وهم:

المفتشون: وهم موظفون يحضرون عملية البيع وتقع على عاتقهم مهمة مراقبتها، وهو يمثل بحضوره سلطة الإدارة الجمركية، وكل جالية مسيحية لها مفتش خاص يراقب عملياتها[3].

رئيس الحسابات: ويعمل تحت تصرفه مستخدمون مكلفون بالحسابات الخاصة بالمتعاملين وتقييدها في دفاتر[4].

ممثلو السلطان: وهم أعوان تعينهم السلطة الحاكمة لحضور عمليات بيع المواد الغذائية أو السلع لحسابها ويحضر كذلك معظم مراحل عمليات الشراء[5].

ونجد تحت هؤلاء الموظفين آخرين أقل رتبة منهم يكسبون قوتهم بِجدّ وهُم:

[1] مختار حساني، المرجع السابق، ج2، ص 161.
[2] التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص244.
[3] Dhina, le royaume Abdelouadide, op. cit., P 259.
[4] Mas-Latrie, traité de paix et de commerce, op. cit., P 188.
[5] Dhina, le royaume Abdelouadide, op. cit., P 259.

المترجمون: وأعدادهم كثيرهم ومعتبرة، ويختارون بعناية وهم محلّفون، ومثل المفتشين فقد كان لكل جالية مترجم خاص يتولى تعيينه المشرف، لكن لا يحق لأي تاجر أن يكون له نفس المترجم دائما[1]. وجدت بعض الفوارق بين المترجمين إذ أن الأساسيين منهم غالبا ما كانوا يخصصون للترجمة أو الصياغة الرسمية للمعاهدات وشهادتهم تعتبر قاطعة، وكان تدخله المنظم في عملية تجارية يعتبر التزاما من الديوان نفسه، الذي يصبح ضامنا للديون[2]. وقد أتقن مهنة الترجمة كثير من اليهود فعملوا على ترجمة المعاهدات والعهود وعقود البيع والشراء بين المسلمين وغيرهم[3].

الوسطاء أو السماسرة: وهم المكلفون بعملية البيع بالمزاد بحضور المفتشين، واشتهر كثير من اليهود بإتقانهم لمهنة السمسرة وبرعوا فيها إذ يقومون بإشهار البضائع للبيع ويشرفون على عملية المزايدة فيها[4] وقد كان لكل جالية مسيحية وسطاء خاصون بها كما هو الحال بالنسبة للوظائف السابقة[5].

العمال البسطاء: ومنهم المجذفون أو الملاحون الذين يتحملون عناء المخاطرة في عرض البحار لحمل السلع على زوارقهم أو سفنهم وإيصالها إلى الموانئ، والحمالون أو يطلق عليه تسمية العتالين الذين يتولون شحن البضائع أو إنزالها من على السفن[6].

[1] Dhina, op, cit, P 259.

[2] بشاري، مرجع سابق، ص 180. انظر كذلك Mas-Latrie, op. cit., P 189-190.

[3] Dufourcq, L’Espagne catalane, P 141.

[4] نجاة الباشا، التجارة في المغرب الإسلامي من القرن 4 إلى 8هـ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، منشورات الجامعة التونسية، 1976م، ص 53.

[5] المرجع نفسه، ص 181.

[6] Dhina, le royaume, op. cit., P 259.

ج-طرق التعاملات التجارية:

تعددت طرق التعاملات التجارية خلال العهد الزياني بين الجاليات المسيحية واليهودية من جهة أو بينها وبين المسلمين من جهة أخرى، غير أننا نستطيع تحديد أهم طرق هذه المعاملات وإن كان أغلبها مستمدا من الأنظمة الاقتصادية السابقة مثل المرابطين والموحدين[1].

1-البيع نقدا: وكان هو الغالب في التعامل، إذ عرفته بلدان المغرب الأوسط منذ القدم، وزاد انتشارها بعد قدوم ذهب السودان ابتداء من القرن الرابع عشر ميلادي[2]. وكان التداول غالبا يتم بالدينار الزياني الموروث عن الدول السابقة والمضروب في دار السكة بمدينة تلمسان[3]. وربما تمت عمليات البيع كذلك باستعمال نقود أندلسية وخاصة بعد قدوم المهاجرين اليهود والمسلمين بأموال ونقود ضربت في بلاد الأندلس مما ساعد على شيوع العملة الإسبانية وثقة الناس المتزايدة بها[4]. وشاع التداول بين التجار الأجانب والمسلمين بالعملة الأجنبية التي يفسر تداولها في البلاد الزيانية من خلال قدومها ضمن الهدايا والإتاوات التي كانت تصل إلى البلاد أو عن طريق تحصيل هذه النقود في إطار إجراءات عملية افتداء الأسرى التي كانت تحدث من حين لآخر[5].

[1] عن المعاملات المالية السائدة في عصري المرابطين والموحدين انظر:حمزة عبد الصمد، النظام المالي لدولتي المرابطين والموحدين، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، العدد 06، ديسمبر 2012، جامعة زيان عاشور بالجلفة، ص 19.

[2] جميلة بن موسى، تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي وبلاد السودان الغربي من القرن الثالث إلى الخامس هجري، رسالة ماجستير، تخصص: التاريخ الوسيط، إشراف: د.إبراهيم فخار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 1421-1422هـ/2000-2001م، ص 128.

[3] انظر عن النقود والسكة الزيانية، بوزياني الدراجي، مرجع سابق، ص 227.

[4] ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية، (1800-1830)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص 195.

[5] المرجع نفسه، ص 194.

2-القرض:وهو إعطاء مال للتجارة نظير جزء من الربح قد يكون النصف أو الثلث أو الثلثين حسب اتفاق الطرفين، وربما يكون هذا المال نقدا أو ذهبا[1]، وقد يكون نقدا بسلعة، وأكثر من كانوا يمتهنون هذا الصنف من التبادلات هم اليهود نظرا للأرباح التي يدرها عليهم هذا النوع من التعامل لأنهم يتعاملون بالربا، ولا يجدون حرجا في إقراض أصحاب الديانات الأخرى بفوائد إذ أن ذلك حلال في شريعتهم حتى ترادف اسم اليهودي مع اسم "المرابي" خاصة مع نهاية القرن الثالث عشر ميلادي[2]، وامتد هذا المفهوم منذ ذلك الوقت من أوربا نحو بلاد المغرب الأوسط[3].

3-المعاوضة: أو المقايضة وهي تبديل سلعة بسلعة أخرى دون تقييم نقدي لهما، وقد شاع هذا النوع من التبادل خاصة في أوقات الأزمات الاقتصادية وقلة النقد، فقد ثبت مثلا أن رجال دين كانوا يحولون البضائع التي يحضرونها إلى بلاد المغرب الإسلامي لتكون قيمة لتبديل العبيد، ومن هذه البضائع بعض القلنسوات المصنوعة في طليطلة وأثوابا قيمة جدا[4]، ويذكر أنه حوالي سنة 1382-1383م باع تجار من جزيرة ميورقة في تلمسان بضاعة متكونة من أغطية مقابل زيوت وفلفل غيني وكرمس[5]، وحتى تجار فرنسا الذين كانوا يتوافدون على موانئ الدولة الزيانية لشراء العبيد مقابل الخمور أو المنسوجات الحريرية والأغطية التي تأتي من باريس ونربو ومنبوليي ومارسيليا[6].

4-البيع بالأجل: وهو بيع سلعة إلى أجل محدد، وقد يوثّق في عقد حتى يحين أجل استيفائه فيطلب صاحب المال من المشتري تسليمه المبلغ المتفق عليه، وقد وردت نازلة بخصوص تهرب يهودي من دفع

---

[1] كمال السيد أبو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 1996، ص 86.

[2] المسيري، موسوعة اليهود، ج1، ص 123.

[3] نجوى طوبال، طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر، ص 177.

[4] غييرمو غوثالبيس بوستو، الموريسكيون في المغرب، ترجمة: مروة محمد إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005، ص 207.

[5] Ch.E.Dufourcq, L’ibérie chrétienne et le Maghreb XIIe-XVe siècle, Variorum, Hampshire, Great Britain, 1990, P165.

[6] حساني مختار، تاريخ الدولة الزيانية، ج2، ص176.

المبلغ المستحق، حيث أن أحد اليهود من تجار الصحراء قد ابتاع من تجار المسلمين سلعا كثيرة، ما يقرب من 8000 دينار ذهبي، فلما وصل إلى قصر من قصور الصحراء تمنّع بأهله، إلى أن سافر أرباب الديون فعاد إلى موضعه، وصار يبيع ويشتري كما كان أولا وبيده مال كثير، فعندما يطلبه أحد من أرباب الديون الذين كان قد اشترى منهم السلع المذكورة يقول هو عديم[1].

5-البيع بالرهن: وهو بيع سلعة مقابل رهن متفق عليه قد يكون محصولا أو منزلا أو أرضا، ويثبت ذلك بكتابة عقد الرهن[2]، وكان اليهود يتولون تسليف المزارعين ما يحتاجونه ثم يقومون بجمع المحاصيل التي يسلمها لهم الفلاحون مقابل ديون أو رهون وكانت تلك المواد التي يتلقونها منهم أداء لهذه الديون[3].

6-البيع بالمزايدة: وهو أن ينادى على السلعة في الأسواق ويزاد في ثمنها حتى تستقر عند ثمن معين لا يستطيع أحد من الحاضرين أن يزيد عليه، ويقوم الدلال (الذي ينادي على السلعة) بدور الوسيط بين البائع والمشتري[4]، وقد شاع هذا النوع من البيوع في الموانئ والقيساريات[5] في العهد الزياني بين التجار القادمين ببضائعهم المتنوعة سواء كانوا مسيحيين من جنسيات مختلفة أو يهودا أو مسلمين.

7-البيع بالحوالة: وهو أن يفوض التاجر وكيلا له لدفع ثمن بضاعة ما خاصة إذا كان التاجر الأصلي غائبا أو خاف خطر الطريق على أمواله، فيكتب لذلك كتابا يسمى "السفتجة" أو "الحوالة" يرسله مع من يريد قبض المال، وتعد هذه العملية وسيلة لتفادي عمليات الدفع نقدا التي تشكل مخاطر كبيرة في الطريق والنقل خاصة إذا كانت المبالغ المستحقة ضخمة، وقد لعب اليهود دورا رئيسا في

---

[1] حساني مختار، المرجع السابق، ج2، ص264.

[2] إبراهيم القادري بوتشيش، حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، يونيو 2002، ص 35.

[3] عطا أبو رية، اليهود في ليبيا وتونس والجزائر، ص 155.

[4] الحسين بولقطيب، الحياة الاقتصادية للحلف القبلي المصمودي، مجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، العدد 18، السنة الخامسة، شتاء عام 1993م/1413هـ، ص 97.

[5] Dhina, le royaume, op. cit., P 259.

التعامل بهذا النموذج لخبرتهم بالصيرفة[1]، وإتقانهم عدة لغات، وانتفاعهم بالفرق بين العملات في البلدان المختلفة، وكذا خصمهم لمبلغ التحويل عن كل عملية[2].

8-الشركة: وهي تشارك أهل الذمة في تجارة ما بين بعضهم البعض أو بينهم وبين مسلمين، على أن يكون الربح مناصفة، أو حسب مساهمة كل تاجر[3]، ومن أمثلة ذلك مساهمة هلال القطلاني وزير السلطان أبي تاشفين الأول الذي كان يملك سنة (732هـ/1331م) ثلاثة أرباع (3/4) من سفينة تجارية ميورقية مع التاجر "أنتون دوليسكالا" "Anton de l'Escala"[4]. أو الشركات التجارية التي كان اليهود يؤسسونها،[5] وتجوب كل أصقاع العالم ويشكل المغرب الأوسط أحد أهم أركانها التجارية كونه همزة وصل بين إفريقيا والبلدان الأوربية،[6] حيث تذكر المصادر اسم اليهودي "مردوخ بن أبراهام بن علال"« Marzokh ben Abraham ben Allel » الذي أسس سنة 1327م شراكة مع أحد الميورقيين وآخر من بلاد المغرب[7]، بالإضافة إلى الشركات المؤسسة من طرف رجال الدين أو الأمراء المسيحيين لافتداء الأسرى فيما يعرف بالفكاكة[8]. وكمثال على ذلك فك سراح خمسين

---

[1] عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص 296.

[2] عطا علي ريه، اليهود في المغرب الأقصى، ص 178.

[3] عز الدين موسى، المرجع السابق، ص 282.

[4] عطاء الله دهينة، الحياة الاقتصادية والاجتماعية لدولة بني زيان، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص 481. انظر كذلك .Dufourcq, l'Espagne Catalane, P471(marge N°3)

[5] كان بعض أسماء الشركات اليهودية يحمل أسماء العائلات مثل: مالقي، أستروش، سلومون، ألاتسور انظر Allouche et Laloum, les Juifs de l'Algérie, op. cit., P 144

[6] سالفاتوري بونو، وضع الجاليات الأوربية في المغرب، ص 147.

[7] Dufourcq.CH.E, La vie quotidienne dans les ports méditerranéens au Moyen Age (Provence-Languedoc-Catalogne), Librairie Hachette, FRANCE, 1975, P50.

[8] Dufourcq, L'Espagne Catalane, P 76.

يهوديا كانوا محبوسين في إشبيلية مدة عامين بمبلغ 700 دوقة ذهبية من طرف يهود مدينة الجزائر عام 1499م[1].

2-3-السلع المتبادلة من قبل أهل الذمة:

سنتطرق هنا إلى السلع التي كان يتاجر بها أهل الذمة، ونقسمها إلى واردات وصادرات.

2-3-1-الواردات:

موّن أهل الذمة الدولة الزيانية بكثير من المواد، سواء منها المواد الأولية أو الاستهلاكية فنجد من بين أهم السلع الواردة:

المعادن: وأهمها النحاس الذي كان تستورده دولة بني عبد الواد من البلدان المسيحية ليمر عبر غرناطة على شكل أواني أو قطع أو صفائح أو خيوط، ليصنع في بلاد المغرب أو ينقل إلى بلاد السودان[2]، بالإضافة إلى معادن أخرى مثل القصدير والحديد والفولاذ والتي اشتهرت بها بلاد الأندلس وصدرتها إلى بلاد المغرب قبل هذا العهد[3]. وكانت هذه المعادن تستعمل من طرف الصاغة لتخلط بالذهب والفضة فتصنع منها الجواهر أو النقود أو تباع على أنها ذهب خالص[4]. ويضاف إلى المعادن الحلي التي تم جلبها من إيطاليا على شكل مجوهرات[5]، أو حلي مصنوعة من المرجان والذي تخصص

---

[1] Richard Ayoun, Algérie et Tunisie : du XIIIe au XXe siècle, dans le livre : Les Juifs d'Espagne, histoire d'une diasporsa-1492-1992 Ouvrage dirigé par Henry Méchoulan, librairie européenne des idées, 1992, p 509.

[2] Mas-Latrie, traité, op. cit., P 210.

[3] عن توفر المواد الخام من المعادن واستعمالها في الصناعة ببلاد المغرب انظر عبد الصمد حمزة، اقتصاد المغازي عند مؤرخي الغرب الإسلامي، مذكرة ماجستير، تخصص: تاريخ وحضارة، إشراف: أ.د. محمد الأمين بلغيث، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 2010-2011، ص 87-88.

[4] بولقطيب، الحياة الاقتصادية، ص 82.

[5] عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص 329.

فيه أكثر يهود ميورقة، إذ كانوا يجلبونه من بلاد المغرب ليتم تصنيعه على شكل حلي أو زخرفة ثم يعيدون تصديره[1].

أما بخصوص المعادن النفيسة فإن الذهب قد احتل المكانة المرموقة في تجارة أهل الذمة، إذ كانوا يجلبونه من بلاد السودان، إلا أن اليهود هم أشهر من اهتم بهذه التجارة المربحة لأن المسيحيين كان أغلبهم يستقر في الفنادق المخصصة لهم عبر المدن الساحلية ولا يتنقلون إلى البلاد الداخلية إلا نادرا. فقد كان هؤلاء التجار من اليهود يستوردون الذهب من أقاصي بلاد السودان ويأتون به إلى المدن الزيانية فيصنعون منه الجواهر والحلي أو يستعمل في سك النقود إذ أنهم كانوا يهيمنون على تجارة الذهب خاصة في مدينة تلمسان[2]، أما الكمية الأكبر منه فإنها موجهة للتصدير خاصة باتجاه الدول المسيحية.

الزجاج: نقل الإيطاليون كميات كبيرة من الأدوات الزجاجية إلى كل المدن الساحلية المغربية، وقد لاحظ Mas-Latrie أن المعاهدات لم تحدد أنواع المصنوعات الزجاجية التي كانت تستورد أثناء العصر الوسيط، ويرى أنها كانت تسجل ضمن السلع المختلفة، وتُرتب في قائمة الحلي ربما بغرض التهرب من الضريبة التي تساوي العشر على المواد المستوردة، في حين أن الضريبة على الحلي لا تمثل إلا نصف العشر[3].

الأسلحة: كان التجار يجلبون الأسلحة المختلفة من البلاد المسيحية لبيعها في أراضي الزيانيين رغم منع الكنيسة لتصديرها إلى المسلمين لأنها تستعمل في الحرب ضدهم، إلا أن التجار المسيحيين

---

[1] دهينة، الحياة الاقتصادية، ص 479.

[2] فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 217.

[3] بشاري، مرجع سابق، ص 224-225، انظر كذلك .Mas-Latrie, op. cit., P214-215

تجاوزوا هذه القرارات بسبب إغراءات الأرباح الطائلة التي توفرها لهم هذه التجارة[1].ومن بين أنواع الأسلحة نجد السيوف والخناجر والرماح والخوذات والدروع[2].

الخشب: لأن الإنتاج المحلي المغربي غير كاف من مادة الخشب وبسبب استعمالاته المتعددة، فإن الطلب عليه كان كبيرا، لذا فقد قام تجار البندقية بتصديره إلى المغرب الأوسط خاما ونصف مصنع أو على شكل أداوت خشبية[3] منها ما يستعمل في صناعة السفن، وإن كان قرار المنع قد طالها أيضا[4].

المواد الغذائية: استوردت الدولة الزيانية مواد غذائية كثيرة فامتلأت مخازن القيساريات بأنواع متعددة منها مثل الزيت القادم من جزر البليار أو من شبه الجزيرة الإيبرية من بلنسية خاصة والذي كان يوزن بالجِرار (les Jarres)[5]. أو البهارات وكذا التمور من جنوب السودان[6].

وأهم هذه المواد الملح الذي كان بمثابة سلعة العصر وكان يستورد عن طريق القوافل من السبخات الصحراوية وعلى الخصوص سبخة تغازّى الواقعة بين سجلماسة وتاودوني والتي بها ملح عبارة عن ألواح ضخمة تصنع منها البيوت، وتتم مقايضته بالذهب[7]. مع الإشارة كذلك إلى ملح جزيرة يابسة الذي كان ينقل إلى ميناء برشك في المغرب الأوسط غير أن الضريبة المفروضة عليه كبيرة[8].

---

[1] دهينة، الحياة الاقتصادية، ص 482.

[2] الدراجي بوزياني، مرجع سابق، ص 215.

[3] بشاري، مرجع سابق، ص 222.

[4] Dufourcq, Les relations de la péninsule Ibérique, op. cit., P 53.

[5] Dufourcq, Prix et niveaux de vie, op, cit, P 491.

[6] Dhina, Le royaume, op. cit., P 162- 165.

[7] بن بطوطة، رحلة بن بطوطة، المجلد الرابع، ص 239.

[8] Dufourcq, Prix et niveaux de vie, P 490.

والأرز الذي يتاجر به البلنسيون في بلاد المغرب وبعض الفواكه الجافة[1]. وجلب المسيحيون إلى بلاد المغرب أنواعا من الكحول والنبيذ رغم تحريمها في البلاد الإسلامية، إلا أن أكثر استهلاكها كان في الفنادق التي تأوي الأجانب والتي تتواجد بها حانات خاصة بهم[2]. وكان استيرادها يتم عن طريق القطلانيين خاصة ويصل سعرها في بلاد المغرب إلى أضعافه في البلاد المسيحية خصوصا إذا تعلق الأمر بما يسمى بالنبيذ الإغريقي[3].

الحبوب: رغم ازدهار الفلاحة في أراضي الدولة الزيانية إلا أننا نجد أن هناك استيرادا -ولو كان ضعيفا- لأنواع من الحبوب كالقمح والشعير، خاصة في وقت الأزمات التي تنجر عن الحصار أو الجفاف أو الحروب أو الأوبئة والجوائح التي كانت تتعرض لها بلاد المغرب[4].

المواد النسيجية ومتعلقاتها: برع بنو عبد الواد في كل ما يتعلق بالنسيج والملابس وتفننوا في صناعتها حتى اشتهرت تلمسان بأنها حاضرة صناعة القماش والألبسة الفاخرة، غير أنهم استوردوا كثيرا من المواد الأولية التي تدخل في هذه الصناعة وحتى المواد المصنعة في أوربا[5]، ومنها الخيوط بأنواعها الحريرية والقطنية والمذهبة والفضية[6] والصوف، والأقمشة والأغطية القطنية ذات اللون الأزرق المصنوعة في البندقية وبيزة، والأقمشة والأغطية الكتانية والقنبية، وهي متنوعة ومنها الناعمة والخشنة، وكذا الأقمشة والأغطية الصوفية، وأقمشة أخرى خاصة بالطرز وأغطية بيضاء وزرقاء تستورد من بربينيون Perpignon ولانغدوك Languedoc ومن فلورنسا[7]، إضافة إلى الأقمشة الحريرية والتي

---

[1] Dufourcq, les relations, op. cit., P 52-53.

[2] Ibidem

[3] Dufourcq, Prix et niveaux de vie, op. cit., P 492-493.

[4] Alfred Bel, Tlemcen et ses environs guide illustré du touriste, Toulouse, sd, P 134.

[5] عن هذه المواد المصنعة وأماكن استيرادها انظر بشاري، مرجع سابق، ص 225-226.

[6] Mas-Latrie, op. cit., P 212.

[7] Dufourcq, Prix et niveaux de vie, op. cit P 485.

كانت تصل منها كميات كبيرة إلى موانئ الدولة الزيانية من إيطاليا وفرنسا، غير أن أبرز المراكز التجارية في الغرب المسيحي التي كانت تصدر الحرير إلى البلاد المغربية هي مدينة ألمرية[1].

نظرا لازدهار الصناعات النسيجية في تلمسان وضواحيها احتاج أصحاب الحرفة إلى مواد الصباغة مثل الشب والنيلة والصمغ[2] لتثبيت الألوان والتي يتم جلبها من بلاد السودان، أو دودة القرمز[3] التي تستخرج منها صبغات وألوان متعددة، وكذا الكبريت والزعفران لإعطاء ألوان إضافية، ونوع من الملونات يسمى "الأسبيداج" ويعطي الصبغة البيضاء وربما يتم استعماله كذلك كمستحضر تجميلي، وهذه المنتجات الأخيرة كلها مستوردة عن طريق التجار الأوربيين[4].

مواد أخرى:

كما امتلأت موانئ الزيانيين بمواد أخرى مختلفة منها الحيوانات مثل الخيول من برشلونة[5]، والزرافة من إفريقيا السوداء، أو الصمغ والعاج وكذا ريش النعام والفلفل الغيني[6]، والعنبر والبخور والتوابل وبعض الأعشاب الطبية أو العطرية والتي يستوردها المسيحيون واليهود من الشرق الأقصى خاصة ثم يعيدون بيعها في بلاد المغرب، وحتى بعض الأنواع من المسك والعطور وخاصة المسك المستخرج من السنور[7]. إضافة إلى الصابون والطباشير من طرف البلنسيين والخردوات المتنوعة[8]. وحتى

[1] Dhina, Le royaume, op. cit., P 163, Ch.E. Dufourcq, les communications entre les royaumes ibériques et les pays de l'occident musulman dans les derniers siècles du Moyen Age, extrait du colloque « les communications dans la péninsule ibérique au Moyen Age », Université de Pau, 28-29 Mars 1980, editions du centre national de la recherche scientifique, Paris, France, 1981,P 33.

[2] Dhina,op. cit., P 162-164.

[3] Dufourcq, Les relations, op. cit., P 53.

[4] Dhina, Les états, op. cit., P 394.

[5] Dufourcq, Prix, P 477.

[6] Dhina, Les états, P 367.

[7] Dhina, le royaume, P164. Dhina, les etats, P 364.

[8] Dufourcq, les relations, P 53.

الحديد كان ضمن قائمة واردات الدولة الزيانية إذ ورد ذكر اسم يهودي وهو Rachamino de Rachamino كان قد صدر كمية من الحديد من جزيرة صقلية إلى الدول الإسلامية في شمال إفريقيا.[1] وحتى الفخار وبعض معدات الفروسية كانت تستورد من أوربا[2].

العبيد: وكانت من أشهر مبادلات العصر، إذ كان العبيد يجلبون من بلاد السودان الغربي خاصة من أكبر سوق للنخاسة في مدينة غاو Gao الواقعة جنوب شرق مدينة تمبكتو، والتي تعد نهاية طريق القوافل التجارية من الشرق ومن الشمال، وقد أصبحت تجارة العبيد تجارة رائجة جدا لحاجة الناس إليهم وخاصة الملوك والنبلاء، فتصدر اليهود قائمة التجار المهتمين بهذا النشاط التجاري، وجلبوا كثيرا من الرقيق إلى المدن الزيانية، حتى من البلاد المسيحية.[3]

وقد قدر المعدل السنوي لقيمة الواردات الإجمالية، من مملكة أرغونة إلى إمارة بني عبد الواد خلال 20 سنة، بين سنتي 674هـ/1275م و695هـ/1295م حوالي 35000 دينار ذهبي أي ما يعادل حوالي 250000 إلى 300000 دينار بيزنطي، ومن أرغونة وميورقة إلى الإمارة الزيانية كانت قيمة واردات سنة 719هـ/1319م 100 ألف دينار ذهبي. وبلغت قيمة السلع الواردة من برشلونة وبلنسية وميورقة مجتمعة ما بين سنوات727هـ/1325م 732هـ/1330م حوالي100 ألف دينار ذهبي تقريبا[4]. كما تذكر بعض المراجع أنه في سنة 731هـ/1330م بلغت قيمة المبادلات التجارية بين

[1] Ashtor Eliyahu, The Jews and the Mediterranean economy, 10th-15th Centuries, Variorum Reprints, London, 1983, P 442-443.

[2] H.R. Idriss, La société au Maghreb après la disparition des Almohades dans le livre de l'Histoire générale de L'Afrique (Livre IV : L'Afrique du XIIe au XVI siècle), Publié par l'UNESCO, Paris, 2011, P 134.

[3] عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين (1493-1591م)، الجزائر، 1971م، ص 120.

[4] Dufourcq, l'Espagne Catalane, op. cit., P 554 وقد قدرت هذه المبالغ من خلال النظر في ضريبة العشر التي كانت مفروضة على التجار الأجانب والتي بلغت في السنوات الأخيرة 1000 دينار حسب المصادر الإسبانية التي استقى منها المؤلف معلوماته.

السلطات الكتالونية (إسبانيا) ومستغانم حوالي 3000 دينار ذهبي من الواردات و580 دينارا ذهبيا من الصادرات.[1]

ويذكر الوزان أن مملكة تلمسان حققت مردودا يبلغ ما بين 300 و400 ألف دينار طوال العديد من السنين عندما كانت وهران تابعة لها قبل أن يتم احتلاها من طرف الإسبان[2].

أما واردات الدول المسيحية بصفة عامة إلى الإمارة الزيانية خلال خمس سنين بين سنتي 725هـ/1325م و730/1330م فبلغت قيمته حوالي 100 ألف دينار[3].

2-3-2-الصادرات:

تعددت صادرات الدولة الزيانية التي أشرف على تجارتها أهل الذمة أو شاركوا فيها ومن بينها:

الذهب: وقد سبق القول أنه كان يؤتى به من بلاد السودان عبر طريق الذهب التي نشط على طولها اليهود وصولا إلى المدن الساحلية الزيانية التي أضحت منطقة عبور لهذا المعدن الثمين إلى كل بلاد العالم سواء في أوربا أو المشرق[4].

الحبوب: كانت البلاد الزيانية أرضا خصبة لكل أنواع الحبوب التي تمتعت بجودة عالية أهّلتها لتبوء مكان الصدارة ضمن قائمة صادرات البلاد، وأول أنواع الحبوب:

---

[1] بوعبد الله بلجوزي، ميناء مستغانم ودوره في تطور المدينة خلال الفترة الإسلامية، مداخلة منشورة في كتاب الملتقى الدولي "الموانئ الجزائرية عبر العصور "سلما وحربا"" المنعقد يومي 07-08 ديسمبر 2009 بالجزائر العاصمة، تنظيم مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط (الجزائر) إلى نهاية العهد العثماني- جامعة الجزائر، مطبعة دار هومة، الجزائر، ص 460. انظر كذلك Moulay Belhamissi, Histoire de Mostaganem (des origines à l'occupation française), S.N.E.D, Alger, 1976, P 18.

[2] الوزان، مصدر سابق، ج2، ص 23.

[3] بشاري، مرجع سابق، ص 231.

[4] انظر الملحق رقم 05، عن مناطق تجارة ذهب السودان.

القمح: تركزت زراعة القمح في الدولة الزيانية على أطراف مدينة تلمسان وتنس وسهل متيجة[1]. وصدرت منه كميات كبيرة إلى أوربا، حيث كانت تحمل عن طريق موانئ الدولة في كل من وهران وهنين إلى موانئ مرسيليا وألمرية وميورقة وبرشلونة ومدن أخرى[2]. وكانت كميات أخرى من القمح تصدر على أيدي التجار إلى بلاد السودان والصحراء التي عانت من نقص فادح في هذه المادة[3].

الشعير: وكان يزرع بكثرة في سهل إيسلي[4]، ويصدر خاصة إلى أريولة وبرشلونة، وميورقة[5].

الحنطة: وتزرع حول أرزيو وتنس، وتصدر من تلمسان إلى كل البلاد في السفن والمراكب[6].

وكانت الحبوب توزن بالقفيز الذي تغيرت موازينه حسب أنواع الحبوب، وتغيرت كذلك أسعار الحبوب بصفة كبيرة إذ ربما وصلت أسعارها في البلاد المسيحية إلى عشر أضعاف سعرها في البلاد الزيانية[7].

ومما تجدر الإشارة إليه أن اليهود قد احتكروا تجارة الحبوب في هنين وتلمسان، حتى أنهم كانوا السبب في انتشار المجاعة في المواسم التي تعرف تراجعا في إنتاج الحبوب بسبب احتكارهم لها، مما اضطر الحاخام "إسحاق بارشيشات" إلى إصدار فتوى يمنع بموجبها اليهود من المتاجرة بالقمح لتفادي وقوع المشاكل بينهم وبين المسلمين[8].

---

[1] أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج7، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1968م، ص 341.

[2] Dhina, le royaume, op. cit., P 165.

[3] زبادية، المرجع السابق، ص 222.

[4] الوزان، مصدر سابق، ج2، ص 12.

[5] Dufourcq, Prix et niveaux de vie, op. cit., P 493.

[6] الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص 71.

[7] Dufourcq, Prix et niveaux de vie, op. cit., P 496.

[8] بوعمامة، اليهود في المغرب الإسلامي، ص 217-218.

الفواكه: وأهمها التمور التي كانت مراكز إنتاجها الواحات الصحراوية مثل توات وسجلماسة التي كانت تَعُد أنواعا كثيرة من التمور لا يشبه بعضها بعضا، من بينها الرطب المعروف باسم "البرني" ولونه شديد الاخضرار، ونواته صغيرة جدا، ويفوق في حلاوته كل الفواكه[1]. وتصل تمور المغرب إلى كل البلاد المسيحية حتى مدينة فلاندرFlandre الواقعة شمال أوربا[2].

بالإضافة إلى أنواع أخرى من الفواكه منها الزبيب والتين المجفف والتي كانت تصدر إلى أوربا وبلاد السودان وأقطار أخرى[3].

المنسوجات وموادها الأولية:

وأبرز المواد الأولية التي تدخل في الصناعة النسيجية هي الصوف[4]، الذي كانت بلاد المغرب مركزا لإنتاجه وكان يصدر عبر مينائين هامين من موانئ الزيانيين هما ميناء مستغانم ومزغران، وأبرز المستوردين من ميورقة، واختلفت أثمانه حسب نوعه وجودته[5]، وكان يوزن بالطرود أي الحزم أو الأكياس مثل الصوف المعروف بالموتونيرا Motonera[6]. إضافة إلى الجلود التي تنوعت كثيرا بسبب تنوع الحيوانات وكثرتها في بلاد بني عبد الواد، مثل الأغنام والماعز والبقر والخيول وحتى الجمال وخاصة جلود الحيوانات المولودة ميتة، وكان الميورقيون والقطلانيون أشهر تجار هذه البضاعة عبر المدن

---

[1] الإدريسي، بلاد المغرب والأندلس من خلال كتاب نزهة المشتاق، ص 60-61.

[2] Dhina, Le Royaume, op. cit., P 165.

[3] الإدريسي، المصدر السابق، ص 56.

[4] يشير دهينة إلى أهمية تجارة هذه المواد كالصوف والجلود بأنواعها وأنها تحتل مكانة هامة في التعاملات، حيث تمثل ثلث صادرات الدولة الزيانية. انظر Dhina, le royaume, op. cit., P 166.

[5] Dhina, op. cit., P 166.

[6] Dufourcq, Prix et niveau de vie, op. cit., P 481.

الساحلية ومنها ينقلونها إلى إيطاليا وانجلترا وباقي الدول الأوربية[1]. ولم تستعمل هذه الجلود فقط في المصنوعات النسيجية وإنما تعدى استعمالها إلى السفن الحربية[2].

أما بخصوص المواد النسيجية المصنعة فقد اشتهرت المدن الزيانية وخاصة تلمسان بتفوقها في صناعة أجود الأنواع من القماش أو الملابس الجاهزة[3]، لذلك تهافت تجار أهل الذمة على شراء هذه المواد لتصديرها إلى كافة الأقطار ومنها إيطاليا والبرتغال والسودان[4]، ومن بين هذه السلع نجد البرانس، الجبات والحياك[5] الأغطية، الأفرشة وغيرها[6]. إضافة إلى ألبسة الحرير والكتان والمنسوجات القطنية التي ازدهرت أسواقها في أورب فأقبل عليها التجار، خاصة منهم البيزيين والبنادقة[7]. وحتى مملكة سنغاي حملت إليها هذه المنتوجات[8].

المرجان: أقبل التجار الأوربيون على شراء المرجان من الزيانيين نظرا لجودته وتوفره على سواحل البلاد خاصة سواحل تنس وجزائر بني مزغنة ووهران[9]، فاشتهر في تجارته الأرغونيون والإيطاليون والبنادقة والجنويون لأنه يدخل في تصنيع المجوهرات ويتم تصديره إلى كل البلاد[10].

---

[1] Mas-Latrie, traités, op. cit., P 216

[2] Dhina, le royaume, op. cit., P 166.

[3] يحي ابن خلدون، بغية الرواد ص 42.

[4] Dhina, les états, op. cit., p 367. Jean Joseph Léandre Barges, Tlemcen, ancienne capitale du royaume de ce nom, Imprimerie orientale de Marius Nicolas, Paris, 1859, P 204-221.

[5] Dufourcq, prix et niveau de vie , op. cit., p 482. Dhina, les états, op. cit., P353.

[6] Dufourcq, relations, op. cit., p 52.

[7] Mas-Latrie, op. cit., p 221.

[8] زبادية، المرجع السابق، ص 218.

[9] Mas-Latrie, op. cit., p 223.

[10] فهمي نعيم زكي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973، ص 253.

المواد الحربية: رغم تحريم التعامل بها من قبل الفقهاء المسلمين أو البابوية، إلا أن تجارتها كانت رائجة نظرا لما تدره من أرباح هامة على المتعاملين فيها، وقد تنوعت هذه المواد كالسيوف أو لوازم الخيول كالسروج والمهماز والشكيمة والركاب واللجام...[1]

الحيوانات: صدرت بلاد الزيانيين عن طريق موانئها العديد من الحيوانات مثل الخيول التي كانت تتمتع بشهرة كبيرة جعلتها محط أنظار التجار الأوربيين الذين أقبلوا على شرائها والانتفاع بها أو إعادة بيعها في بلادهم وخاصة لملوكهم[2]. وقد كانت أثمانها غالية جدا خاصة في بلاد السودان لذلك ربما قويضت بالعبيد[3].أما الجمال فقد اعتبرت سلعة هامة نظرا لمقاومتها للظروف القاسية غير أن أغلب تجارتها كانت مع بلاد السودان[4].

العبيد: شهدت تجارة العبيد رواجا كبيرا خاصة عند المتعاملين الأوربيين أو اليهود بالنظر لأرباحها الطائلة، وحاجة الملوك والنبلاء المسيحيين والأفارقة إليهم في الأعمال اليومية في القصور والأراضي[5].

وتباينت أثمان العبيد حسب السن والجنس والقوة والصحة ومرات كثيرة حسب تقلبات الأسواق[6].

مواد أخرى: بالإضافة إلى ما ذكرناه من قائمة لصادارت الدولة الزيانية وجدت مواد مختلفة كثيرة كانت ضمن التبادلات التجارية لأهل الذمة ومنها: الشب الذي أقبل التجار المسيحيون على اقتنائه بسبب استعمالاته المتعددة في الصباغة والمستحضرات الطبية والفن[7]، وتعددت أنواعه وكان معظم

---

[1] Dhina, les états, op. cit., P 348.

[2] Mas-Latrie, op. cit., P 216.

[3] الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص 468.

[4] المصدر نفسه، ص 38.

[5] Dhina, les états, op. cit., P 398.

[6] Dufourcq, prix, op. cit., P 498.

[7] عادل زيتون، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار دمشق للطباعة والنشر، القاهرة ، ط1، 1400هـ/1980م، ص 108.

تجاره من البيازنة[1]. الشمع والذي كان ينتج بكمية كبيرة في الدولة الزيانية ويصدر خاصة إلى ميورقة عبر موانئ تنس وشرشال ومستغانم ووهران[2]. العطور وتصدر كميات كبيرة منها إلى بلاد السودان ويجني منها التجار أرباحا معتبرة[3]. التوابل والعقاقير والتي تستعمل في التداوي أو تتبيل الأطعمة وتحضير الخمور، وعرفت أنواع كثيرة منها القرنفل والفلفل، جوز الطيب، الزنجبيل والقرفة والكافور وأنواع البخور[4]. وتهافت الأوربيون على شرائها ونقلها إلى بلدانهم حتى وصلت إلى أقاصي الشمال الأوربي.

بالإضافة إلى مادة الزيت والذي كانت تلمسان تنتج منها كميات كبيرة نظرا لتوفرها على غابات الزيتون المحيطة بالمدينة، ومن ثم يتم تصديره إلى البلاد الأوربية وإيطاليا خاصة[5].

جدول للبضائع المتبادلة

مما سبق ذكره يمكن أن ننشئ الجدول التالي حول البضائع المتبادلة بين الدولة الزيانية والدول الأخرى، والتي كان أهل الذمة مشاركين فيها استيراد وتصديرا.

[1] Mas-Latrie, op. cit., P 217.

[2] Dufourcq, L’Espagne catalane, op. cit., P 546.

[3] زبادية، المرجع السابق، ص 220.

[4] Dhina, les états, op. cit., P 394. Daniele, Iancu-Agou, Les relations entre les Juifs de Marseille et les communautés Juives d’Afrique du Nord à la fin du XVe Siècle, in Les relations =intercommunautaires Juives en méditerranée occidentale XIIIe-XXe Siècle, Editions du centre nationale de la recherche scientifique, Paris, 1984, P 24.

[5] بشاري، مرجع سابق، ص 199.

الصـــــــــــادرات	الـــــــــــواردات
المعادن (ذهب، نحاس، حديد، قصدير، فولاذ)	الذهب
الزجاج	الحبوب (قمح، شعير، حنطة)
الأسلحة (سيوف، خناجر، رماح، خوذات، دروع)	الفواكه (التمور، فواكه مجففة)
الخشب (مصنع وغير مصنع)	المنسوجات وموادها الأولية
المواد الغذائية (الزيت، التمور، الملح، الأرز، الفواكه، الخمور)	المرجان
الحبوب (قمح، شعير)	المواد الحربية (السيوف، عدة الخيل)
المواد النسيجية ومتعلقاتها	الحيوانات (الخيول، الجمال)
العبيد	العبيد
مواد أخرى (حيوانات، ريش النعام، التوابل، العقاقير، الخردوات)	مواد أخرى (الشب، الشمع، العطور، التوابل، العقاقير، الزيت

2-4-الطرق التجارية:

اكتست الطرق التجارية أهمية بالغة في الرواج التجاري لمختلف السلع والبضائع وسنتطرق هنا إلى أهم المسالك التجارية التي مر منها أهل الذمة في تجارتهم في أو مع البلاد الزيانية.

2-4-1-الطرق التجارية البرية: لم تتغير الطرق التجارية البرية في عهد الدولة الزيانية كثيرا عما كانت عليه في عهد الموحدين، إذ سلك تجار أهل الذمة نفس الطرق التي كان المسلمون يسلكونها ويمكن أن نوضح هنا أهم هذه المسالك:

الطريق الأول: وهو الطريق الساحلي القادم من طنجة إلى تلمسان (وقد يمر على مستغانم ومازونة إلى تنس) إلى مليانة ثم الجزائر وبجاية إلى قسنطينة ثم بونة وصولا إلى تونس مرورا بسوسة وصفاقس وقابلس إلى طرابلس ومنها إلى الإسكندرية[1].

الطريق الثاني: ويتجه بعد الوصول إلى مدينة الجزائر إلى سطيف وميلة وقسنطينة وقالمة وكان من أشهر الطرق التجارية آنذاك[2].

الطريق الثالث: وهو طريق داخلي يمر عبر الهضاب منطلقا من مراكش إلى فاس ثم إلى تازة ومنها إلى تلمسان إلى الشلف ثم مليانة إلى بجاية وقسنطينة إلى الأوراس وصولا إلى بلاد الجريد[3].

الطريق الرابع: وهو طريق شبه صحراوي من تلمسان حتى المسيلة ثم بغاي إلى تبسة إلى جنوب المغرب الأدنى (إفريقية) ويوازيه طريق آخر إلى الجنوب منه يخرج من تافيلالت إلى قصور توات مخترقا الأطلس الصحراوي إلى تقرت والأوراس ومنه إلى القيروان ثم إلى غدامس[4].

الطرق الصحراوية: اشتهرت الطرق الصحراوية التي تربط مدن الزيانيين بالصحراء وصولا إلى بلاد السودان وقد بقيت هذه الطرق قائمة عامرة بالتجارة إلى العصر الحديث[5]، وتنطلق هذه المسالك من جميع مدن الدولة، إذ عُرف طريق ينطلق من تلمسان إلى وجدة، إلى تازة ثم اجرسيف إلى فاس وصولا إلى سجلماسة بعد المرور على تادلا وأغمات ودرعة[6]. والطريق يمر من وجدة إلى وادي غير وصولا

---

[1] ابن بطوطة، مصدر سابق، ص 153-175.

[2] برنشفيك، مرجع سابق، ص 325.

[3] أبو عبد الله بن محمد العبدري، رحلة العبدري المسماة الرحلة المغربية، تحقيق محمد الفاسي، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1968، ص 22.

[4] البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 161. برنشفيك، مرجع سابق، ص 280.

[5] عن هذه الطرق والتي سلكها الضباط الفرنسيون والمستكشفون، انظر يحي بوعزيز، طرق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأوربيون خلال القرن التاسع عشر، مجلة الثقافة، السنة العاشرة، العدد 59، شوال- ذو القعدة 1400هـ/ سبتمبر-أكتوبر 1980م، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1980، ص 13.

[6] البكري، المصدر السابق، ص 153.

إلى سجلماسة، وطريق ثالث يقطع الجبال المحاذية لتلمسان وحوض التافنة ثم يصل إلى جبال القصور والعمور مرورا بمنطقة أولاد سيدي الشيخ[1]، أو يتجه من تلمسان إلى عسلة وبوسمغون ليلتقي هذان الفرعان عند تيميمون، وهناك طريق آخر يربط وجدة بفقيق وقورارة إلى توات[2]، أو ربما تقطع القوافل بلاد المغرب الأوسط متجهة من تلمسان إلى غرداية ثم تنعطف إلى توات ثم تقرت[3]. وتتجه قوافل أخرى من مدن الجزائر وبجاية وتنس ومستغانم ووهران متجهة إلى غرداية أو ورقلة أو تقرت وتلتقي عند توات[4].

وبعد التقاء هذه القوافل في هذه النقاط الحيوية تنطلق في مرحلة أخرى باتجاه بلاد السودان وتشكل شبكة معقدة من المسالك أهمها[5]:

- طريق من سجلماسة إلى ولاتة ثم إلى تمبكتو وجنى وغاو.
- طريق من توات إلى تغازى ومنها إلى تدمكة ثم تمبكتو[6].
- طريق من تقرت إلى غاو مباشرة، وتسلكه في الغالب القوافل القادمة من موانئ الجزائر وبجاية، وسكيكدة[7].
- طريق من مدينة نول لمطة بالمغرب الأقصى إلى أودغست ومنه إلى غانة وتمبكتو وبقية بلاد السودان[8].

[1] بوعزيز، المرجع السابق، ص 16.
[2] الدراجي بوزياني، نظم الحكم، ص 217.
[3] ابن خلدون، العبر، ج7، ص 70.
[4] بوعزيز، المرجع السابق، ص 16-17.
[5] حاولنا إعطاء نظرة عن شبكة المسالك البرية الرابطة بين البلاد الزيانية وبلاد السودان في الملحق رقم 06.
[6] ابن بطوطة، الرحلة، ج4، ص 239 وما بعدها.
[7] Dhina, les états, op. cit., P 371 (la carte).
[8] Ibidem.

وقد عرف أهل الذمة هاته المسالك وخاصة منهم اليهود، حتى أنهم استطاعوا رسم خرائط مبينة لهذه المسالك بمساعدة كتب الجغرافيين المسلمين السابقين لهم، ونذكر من هؤلاء اليهود الذين يمكن تسميتهم بالجغرافيين أبراهام ويهودا قراسك (أو قريش) Abraham et Judas Cresques الذّين وضّحا بعناية فائقة الطريق نحو بلاد السودان أي نحو بلاد الذهب، وكان ذلك حوالي نهاية القرن الرابع عشر ميلادي[1].

2-4-2-الطرق التجارية البحرية: شكلت الطرق البحرية الرابطة بين دولة بني عبد الواد وإمارات المغرب الإسلامي وبينها وبين العالم المسيحي أو حتى المشرق العربي شبكة متنوعة من المسالك تعوّد تجار أهل الذمة عبورها في رحلاتهم التجارية عبر حوض البحر المتوسط، ولعل أهم خطوطها هي[2]:

1-الخط البحري بين إمارة تلمسان وإمارات المغرب الإسلامي:

وهو الخط الذي يصل بين مختلف بلاد المغرب الإسلامي، وبرزت أهم موانئه في الدولة الزيانية وهي تاونت، رشقول، هنين، وهران، مستغانم، تنس، برشك، شرشال، جزائر بني مزغنة، دلس، بجاية[3] ... وفي الجانب الحفصي كانت موانئ سكيكدة، بونة، بنزرت، تونس، سوسة، صفاقس، قابس، طرابلس[4]، أما في المغرب الأقصى فازدهرت موانئ سبتة، طنجة، أصيلا، العريش، سلا، وأنفا[5].

[1] Dhina, le royaume, op. cit., P 57.

[2] بشاري، المرجع السابق، ص 90-92.

[3] انظر الوزان، مصدر سابق عند حديثه عن مملكة تلمسان أو مملكة بجاية.

[4] برنشفيك، مرجع سابق، ص 295.

[5] عطا علي رية، اليهود في بلاد المغرب الأقصى، ص 168.

2- الخطوط البحرية بين مملكة تلمسان والموانئ الأوربية:

-خط جنوة-بلاد المغرب: وهو الخط الرابط بين جنوة ومختلف موانئ البحر وأهمها مرسيليا وبرشلونة وبلنسية وكتالونيا وميورقة ومختلف موانئ المغرب[1].

-خط البندقية-بلاد المغرب: قامت البندقية سنة 1440م إثر الازدهار التجاري الكبير الذي شهدته بإنشاء خط بحري يصلها بالموانئ المغربية مباشرة، ومنذ ذلك الحين شهدت هذه الموانئ زيارات دورية لسفن البنادقة[2].

-الخط البحري التوسكاني-بلاد المغرب: إثر توقف المبادلات التجارية بين فلورانسا وبلاد المغرب لفترة وجيزة استأنفت من جديد بشكل قوي أسفر عن إنشاء خط بحري سنة 1458م ينطلق من فلورانسا مارا بجنوة إلى الموانئ الحفصية ويتنقل إلى موانئ الزيانيين والمرينيين ثم بلاد الأندلس[3].

-خط الجنوب الإيطالي-بلاد المغرب: حيث كانت السفن الإيطالية تقطع عرض البحر متوجهة إلى جزيرة سردانية ومنها إلى تنس لتتنقل إلى باقي الموانئ الزيانية[4].

-خط برشلونة-بلاد المغرب: ويربط برشلونة ببلنسية ثم جزيرة ميورقة ويتجه شمالا إلى مدن الجنوب الفرنسي أو جنوبا إلى موانئ بلاد المغرب[5].

---

[1] فهمي زكي، مرجع سابق، ص 182-184.
[2] برنشفيك، مرجع سابق، ص 282.
[3] المرجع نفسه، ص 295.
[4] انظر ابن بطوطة، الرحلة، ج4، ص 190.
[5] بشاري، مرجع سابق، 92.

3-النظام المالي:

3-1-المـــــــوارد المالية:

تنوعت الموارد المالية التي حصلتها السلطة الزيانية بين المكوس والضرائب المتنوعة والجزية والخراج والفيء.. مما هو معروف في كل الأنظمة المالية، وسنحاول هنا الاقتصار على المداخيل المالية التي جنتها الدولة العبد الوادية من أهل الذمة.

3-1-1-المكوس والضرائب:

خضعت تجارة الذميين في دولة الزيانيين لعدة مكوس وضرائب فرضتها السلطات الحاكمة وساهمت بصفة كبيرة في تدعيم الخزينة التلمسانية لأن مداخيلها كانت عظيمة، وقد نظمت عدة معاهدات بين إمارة بني عبد الواد والمسيحيين جباية الضرائب ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا أنّ تدعيم الزيانيين للتجارة مع الغرب المسيحي كان لأجل الانتفاع بالرسوم المجبية على السلع الواردة والصادرة في مختلف الموانئ التي كانت بها إدارات جمركية منظمة[1]—كما سلف الذكر في أول هذا الفصل-.

أ-الضرائب: وهي ما كان يفرض كقيمة جمركية على السلع المستوردة التي تقدم بها البواخر المسيحية وقد بلغت نسبة هذه الضريبة العشر (1/10) أي 10%[2] من قيمة البضائع، وتدفع إما نقدا أو عينا بعد عملية بيع البضائع[3]. ومست هذه الضريبة معظم السلع المستوردة، لكن السلطة الحاكمة قد توجهت إلى تخفيض الرسوم المفروضة على بعض السلع الثمينة منها الذهب والفضة سواء أكانت نقدا أو عينا والتي فرضت عليها نسبة 5%.[4]رغم الادعاءات اليهودية المتكررة عن فرض رسوم

---

[1] Dhina, les états, op. cit., P 395.

[2] ومنه استمدت الإدارات الجمركية بالموانئ المسيحية التسمية اللاتينية *lediezmo* أي العُشر، انظر Ch.E.Dufourcq, J.Gautier Dalché, Histoire économique et sociale de l'Espagne chrétienne au Moyen Age, Librairie Armand Colin, Paris, 1976,P 151.

[3] Dufourcq, L'Espagne Catalane, op. cit., P 521.

[4] Dhina, le royaume, op. cit., P 174.

استثنائية عنصرية تقدر بـ 12,5% بينما لم تفرض على الأوربيين سوى نسبة 5%[1]، وهو أمر يتنافى مع ما أوردته بعض المصادر من أن اليهود قد استفادوا في كثير من الأحيان من إعفاءات أو حتى تحايلات من طرفهم أدت بهم إلى دفع ضريبة ربما قد لا تتجاوز 4%.[2]

ب-الإعفاء: مس الإعفاء الجبائي عدة سلع خاصة الحبوب كالقمح والشعير لتشجيع استيرادها خاصة في أوقات الجفاف والحصار والمجاعات[3]،كما تعدى هذا الإعفاء إلى السلع التي اعتبرت سلعا استراتيجية وخصوصا تلك التي مسها المنع الكنسي من التصدير إلى الدول المسلمة كالخشب وعتاد السفن، والأسلحة[4]. وربما تكون هناك إعفاءات ظرفية تقررها المعاهدات، مثل معاهدة سنة 1312م التي حازت من خلالها مملكة ميورقة على حق إدخال 2000 جرة زيت إلى بجاية مع إعفاء كلي من دفع الرسوم المترتبة على ذلك[5].

بينما تعرض أهل الذمة كذلك لدفع رسوم أخرى على السلع المصدرة من طرفهم إلى بقية البلاد سواء المسيحية أو المسلمة وبلغت نسبة هذه الضريبة 5%.[6]

وقد فرضت الدول المسيحية هي الأخرى رسوما إضافية على تُجارها كانت تحصّل من طرف عمال السلطة الحاكمة في بلدانهم[7].

---

[1] Richard Ayoun et Bernard Cohen, Les Juifs d'Algérie, P 105.

[2] وداد بيلامي، الشركات التجارية اليهودية في إيالة الجزائر (1686-1826)، مقال مطبوع ضمن كتاب أعمال المؤتمر الثاني عشر للدراسات العثمانية وبحوث أخرى، المنعقد بتونس في 31 أوت 2006، الجزء الأول، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، نوفمبر/تشرين الثاني 2007، ص 64.

[3] Mas-Latrie, traité, op. cit., P 200.

[4] Dhina, le royaume, op. cit., P 174.

[5] Dufourcq, Prix, op. cit., P 492.

[6] Ibidem.

[7] Dufourcq, Relations, op. cit., P 54.

ونظرا لحاجة السلطان الزياني عثمان بن يغمراسن لتنشيط الحركة التجارية بينه وبين الممالك المسيحية فقد قرر التنازل عن نصف مداخيل الضرائب المحصلة في الموانئ التابعة لسلطته لصالح ملك أرغونة وذلك من خلال معاهدة سنة 696هـ/1286م[1].

ويمكن إضافة عدة رسوم إضافية كان التجار الذميون يخضعون لها ومنها رسوم الترجمة أو الكتابة التي تبلغ 0.5%من قيمة البضائع، ومكوس الوزن والتحميل والتخزين ومكس السفينة[2] وأجرتها والتي كانت تأخذ حسب وزن السلع[3]، وربما استحدثت في بعض الأحيان رسوم وأداءات جديدة سواء من طرف واحد أو عن طريق معاهدات[4]. وقد يحدث في أوقات أخرى أن يتم استخلاص ضريبة كبيرة على التجار الذميين كاشتراك أو تسديد دين مترتب أو عقوبة أو تعويض عن خسائر...[5]

كما نستشف من بعض المصادر أنه كانت هناك ضرائب تفرض على القوافل التجارية المتنقلة في أرجاء الدولة وتسمى "ضريبة المرور"، كتلك التي فرضتها قبائل المنبات المخزنية على المارين من هنين إلى تلمسان[6].

وهناك مثال آخر للضرائب وهي الغرامات المسلطة من حين لآخر فقد حدث أن سلّط أحد الأمراء غرامة على يهود بجاية المساعدين على فرار رقيق تابعين للملك وقد كانت غرامة مرتفعة جدا إلا أن أب الأمير قد خفف من قيمتها لاحقا، وحديث عن يهودي آخر سُجن وحكم عليه بغرامة ألف دينار من الذهب، أو الغرامة التي فرضت على المتواطئ مع يهودية زانية في بسكرة[7].

---

[1] انظر نص المعاهدة في الملحق رقم 04.

[2] Dhina, Les états, op. cit., P 382.

[3] Dufourcq, Prix, op. cit., P 481.

[4] برنشفيك، مرجع سابق، ص 282-283.

[5] المرجع نفسه، ص 212 وما بعدها.

[6] ابن خلدون، العبر، ج6، ص 124.

[7] برنشفيك، مرجع سابق، ص 440.

بالإضافة إلى أن هناك ضرائب أخرى خضع لها المسلمون والذميون على حد السواء لكن المصادر سكتت عن تبيين نوعها أو قيمتها، كالضرائب والرسوم التجارية التي فرضها أبو حمو موسى الثالث على تلمسان بعد احتلال الإسبان لوهران عام 916هـ رغبة منه في تعويض الإيرادات التي كانت تصله من هذه المدينة[1]،ومنها تلك المغارم التي أسقطها أبو الحسن المريني عندما استولى على تلمسان سنة 737هـ/1336م، إذ وجد كما يقول صاحب المسند:" ...من السلع التي يوظف عليها مغرم من المغارم"[2].

ج-إحصائيات ضريبية:

وكأمثلة بسيطة أسعفتنا بها بعض المصادر عن المبالغ المستخلصة كضرائب نذكر أن إقليم بني راشد الواقع شرق العاصمة تلمسان كان يقدم إلى السلطة الزيانية زهاء خمسة وعشرين(25) ألف مثقال[3]، وأن مجموع الضريبة من جمركة السلع الداخلة إلى وهران من باب تلمسان وصل في الفترة الممتدة من 1520/09/01 إلى 1521/07/18م إلى 3038 دينارا أخذ منها بنو زيان 1509 دينارا بواسطة "سلمان تورينو" اليهودي[4].

وفي 1537/10/09م كلف مولاي محمد الزياني الحاخام "حيام بنو درهوم" أن يطلب من حاكم وهران تسديد 4000 دينارا لبني زيان حقا لهم في الضريبة الجمركية[5].

غير أن الحسن الوزان يورد رقما كبيرا جدا للمبالغ المحصلة كضرائب عند حديثه عن مدينة هنين فيقول:" كنت مع أحد كتاب ملك تلمسان جاء لاستلام ضرائب من سفينة جنوية حملت من البضائع ما يمون تلمسان لمدة خمس سنوات، وبلغت قيمة الرسوم التي قبضها الملك خمسة عشر ألف

[1] الوزان، مصدر سابق، ج2، ص 23.
[2] ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن، ص 285.
[3] الوزان، مصدر سابق، ج2، ص 27.
[4] حساني مختار، مرجع سابق، ج2، ص124.
[5] المرجع نفسه، ص 125.

مثقال ذهبا مسكوكا أرانيها الكاتب".[1] ويمكن أن يكون هذا الاختلاف الكبير ربما بسبب المدة الفاصلة بين الحدثين وهي على الأقل 30 سنة، كما يمكن أن يكون لاحتلال وهران والمرسى الكبير من قبل الإسبان كذلك دور في تراجع قيمة الضرائب.

د-اليهود عمال الضرائب:

وتذكر بعض المصادر أن اليهود قد استعملوا في جباية الضرائب خاصة في عصر الضعف إذ تولى هؤلاء السيطرة على الوضعية الاقتصادية بسبب اعتماد سلاطين الدولة عليهم، إذ يذكر صاحب الشماريخ أنه" كان للسلطان الزياني أعوان من اليهود لجباية الأموال وقبض الأعشار العامرين من الإسبان، وغيرهم من الوافدين للتجارة على سواحل المغرب الأوسط فاستطالوا على الرعية بظروف الشغل، وأخذ الأموال بغير حق وتوظيف الضرائب المتنوعة"[2].

ووظف الزيانيون كذلك نساء يهوديات ونصرانيات لاستخلاص الضرائب والجمركة والتفتيش عند أبواب المدينة خاصة، لضمان عدم تهريب البضائع والسلع دون دفع الضرائب لا سيما من طرف النساء.[3] وقد اشتكى ابن مرزوق من هذا الوضع المخزي ومن أن اليهوديات يفتشن النساء ويدخلن أيديهن إلى لحومهن، وأن اليهودي أو النصراني يفتش المسلم من رأسه إلى قدمه ظاهرا وباطنا علّهم يجدون عنده من السلع ما يفرض عليها مغرم من المغارم[4].

[1] الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص 16.

[2] حساني، المرجع السابق، ج2، ص 161.ويذكر أن استعمال الجالية اليهودية في تسيير اقتصاد الدولة كان له الأثر المباشر في ثورة محمد بن يوسف الملياني، إذ ورد أنه كان في جمع من مريديه بوهران يتحدثون عن شؤون العامة فقال أحد الحاضرين عن السلطة الزيانية أنها سلطة كسلطة اليهود، انظر المزاري بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة يحي بوعزيز، ج1، ص 74.

[3] فيلالي، مرجع سابق، ج1، ص 26.

[4] ابن مرزوق، المسند، ص 285.

ونذكر هنا أن المتولي لقبض المكوس في مدينة وهران إبان الاحتلال الإسباني لها عام 916هـ/1509م كان يهوديا اسمه "أشطورة"[1] وهو ممن أنقذتهم مدينة وهران من المحارق الإسبانية، فاتفق مع الإسبان بعد أن وعدوه بأموال وذهب وفير وفتح لهم أبواب مدينة وهران.[2]

كما شهد عصر السيطرة الإسبانية على وهران والمرسى الكبير قبل استرجاعهما وجود عمال يهود لاستخلاص الضرائب من الأعراب، إذ كان اليهودي يضرب خباءه بواسطة دواوير بني عامر ويستطيل عليهم ويتصرف فيهم كما يشاء تصرف الملك في رعيته يأمر وينهى ويصفد في الأغلال ويجلد دون معترض له[3]. وحتى بعد استرجاع هاتين المدينة بقي استعمال اليهود في الجباية ظاهرا إذ عمد "أبو عبد الله محمد الخامس الزياني" الذي تولى سنة 930هـ إلى تسخير هؤلاء لخدمته في المجال الضريبي.[4]

3-1-2-الجزية:

وهي ضريبة الرؤوس المفروضة عموما على أهل الذمة أينما وجدوا في البلاد الإسلامية وقد قررتها الآية الكريمة: ﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[5].

لذلك فقد اتبعت السلطة الزيانية هذه القاعدة مع الذميين الخاضعين لحكمها، والمتواجدين في كثير من المدن الزيانية وإن كان جُلهم يهودا، لأن التواجد المسيحي كأهالي كان معدوما، وفرضت

---

[1] ذكرنا الاختلاف في اسم هذا اليهودي عند حديثنا عن محور الجوسسة في الفصل الأول من هذه الدراسة.

[2] توفيق المدني، مرجع سابق، ص 111.

[3] حساني، المرجع السابق، ص 159.

[4] المدني، المرجع السابق، ص 248.

[5] سورة التوبة، الآية 29.

عليهم أداء الجزية حسب القيمة المقررة شرعا وهي دينارين سنويا، وأسقطت عن المرأة والصبي والمجنون، والعبيد، والرهبان والعاجزين والفقراء والمساكين[1].

وقد لجأت السلطة الزيانية في إحدى المرات إلى تخفيض الجزية عن اليهود الميغوراشيم إلى النصف، وهذا ما أدى إلى تصاعد الاحتجاجات من طرف إخوانهم في الدين "التوشابيم"، وكان هذا الاحتجاج سلميا في مدينة تلمسان لكنه تطور في مدينة تنس إلى مشادات وصدامات عنيفة بين الفئتين، وحدث الأمر نفسه في مدينة بجاية بعد بضع سنوات، وهو ما أدى إلى تدخل كل من الربيين "ريباش""واشباش" لتهدئة الأمور[2].

وقد حدث في آخر عصور الدولة الزيانية وبسبب الضعف الشديد الذي عانت منه السلطة السياسية أن اليهود استغلوا الوضع أحسن استغلال حتى أنهم رفضوا دفع الجزية بدعوى أن ذلك يقلل من مكانتهم[3].

3-1-3-الغنائم:

وقد شكلت مصدرا آخر من الموارد المالية لمملكة تلمسان، فبالإضافة إلى غنائم الحروب مع الدول المجاورة[4]، كانت هناك غنائم بحرية كبيرة من الإغارة على مراكب وسواحل الممالك الأوربية والتي كانت تتم كرد فعل على مهاجمة السواحل الزيانية. وكان سلاطين بني عبد الواد لا يرفضون هذه المداخيل المالية بل يأخذون حصتهم منها[5]. وقد تكون هذه الغنائم عبارة عن أسارى يوظفون أو يعاد بيعهم في أسواق العبيد ومنهم الألمان والإيطاليون والفرنسيون والقطلونيون والجليقيون، حتى أن منهم

---

[1] حسن إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثالثة، 1962م، ص 239.

[2] فوزي سعد الله، مرجع سابق، ص 209-212.

[3] حساني، مرجع سابق، ج1، ص 36-37.

[4] مثل غنيمتهم في معركتهم مع الموحدين بقيادة أبي الحسن السعيد، إذ بعد انتصارهم عليهم سنة 446هـ بوجدة وقتل أمير الموحدين، استولوا على ذخائرهم العظيمة ومنها مصحف عثمان، والعقد اليتيم وغدار الزمرد وغير ذلك مما لا تصفه العقول من الأموال والسبايا والأسرى، انظر يحي بن خلدون، بغية الرواد، ص114.

[5] الدراجي بوزياني، مرجع سابق، ص 224-225.

من يترقى في المناصب السامية في الدولة مثلما كان عليه الحال مع العلج هلال القطلاني الذي أصبح وزيرا لأبي تاشفين[1].

3-2-المصروفات:

يبقى موضوع مصروفات الدولة الزيانية من المواضيع التي يلفها الغموض بسبب ندرة المعلومات المتوفرة عنها، غير أن النزر اليسير منها يحدد مصاريف الدولة في:

3-2-1-الهدايا والأعطيات السلطانية:

إذ كان سلاطين بني عبد الواد يتحفون نظراءهم المسلمين أو المسيحيين بعطايا متنوعة وباهظة القيمة، ففي رسالة صادرة من تلمسان بتاريخ 04 ربيع الثاني 761هـ/23 فبراير 1360م عن أمير المسلمين أبي حمو موسى الأول إلى سلطان أرغون وبلنسية وميورقة وكورسيكة وبرشلونة "دون بيدرو" تعرب عن عواطف أبي حمو وتؤكد أنه لا يزال يمنح المساعدة لمملكة أرغون بوسق الزرع وغيره[2].

وبمقتضى اتفاق ممضى من طرف الأمير مولاي محمد في 28-10-1544م/951هـ كان اليهوديان "أغوس وأكسل" مبعوثين فيه من طرف الإسبان، يدفع الأمير الزياني ما قيمته خمسة آلاف (5000) دينار لصالح الإسبان[3].

وقد تكون عبارة عن إتاوات مثل الإتاوة السنوية التي كان يؤديها ملك تلمسان "أبو حمو موسى الثالث" الملقب بأبي قلمون-الذي تولى الحكم سنة 909هـ/1503م-إلى الملك الإسباني

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص 236.

[2] عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب منذ أقدم العصور إلى اليوم، المجلد السابع، عهد بني مرين والوطاسيين، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مصر، 1408هـ/1988م، ص 19.

[3] حساني، مرجع سابق، ج1، ص 191.

"شارل كارلوس"[1] مقابل إرجاعه إلى عرشه وكانت قيمة هذه الإتاوة 12000 مثقالا من الذهب و12فرسا و06 صقور إناث[2]،كما كانوا يغدقون الأموال على القبائل الموالية لهم ويقطعونهم الأراضي الشاسعة نظير تعاونهم معهم ودعمهم لهم[3].

3-2-2-رواتب ومنح الموظفين:

كانت من أبواب الإنفاق المعتبرة من مالية السلطة الزيانية، إذا عرفنا أن هذه الأخيرة كانت تشغل أعدادا معتبرة من الموظفين والجنود وتعطيهم أجورهم بصفة منتظمة، فالجنود في الدولة يتقاضون أجرة ملائمة للغاية إلى حد أن أقلهم رتبة ينال شهريا ثلاثة مثاقيل بسكة الدولة، وهذه الأجرة للرجل والفرس[4]. ونشير أن الدولة كانت تدفع مرتبات ثابتة للجنود المسيحيين العاملين في بلادها، كالأجور التي التزم ملك تلمسان عثمان بن يغمراسن بصرفها لجنود ملك أرغونة حسب معاهدة سنة 696هـ/1286م إذ التزم بصرف مبلغ ثمانون بيزيتة فضية في اليوم لقائد المسيحيين وخمسة عشر دنيا (Denier)[5] لكل حامل سلاح أو رام من الفرسان، وهذه الأجور كلها تصرف على أساس الدينار الذهبي (المعادل لثمانية دنانير بيزنطية) هذا بالإضافة إلى توفير الدواب وعلفها للقائد وعائلته وجنوده المتواجدين على أراضي الدولة[6].

---

[1] في مصادر أخرى الملك ليس "شارل كارلوس" إنما هو "فرديناند" وهذا هو الأقرب للصواب لأن الملك "فرديناند" بقي ملك إسبانيا إلى غاية وفاته سنة 1516م، ولم يخلفه حفيده "كارلوس" الذي لقب بكارلوس الخامس -وهو ابن الأرشدوق فيليب ابن الإمبراطور النمساوي مكسيمليان- إلا بعد هذه السنة، انظر عادل سعيد بشتاوي، الأندلسيون المواركة—دراسة في تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة-، الطبعة الأولى، مطابع انترناشيونال برس، القاهرة، 1403هـ/1983م، ص 125.

[2] الوزان، مصدر سابق، ج2، ص 10. (انظر كذلك الهامش رقم06، ص 09).

[3] ابن الأحمر، الدولة الزيانية بتلمسان، ص 39.

[4] الوزان، مصدر سابق، ج2، ص 21.

[5] حسب هذه المعاهدة فإن 1دينار بيزنطي=10 دنيا (Denier).

[6] عن هذه الأجور وغيرها انظر نص الاتفاقية في الملحق رقم 04.

ويذكر صاحب المسند أن الجند المسيحيين الملازمين لخدمة الدولة الزيانية كانت رواتبهم مرتفعة بحيث تتراوح ما بين خمسة وخمسين دينارا ذهبيا في كل شهر[1].

وقد وجد عاهل أرغون فائدة كبيرة في وجود الفرق العسكرية المسيحية في خدمة الدولة الزيانية وغيرها لأنه كان يأخذ ضرائب غير مباشرة عن رواتبهم، كما كان الجند بدورهم يقدمون جزءا من رواتبهم للخزينة الأرغونية[2].

ويقوم "المزوار" وهو الشخصية الأولى في البلاط وبمثابة نائب الملك بتحديد أجور الموظفين حسب قدر كل واحد ودرجة استحقاقه[3]. ورغم ضخامة مداخيل الدولة (300-400) ألف دينار إلا أن نصف المبلغ كان ينفق على الأعراب وحراس المملكة والباقي لأجور الجند والقادة وكبار موظفي الحاشية[4].

3-2-3-مصاريف البناء والتجهيز والحروب:

عرفت الدولة الزيانية صرف أموال ضخمة من أجل تشييد المباني والقصور والمدن، كإنشاء قصر المشور بتلمسان والذي كان مقام الأسرة الملكية وحصنها، وبه مخازنها وبيوت أموالها وحرسها، وإعلاء المساجد وإعمارها وتزيينها[5]، وفي عهد أبي تاشفين الأول (718-737هـ/1318-1337م) تم إنشاء عدة مبان فخمة وقصور كدار الملك والدار البيضاء ودار السرور وقصر أبي فهر واستخدم فيه أعدادا كبيرة من النجارين والبنائين والزليجين والزواقين من الأسرى النصارى والسجناء إلى جانب الفنيين والمهندسين المحليين[6].

---

[1] ابن مرزوق، المسند، ص 282.
[2] فيلالي، مرجع سابق، ج1، ص 189.
[3] الوزان، مصدر سابق، ج2، ص 22.
[4] المصدر نفسه، ص 23.
[5] مثلا بناء صومعتي جامعي تاجرارت وأقادير من طرف السلطان يغمراسن بن زيان، انظر عن ذلك، يحي بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص 116.
[6] فيلالي، مرجع سابق، ج1، ص 116-117.

وكذا ما تستنزفه الحروب وأوقات الحصار من مالية الدولة مثل حربهم مع بني مرين التي نالهم منها النصب الشديد وأبيحت فيها أموالهم بعد هزائم متكررة[1]. وحتى أن الزيانيين كانوا يبنون الحصون عند حصارهم للمدن كما حدث في حصار بجاية سنة 1329م إذ بنوا حصن الياقوتة أمام المدينة في طرف نهر الصومام، هذا الحصن الذي لم يهدم إلا أيام الاحتلال الفرنسي سنة 1849م، وبناؤهم كذلك لحصن تمزيزدكت بنفس الاسم الذي يحمله الحصن الواقع بمدينة وجدة، بالإضافة إلى بنائهم حصن تغار بجوار قرية سوق الخميس[2]. وكذا الحصار الطويل الذي فرضه السلطان المريني أبو يعقوب على تلمسان لمدة تقارب سبع سنوات وابتناؤه مدينة المنصورة بقربها، وشدة هذا الحصار على التلمسانيين في ظل حكم عثمان بن يغمراسن حتى نفذت أموالهم وذخائرهم ومدخراتهم وأشرفوا على الهلاك، ثم رجع أبو الحسن المريني بعد أربعين عاما، وعاود الحصار الذي كان أشد وطأة من سابقه إذ سقطت على إثره مدينة تلمسان وقتل ملكها أبو تاشفين[3].

3-3-العملة:

لعب اليهود خاصة دورا كبيرا في ميدان العملات والنقود والصيرفة في الدولة الزيانية لأنهم كانوا أكثر خبرة من غيرهم، وكذلك بسبب نفور المسلمين من العمل في هذا المجال الذي يكون مشوبا بالربا في كثير من الحالات.

3-3-1-أهمية الدينار الزياني وقيمته:

ونظرا لأهمية الدينار المغربي وخاصة الزياني منه، ومكانته الاقتصادية فإن الدول الأوروبية في ذلك الحين كانت تستعمله في مبادلاتها التجارية سعيا منها للحصول على كميات كبيرة من الذهب

[1] انظر عن بعض حروب الزيانيين مع بني مرين، ابن الأحمر، المصدر السابق، ص 22، 23.

[2] برنشفيك، مرجع سابق، ص 316-317.

[3] ذُكرت قصة الحصارين ومعاناة الزيانيين من جرّائهما في أغلب مصادر العصر وما بعدها، انظر ابن خلدون في العبر، والسلاوي في الاستقصا، وابن الخطيب في الإحاطة...

الذي يستعمل في سك العملات، لدرجة أنها لم تبدأ بضرب السكة في بلادها إلا في حدود سنة 1310م[1]، وسبب آخر وهو عدم توفر أوربا على المعادن إلا بعد قدوم كميات من ذهب إفريقيا[2].

ويمكن الإشارة إلى قيمة الدينار المغربي مقابل نقود البلاد المسيحية إذ كان الدينار الذهبي الواحد يساوي 15 فلسا برشلونيا بين عامي 1285-1286م، أما من خلال معاهدة 696هـ/1286م يتبين لنا أن قيمة الدينار الذهبي كانت تساوي ثمانية(08) دنانير بيزنطية[3]، وزادت قيمته إلى 20 فلسا في الفترة بين 1320-1330م[4]. وحوالي سنة 1330م كان الدينار الذهبي الواحد يساوي 6 دنانير بيزنطية تقريبا[5].وفي عصور التدهور السياسي والاقتصادي لدولة بني عبد الواد تراجعت قيمة الدينار الزياني الذي كان يسك من الذهب الرديء كالدنانير التي تسمى في إيطاليا "سلاتشي" أي الخفيفة، غير أن القطعة الواحدة منها تساوي دينارا وربعا إيطاليا لكونها كبيرة جدا، وتسك أيضا نقود فضية غير خالصة وأخرى نحاسية متفاوتة القيمة[6].

وكان التعامل النقدي يتم بالدينار الذهبي، والدرهم الفضي، وأجزاء الدينار، وأجزاء الدرهم، وهذه الأجزاء هي: نصف الدينار 1/2، وربع الدينار 1/4، وثمن الدينار 1/8[7].

وقد اختلفت أوزان وأحجام الدنانير الزيانية منذ نشأة الدولة إلى سقوطها إذ تراوح وزنها من 4,44 إلى 4,95 غراما وقطرها من 29 إلى 34 مليمترا [8].

---

[1] Dhina, le royaume, op. cit., P 171.

[2] Dhina, les états, op. cit., P 393.

[3] انظر نص الاتفاقية السابقة في الملحق رقم 04.

[4] Dufourcq, Prix, op. cit., P 477.

[5] Ibid, P 479.

[6] الوزان، مصدر سابق، ج2، ص 23.

[7] بوزياني الدراجي، نظم الحكم في الدولة الزيانية، ص 227.

[8] انظر الملحق رقم 07.

3-3-2-المعادن المستعملة في سك العملة:

واستعملت في سك العملة عدة معادن على رأسها الذهب الذي تصنع منه الدراهم التي ليس عليها أي رسم أو كتابة أي بدون سك (الدراهم الصلع)[1]. والفضة التي تستعمل أساسا في سك الدرهم وأجزاء الدينار المختلفة[2]. أما بقية المعادن كالنحاس والحديد فإنها تستعمل لشراء السلع مباشرة بعد أن تصنع إلى قطع، فتشترى السلع كالخدم والعبيد والذرة والسمن والقمح بالغلاظ من هذه القطع، وبالرقاق منها يشترى اللحم والحطب[3].

ويرى بعض المؤرخين[4] أن الفساد الذي لحق بالعملة يرجع بالدرجة الأولى إلى احتكار الجالية اليهودية للأنشطة الاقتصادية خلال عصر الانحطاط زيادة على الإشراف على جباية الضرائب من الموانئ وأخذ المكوس على القوافل القادمة لمدنها، أو المبارحة لها، كما أشرفوا كذلك على سك النقود وخاصة بعاصمة الدولة، لذا فقد أنقصوا من وزنها وفي بعض الحالات يحدث الاتفاق بينهم وبين أمراء الدولة الزيانية لقلة المراقبة على العملة.

---

[1] البكري، المسالك والممالك، ص 71.

[2] بوزياني، المرجع نفسه، ص 227.

[3] ابن بطوطة، الرحلة، ص 697.

[4] انظر حساني مختار، مرجع سابق، ج2، ص 127.

مما سبق يتبين أن أهل الذمة قد شاركوا في جميع النشاطات الاقتصادية إبان عهد الدولة الزيانية، وقد ساهموا بمهاراتهم في تنشيط الدورة الاقتصادية للبلاد، وإن كان حضورهم في الجانب الزراعي قليلا نظرا لقلة خبرتهم فيه ولعدم توفرهم على ملكيات الأراضي التي تبيح لهم التصرف كملاك فعليين لها، بالإضافة إلى نظرتهم إلى النشاط الزراعي أنه قليل الفائدة ويتطلب حضورا دائما ويستنفذ جهدا كبيرا ويمكن الاستعاضة عنه بالجانب التجاري الأكثر ربحية والأقل جهدا، أما في النشاط الحرفي والصناعي فقد أظهروا مهارات كبيرة خاصة إذا تعلق الأمر باليهود القادمين من الأندلس والذين نقلوا حرفهم ومهاراتهم إلى بلاد المغرب الإسلامي عامة، والذين دأبوا على إتقان الصنائع وكانوا سادة في بعضها، كالصياغة وسك العملات، نظرا لما تدره عليهم من أرباح، أو لاستنكاف المسلمين عن العمل فيها خوفا من التلبس ببعض الشبهات التي تصاحب الاشتغال بالذهب والفضة.

كما أظهر الذميون تفوقا كبيرا في الجانب التجاري خلال هذا العصر فقد حازوا قصب السبق في اتجارهم ببعض المواد استيرادا وتصديرا، وعرفوا الطرق التجارية وأسسوا عدة شركات للنشاط التجاري نشطت من أقاصي بلاد السودان أين توجد منابع الذهب التي لا تنضب، مرورا بمدن الدولة الزيانية التي عرفوا أسواقها وسيطروا على بعضها كأسواق إقليم توات، وصولا إلى الموانئ الزيانية، أين وجدوا الفنادق التي تستقبلهم بكافة مرافقها، والإدارات الجمركية التي تنظم أعمالهم ويقوم عليها عمال محترفون تحت وصاية السلطة الحاكمة التي كانت تعتبر هذه الموانئ مصدرا أساسيا من مصادر دخلها، ومنها ينطلق تجار أهل الذمة إلى أصقاع العالم، خاصة الدول المسيحية التي ما فتئت تناور دبلوماسيا واقتصاديا وحتى عسكريا للحصول على جزء من الريع التجاري الذي تزخر به البلاد.

الفصل الثالث

أهل الذمة في المجتمع الزياني

1-المجتمع اليهودي في العهد الزياني

2-العادات والتقاليد

3-تنظيم المجتمع اليهودي

4-المواريث

5-التقويم والأعياد اليهودية

عرفت الدولة الزيانية خلال فترة سيادتها على المغرب الأوسط تواجدا هاما لأهل الذمة، من مسيحيين ويهود، حيث انحصر التواجد المسيحيين في فئتين: أولاهما هي فئة التجار المقيمين في أحياء خاصة تصعب من مهمة التعرف عليهم عن كثب واستقراء تركيبتهم الاجتماعية، حيث لا تورد معظم المصادر والوثائق المتوفرة إلا تعاملاتهم الاقتصادية وعلاقاتهم التجارية مع السلطة الزيانية. والفئة الثانية هي شريحة الخدم في القصور أو الأسرى القابعين في سجون الدولة والذين تقع على عاتقهم الأعمال الكبرى، يضاف إليها الجنود الذين استعملتهم السلطة كميليشيات في بعض العصور ولا نتوفر على أي معلومات تخصهم.

إذن فهذه الوثائق قد أهملت الجوانب الاجتماعية لهذه الفئات بصفة كبيرة، وبسبب قلة المعلومات المتوفرة عن العنصر المسيحي، فإننا نرى أنفسنا مضطرين أن نقتصر في هذا الفصل عن الجانب الاجتماعي لأهل الذمة على الحديث عن العنصر اليهودي وتركيبته الاجتماعية وبعض العادات المتعلقة به، مع إيراد ما توفر عن تواجد المسيحيين التجار على أراضي الدولة الزيانية.

1-المجتمع اليهودي في العهد الزياني:

1-1- تركيب المجتمع اليهودي:

وجد اليهود في بلدان المغرب الإسلامي ملاذا لهم من سطوة وبطش المسيحيين إثر قرارات الطرد المتلاحقة لهم من إسبانيا والدول المسيحية ابتداء من القرن الثامن هجري، الرابع عشر ميلادي، فاستقروا بها فأثّروا بذلك على تركيبتها الاجتماعية، إذ انقسم المجتمع اليهودي بعد هذه الهجرات إلى قسمين رئيسيين هما:

1-1-1-اليهود الأهالي:

وهم اليهود الأقدمون في البلاد أو لابسي العمامات hamiçnefeth baalé[1]، وأطلقوا على أنفسهم اسم "التوشابيم Tochabim" أي اليهود الأهالي[2]، أو مثلما تطلق عليهم المصادر اليهودية « les indigènes »، الذين مثلوا الأساس الاجتماعي لليهود في بلاد المغرب منذ أقدم العصور، ورسخت جذورهم في البلاد بسبب التسامح الكبير للمسلمين معهم مقارنة بمعاملة مسيحيي أوربا أو البيزنطيين لهم ولإخوانهم من قبل، باستثناء الموحدين الذين قوضوا عدة تجمعات يهودية في القرن السادس هجري، الثاني عشر ميلادي[3].

---

[1] Garrot Henri, Les Juifs Algériens-Leurs origines-, Librairie Louis Relin, Alger, 1898, p36.

[2] Maurice Eisenbeth, Les juifs en Algérie, esquisse historique depuis les origines jusqu'à nos jours, Extrait de L'encyclopédie Coloniale et Maritime, Paris, sd, PP 8-9.

[3] Dhina, Le Royaume Abdelouadide, op. cit., P 55.

1-1-2-يهود الأندلس:

وهم اليهود المطرودون من الدول المسيحية بعد تراجع حكم المسلمين في إسبانيا وصدور قرارات الطرد الجماعية من طرف الملوك الكاثوليك[1]، فاستقروا بمختلف المدن الزيانية بعد الضغط الذي تعرضوا له من قبل القشتاليين والقطلونيين سنة 794هـ/1391م وقبلها، وتضاعف عددهم خلال سقوط غرناطة سنة 897هـ/1492م،[2] فكان من بينهم رجال علم وأطباء ورجال ذوي سلطة ونفوذ ترجع أصولهم إلى الجزيرة الإيبرية فأصبحت بلاد المغرب بالنسبة لهم أرض لجوء[3]. ويسمون "حاملي القبعات baalé el kipron "[4] أو الميغوراشيم Megorachim وتعني بالعبرية المطرودين[5].

والجدير بالذكر أن مملكة عبد الوادي هي التي استقبلت أكبر عدد من هؤلاء المهاجرين اليهود سواء كان ذلك من حيث النوعية أو الكمية بفضل التسامح الكبير الذي أبداه ملوكها تجاههم[6]، فكان يظهر لهم بأن قدوم هؤلاء بأعداد كبيرة لن يؤثر على المخزن العبد الوادي وسيعود عليهم بفوائد اقتصادية جمة[7]، ونفس الأمر بالنسبة للمجتمع المسلم الذي لم يسجل منه أي احتجاج ضد هجرة اليهود إلى بلادهم رغم استمرار هجرتهم إلى بلاد المغرب على مدى قرون من الزمن[8].

غير أن الظاهر أن علاقة المهاجرين الجدد بالجالية القديمة كانت غير منسجمة بسبب الاختلاف في اللغة والمذهب والعادات والمفاهيم الاجتماعية والمنافسة الاقتصادية، وخاصة منها

---

[1] Dhina, Le Royaume Abdelouadide, op. cit., P 55.

[2]عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص193.

[3] Dhina.A, Le royaume, op. cit.,P55.

[4] Garrot.H, Les Juifs Algériens op. cit., P36.

[5] Eisenbeth, Les Juifs en Algérie, op. cit., PP 8-9.

[6]برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي ج1، ص434.

[7] Dhina.A, op. cit., P55.

[8]برنشفيك، المرجع السابق، ص ص433، 434.

الهجرة الكبيرة التي كانت سنة 803هـ/1400م التي أحدثت أزمة بين الجدد والقدماء فتدخل الحبر "إفرايم انكاوة أو النقاوة Ephraïm Ankaoua" في مدينة تلمسان بين المتنازعين وقرب بينهما وكذلك تدخل كل من إسحاق بن شيشيت برفات Issac. b.Sheshet Barfat وشمعون بن سماح دوران Simon b.Semah Duran في مدينة الجزائر[1] (هذين الأخيرين كلفا تواليا من طرف السلطان الزياني برئاسة الطائفة اليهودية[2]).

وباستثناء تونس أين احتفظ اليهود الأوائل باستقلاليتهم، استطاع القادمون الجدد السيطرة على إخوانهم في الدين في باقي مناطق المغرب[3].

1-2- مناطق استقرار اليهود المُهجرين:

تتحدث المصادر عن خروج أكثر من 200 ألف يهودي –على الأقل- من إسبانيا في مرة واحدة سنة 1492م[4] واستقر الكثير منهم في البلاد المغربية ولا سيما أراضي الدولة الزيانية –كما أسلفنا- بالإضافة إلى اليهود المستقرين سلفا بالبلاد. وأمام هذه الأعداد الهائلة فإنه من الصعب بمكان تحديد أماكن محددة لاستقرار اليهود وخاصة مع اندماج هؤلاء بالسكان المسلمين خاصة في المناطق الداخلية وممارستهم لحياة البداوة والترحال، لكن على العموم فإن المدن الساحلية هي التي ضمت أكبر عدد من اليهود خاصة المهاجرين منهم[5]، لكن البعض يحدد عدد اليهود الذين لجأوا إلى مملكة تلمسان بحوالي 12000 يهودي[6].

---

[1] Dhina.A, op. cit., P55.434 برنشفيك، مرجع سابق، ص

[2] Allouche, et Laloum, Les Juifs d’Algérie , P 12.

[3] Garrot.H, op. cit., P36.

[4] Haïm Zafrani, Juifs d'Andalousie et du Maghreb, Maisonneuve et Larousse, Paris,1996, P214.

[5] برنشفيك، مرجع سابق، ص431.

[6] Richard Ayoun, Algérie et Tunisie du XIIIe au XXe siècle, , P509.

فأكثر المدن الزيانية التي استقر بها اليهود: مدينة تلمسان، ووهران[1] والجزائر وبجاية والغزوات ومعسكر وتقرت وواحة توات -التي طُرد يهودها من طرف الشيخ محمد بن عبدالكريم المغيلي في ما بين 1488 و1492م- والتي شكلت قوة تجارية قوافلية مهمة آنذاك، وكذا استقر اليهود بغرداية وتمنطيط والأغواط[2]. وأشير وندرومة والمسيلة وتاهرت ومستغانم ومزغران وهنين وتوجر وتنس ومليانة والمدية[3]، كما أبعدوا في التوغل نحو جنوب البلاد[4].

أما عن إحصاء بعض العائلات أو الأفراد المشهورين المستقرين في أرجاء الدولة الزيانية فنذكر على سبيل المثال لا الحصر:[5]

مدينة الجزائر: إسحاق بارشيشات بارفات وسيمون بن سماح دوران وعائلة بلخير والأشقر.

وهران :عمرام بن مرواس عفراتي.

المدية: سعدية دارمو.

تلمسان: أبراهام بن حقون وأفرايم أنكاوة وابن الأشقر.

مزغران: الاتزار ماينيش، بولاكس أنبروكس، امدازور اسحاق، بن ماندنن بن هارون.

تنس: فازواتي أبراهام ومايمو، بن هابران، بن برشون.

---

[1] Alfred Bel, Tlemcen et ses environs: guide illustré du touriste, PP 134-135.

[2] فوزي سعد الله، يهود الجزائر - هؤلاء المجهولون-، ص 102.

[3] برنشفيك، مرجع سابق، ص432؛ Garrot.H, op. cit., P36

[4] Dufourcq.Ch.E, Les relations de la péninsule Ibérique et l'Afrique du nord au XIV siècle, op. cit., P60.

[5] انظر عن أسماء العائلات والأفراد:– Maurice Eisenbeth, Les juifs de l'Afrique du Nord Démographie et onomastique, Imprimerie du Lycee, Alger, 1936, P77-189; Dhina.A, Le royaume, op. cit., P 246-250; Garrot. H, Les Juifs Algériens, op. cit., P36; Dufourcq. Ch.E, L'Espagne catalane, op. cit., P325.

مستغانم: عائلة حيون وهارون، ومرزوخ، مالقي سليمان.

بجاية: بنيامين عمار موسى كوباي.

وكانت كثير من هذه العائلات من الحاخامات ذات التأثير الكبير بين زملائهم الذين طردوا من إسبانيا وجزر البليار.

ويروى أن السلطان الزياني أبو زيان بن أبي حمو موسى الثاني استقبل اليهود وأذن لهم بالنزول في مملكته، فمثلا في مدينة تلمسان أنزلهم بالربط من "أغادير" وبقوا هناك مدة من الزمن يمارسون شعائرهم الدينية وأعمالهم اليومية بكل حرية، ثم قربهم إلى مكان يعرف بالمرجة[1] قرب قصر المشور فبنوا به حيا خاصا بهم عرف "بالحارة" وكان يضم حوالي خمسمائة دار وكانوا يتمتعون بكثير من أنواع التسامح الديني ويقيمون شعائرهم بكل حرية في أمن ودعة وكانوا كلهم تقريبا أغنياء[2]. وكان لهذه الطوائف اليهودية خاصة بتلمسان مقبرتها الخاصة ولها بيعتها ورئيس يدير شؤونها يدعى شيخ اليهود، ويكون همزة وصل بينها وبين السلطات التلمسانية الرسمية والطائفية وكان يسكن حارة اليهود ما يزيد عن ألفين وخمسمائة نسمة جلهم من الأثرياء، وكانوا يعيشون مع المسلمين في انسجام تام ويخالطونهم ويماثلونهم في العادات والتقاليد الاجتماعية، لكنهم تعرضوا للنهب والمضايقة بعد وفاة السلطان أبي محمد عبد الله (923هـ/1517م)[3] ولم يكن ليهود المغرب الأوسط الدور السياسي والاجتماعي الكبير مثل الذي قام به إخوانهم في المغرب الأقصى في عهد بني مرين إلا أنه كانت لهم

---

[1] محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011، ج2، ص41.

[2] الوزان، حسن، وصف إفريقيا، ج2، ص 20.

[3] George Marçais, Tlemcen, les villes d'arts célèbre, Paris, Librairie Renouard, 1950, P 36 . Lucette, Valensi, Juifs et Musulmans en Algérie VIIe-XX Siècle, Edition Tallendier, Paris, 2016, P 42.

مساهمة فعالة في الدورة الاقتصادية والحركة التجارية والصناعية، وشملهم عطف ملوك بني زيان ورعايتهم.[1]

1-3- المناطق السكنية:

1-3-1-اليهود:

مال اليهود إلى التجمع والعزلة ورفضوا الاختلاط بالمجتمعات التي يسكنون فيها تطبيقا لتعاليم دينهم، الذي يحثهم على التعامل مع بقية الأمم بحذر والمحافظة على تميزهم، وتجنب الاختلاط إلا مع أبناء ديانتهم للمحافظة على نقاء عرقهم من جهة وتيسير أمر تطبيق شعائر الدين بسلاسة ويسر داخل مجتمع لا يضم إلا اليهود، ولهذا فقد جعلت منهم اليهودية أمة مستقلة بذاتها ودولة داخل الدولة ومجتمعا منغلقا[2]، لذلك نجدهم قد اختاروا السكن بأحياء خاصة بهم في أنحاء دولة بني زيان، بالإضافة إلى الحماية التي تمتعوا بها من طرف ملوك هذه الدولة[3] الذين منحوهم حق السكن في تجمعات تضمهم وحدهم، بالرغم من أنهم لم يمنعوا من السكن في أحياء تضم المسلمين[4]، كما كان لهم حق التملك وحرية التصرف في أملاكهم يبيعون ويشترون الأراضي والفنادق والمنازل لدرجة أنهم جاوروا المساجد في بعض الأحيان[5].

وفي تلمسان ومع قدوم طلائع المهاجرين الميغوراشيم استقبلهم الزيانيون فأسكنهم السلطان أبو زيان بن أبي حمو موسى الثاني وأنزلهم بالربط من "أغادير" وبقوا هناك مدة من الزمن يمارسون

---

[1] دهينة، الحياة الاقتصادية والاجتماعية لدولة بني زيان، ص490.

[2] Isidore Loeb, réflexions sur les Juifs, revue des études juives, La librairie A. Durlacher, Paris, T28, 1894, P163.

[3] Dhina, le royaume Abdelouadide, op. cit., P56.

[4] الونشريسي، المعيار المعرب، ج8، ص437.

[5] المصدر نفسه، ج7، ص52.

شعائرهم الدينية وأعمالهم اليومية بكل حرية[1]. وبقى اليهود على هذه الحال إلى أن تدخل الحبر "إفرايم أنقاوة" في نهاية القرن الثامن هجري، الرابع عشر ميلادي[2]، لدى السلطان الزياني بعد أن عالج ابنته من مرض عجز الأطباء عن إيجاد علاج له فسمح لهم بأن يتنقلوا إلى داخل مدينة "تاكرارات" فسكنوا بجوار قصر المشور حيث استقروا في شماله وشرقه[3] على بعد حوالي عشرين مترا منه إذ كان هذا المكان يعرف بالمرجة وهو عبارة عن سبخة[4]. وسمي الحي الذي نزلوه بالحارة وكان يضم حوالي خمسمائة دار لليهود يسكنها ما يزيد عن ألفين وخمسمائة نسمة جلهم من الأثرياء[5].

وابتداء من هذا التاريخ تدفق اليهود على مدينة تلمسان التي اعتبروها بمثابة "أورشليم منطقة وهران"، وكان منهم مهاجرون أندلسيون وآخرون من المغرب، وهذا ما يعتبره كثير من المؤرخين اليهود ميلادا جديدا للمجتمع اليهودي التلمساني، إذ ضمت هذه المدينة عدة عائلات من بينها: عائلة مارسيانو (من مرسية)، بارشيلون (من برشلونة)، جيان (من جيان)، أبناء نونيس المعروفون بين يونس[6]، بالإضافة إلى عائلات "أنقاوة"، وهاكوهين، والأشقر، وخلاص أو قلاش، وهذه العائلات كانت قد احتلت مكان الصدارة بين العائلات اليهودية الأخرى نظرا لأن أوائل القادمين منها إلى أراضي الدولة الزيانية كانوا إما رؤساء للطائفة أو حاخامات مشهورين أو علماء تفوقوا ونالوا شهرة عظيمة بسبب نبوغهم العلمي[7].

---

[1] لخضر عبدلي، التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد، ابن النديم للنشر والتوزيع، وهران، ط1، 2011، ص200.

[2] Dhina.A, le royaume Abdelouadide, op. cit., P57.

[3] الوزان، مصدر سابق، ج2، ص20. Bel.A, Tlemcen, op. cit., P134.

[4] Darmon, origine et constitution de la communauté Israélite de Tlemcen, op. cit., P379.

[5] الوزان، مصدر سابق، ج2، ص20. مارمول كاربخال، إفريقيا، ج2، ص298. وتسمى هذه الحارة "درب اليهود" انظر ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ص269. ولا تزال هذه التسمية إلى وقتنا الحاضر.

[6] Allouche et Laloum, Les Juifs d'Algérie, op. cit., P 136.

[7] عن هذه العائلات والمشاهير منها خلال عهد الدولة الزيانية ينظر الفصل الرابع من هذه الرسالة ضمن عنصر أعلام اليهود في الميدان الثقافي.

وكان الحي يضم مرافق متعددة وخاصة البيعة التي أطلق عليها اسم "El Ghessaline" التي ينتظم حولها السكان اليهود كما هو الحال في كل تجمعاتهم[1]، إضافة إلى ممارستهم التجارة في الحي التجاري المسمى "القيسارية" المخصص للأوربيين أو اختلاطهم مع المسلمين في أحيائهم وأسواقهم ومزاولتهم الحرف المتنوعة[2].

وتجدر الإشارة إلى أن الجالية اليهودية في ظل الدولة الزيانية قد تمتعت بحق بناء البيع مثل البيعة المذكورة في مدينة تلمسان أو في مدن أخرى مثل منطقة توات الصحراوية والتي كانت سببا من أسباب ثورة الإمام المغيلي عليهم وقتله لكثير منهم،[3] وكذا اتخاذ مقابر خاصة بهم مثل مقبرة اليهود في تلمسان الواقعة بمقبرة قباسة خارج باب القرمادين والمدفون فيها الحبر "أفرايم أنقاوة"[4] والذي لا يزال قبره محط الرحال لليهود الذين يأتون لزيارته سنويا من أنحاء العالم[5]، وفي مدينة الجزائر حيث يوجد قبرا الحبرين "بارفات ودوران"-السابقي الذكر-.

وفي مدينة مستغانم الساحلية، أو مزغران المجاورة لها تواجدت جالية يهودية لا بأس بها، إذ بدأ اليهود يعرفون طريقهم إليها بعد ازدهار العلاقات التجارية بين بني عبد الواد ومملكة أرغون انطلاقا من القرن السابع هجري/الثالث عشر ميلادي، فسكنتها عائلات يهودية كانت تابعة إما للمحكمة الربية بتلمسان أو لحاخامات مدينة الجزائر، ومن بين هذه العائلات التي سكنت أو مرت بمدينة مستغانم نذكر عائلات: مالقي، أستروش، سلومون، ألاتسور.[6]

---

[1] Darmon, op. cit., P378.

[2] Bouziane-Oufriha Fatima-Zohra, Tlemcen capitale musulmane le siècle d'or du Maghreb central, Essai, Editions Dalimen, dans le cadre de "Tlemcen capitale de la culture islamique 2011", 2011, P325.

[3] المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، ص 47.

[4] انظر صور قبور أحبار اليهود في الملحق رقم08.

[5] شاوش، باقة السوسان، مرجع سابق، ج2، ص41.

[6] Allouche et Laloum, Les Juifs d’Algérie, op. cit., P 144.

كما عرفت المدينة تواجد عدة أحبار كانوا عبارة عن رؤساء طائفة في المدينة ووسطاء بين اليهود وأحبار الجزائر، ومن بينهم: "دافيد كوهين David Cohen"، "يعقوب سوسان Jacob Soussan"، "سعدية مديوني Sadia Medioni"[1]، "مخلوف بن حنين Mekhlof Ben Hanin"، "أبراهام بن ناثان السفاردي Abraham Ben Nathan Sepharadi".[2]

1-3-2- سكن المسيحيين:

منذ الفتح الإسلامي للمغرب فإن جل المسيحيين المتواجدين بهذه الأراضي قد غادروها نحو إسبانيا أو اليونان وإيطاليا[3]، ولم يبق ببلاد المغرب منهم إلا القلة التي قضى عليها الموحدون بعد منتصف القرن السادس الهجري، الثاني عشر ميلادي، ولهذا لم تنعقد عند الموحدين ذمة ليهودي أو نصراني[4].

ومع ظهور الدولة الزيانية في المغرب الأوسط عادت بعض النشاطات المحدودة للمسيحيين الآتيين من أوربا والذين كانت إقامتهم داخل دولة بني عبد الواد مؤقتة ومثلوا أربع مجموعات وهم:

-التجار –الجنود –الأسرى –رجال الدين.[5]

---

[1] بقي لقب مديوني متداولا بين العائلات اليهودية في تلمسان حتى في الفترة الاستعمارية، إذ عثرنا على اسم شخص يدعى "رافائيل مديوني Raphaël Médioni" من سكان مدينة تلمسان، ورد ذكره كعضو في إحدى اللجان الشعبية المجتمعة في مارس من سنة 1893م، ينظر جريدة Le courrier de Tlemcen, Vendredi le 03 Mars 1893, Trente-troisième année, N°1675, Imprimerie veuve des Ageux, Tlemcen, P3 .

[2] Allouche et Laloum, Les Juifs d'Algérie, op. cit., P 145.

[3] J.Barges, Tlemcen, ancienne capitale du royaume de ce nom, op. cit., P 120.

[4] المراكشي، المعجب، ص253.

[5] Dhina.A, le royaume Abdelouadide, op. cit., P60.

أما عن مناطق سكناهم في حدود الدولة فليس لدينا الكثير إلا فيما يخص إقامتهم في الموانئ التجارية على غرار وهران، هنين وتلمسان[1].

إذ يذكر المؤرخون أنه كان هناك حي تجاري يسمى القيسارية "Kayssariya" والذي أسسه أبو حمو موسى الأول الزياني[2] فوق مساحة واسعة داخل مدينة تلمسان مخصص للأعمال التجارية للمسيحيين، ومن بين هؤلاء نجد التجار البيزيين والجنويين والقطلانيين[3]... الذين كانوا يقيمون في الفنادق المخصصة لكل طائفة منهم (فندق القطلانيين، فندق الجنويين، فندق البنادقة...) والتي لم تكن مفتوحة على المدينة إذ يحيط بها سور، وأبوابها كلها متجهة للداخل تعلوها رايات الدول التي تتاجر مع تلمسان ومواجهة للميناء، وهي تحوي ساحة رئيسية تحيط بها السكنات، والمخازن، ومحلات البيع، ومكاتب القنصليات[4] التي يعتبر كل قنصل فيها ممثلا لجالية بلده ومسؤولا عنها وهو الوسيط بينها وبين السلطات المحلية، بالإضافة إلى وجود مرشد ديني وكنيسة، ومقبرة مسيحية داخل هذه الفنادق[5]. وتوجد في بعض العمارات (الفنادق) الحانات الخاصة بالتجار المسيحيين وكان لكل طائفة مسيحية مترجم مقابل مبلغ من المال[6].

بالإضافة إلى الجنود النصارى الذين كانوا عبارة عن ميليشيات في الجيش الزياني والظاهر أنهم كانوا ينزلون ثكنات تقع خارج أسوار المدينة، في أماكن تعرف بربض النصارى[7].

---

[1] Dhina.A, le royaume Abdelouadide, op. cit., P60.

[2] Charles Brosselard, Coudée royale in Revue Africaine, T4, N°19, Année 1859-1860, OPU Alger, 1860, P66-71.

[3] Bouziane-Oufriha, Tlemcen, op. cit., P343.

[4] Dhina. A, le royaume Abdelouadide, op. cit., P60.

[5] Dhina.A, Les états de l'occident, op. cit., P380.

[6] عطاء الله دهينة، مرجع سابق، ص485.

[7] فيلالي، مرجع سابق، ج1، ص125.

أما الأسرى المسيحيون فإن أعدادهم كانت كبيرة ويعدون بالآلاف خاصة إذا قام المسلمون بغزوات في أرجاء البحر المتوسط فإنهم يأسرون منهم أعدادا جمة أو حينما يغير المسيحيون على شواطئ الدولة الزيانية فيقعون تحت أسر قواتها، ويدخل في الأسر كذلك المرتزقة المخالفون للقوانين أو التجار المسيحيون الذين يرتكبون الجرائم ويقتاد جميع هؤلاء إلى سجون تلمسان، فيعملون كنجارين أو حدادين أو دهانين وعاملين في كل الحرف، لذلك قابل أبو تاشفين الأول طلب الملك الأرغوني جاك الثاني بالرفض حينما طالبه بإطلاق سراح الأسرى مبررا رفضه بأن كل الأشغال والحرف تدار في دولته بواسطة هؤلاء.[1]

وقد صدر يوم 09 فيفري 1290م أمر البابا نيكولا الرابع إلى المسيحيين العاملين في خدمة السلطان والدولة الزيانية بتحريم التحول إلى الإسلام والبقاء على دين المسيحية[2]، لذلك احتاجت الجالية النصرانية إلى رجال دين يرافقونها للحفاظ على ديانتها وقد ضمنت السلطات الزيانية للمسيحيين المتواجدين على أراضيها حرية بناء الكنائس الصغيرة في الفنادق التي يقيمون فيها وهذا ما يؤكده صاحب المعيار :" جدد بعض النصارى كنيسة في فندقهم ولا عليها شيء يشبه الصومعة، فطلبوا بذلك، فأتوا بكتاب العهد، فوجدوا فيه أنه لا يحال بينهم وبين أن يبنوا بيتا لمتعبداتهم."[3]، وكان مسموحا لهم بإنشاء مقبرة لدفن موتاهم حسب طقوسهم الدينية، وكانت لرجال الدين مهمة إنسانية إلى جانب المهمة الدينية وهي افتداء الأسرى، ويتم الافتداء بمقتضى رخصة صريحة من طرف الوالي أو السلطان، وكانت مهمة هؤلاء القساوسة تتم تحت رعاية السلطة المحلية الرسمية حتى لا يتجاوزوا حدود صلاحياتهم ويتحولوا بذلك إلى مبشرين بالدين المسيحي في الأوساط الإسلامية لأن

---

[1] Renouard Yves. Charles Verlinden, L'esclavage dans l'Europe médiévale. Tome I. Péninsule Ibérique-France. In: Bulletin Hispanique, tome 58, n°3, 1956. pp. 374-376, Dhina, le royaume abdelouadide, P62, فيلالي، تلمسان، ج1، ص152

[2] Mas-Latrie.M.L, Traités de paix et de commerce , P98.

[3] الونشريسي، المعيار، ج2، ص172.

البابوية حملتهم مشروعا لإعادة النصرانية إلى ربوع المغرب[1]، وقد أوضحت المعاهدة الأرغونية التلمسانية المبرمة سنة 685هـ/1286م وظيفة الكاهن أو القسيس في هذه المعابد[2].

2-العادات والتقاليد:

2-1- الطعام :

2-1-1-العادات الغذائية اليهودية:

بالعبرية "كاشروت" من الكلمة العبرية "كاشر" بمعنى مناسب أو ملائم وهي مجموعة القوانين الخاصة بنظام الأكل وطريقة إعداده وطريقة الذبح عند اليهود وهي قوانين مصدرها التوراة ويسمى الطعام الذي يتبع قوانين الكاشروت "كوشر" أي الطعام المباح أكله في الشريعة اليهودية[3]. أما كمية الطعام فهي تتعلق بمستوى معيشة الفرد، ويتناول اليهود في اليوم الواحد ثلاث وجبات، بينما تخصص وجبات معتبرة لمساء يوم الجمعة والاحتفالات والاجتماعات اليهودية[4]. وبمقتضى قوانين "الكاشروت" فإنه يحرم على اليهودي أكل أنواع معينة من الطعام ويباح له أكل أنواع أخرى، فالمحرمات تتعلق أساسا بلحوم الحيوانات لكن هناك بعض التحريمات الأخرى[5]، فيحرم شرب أي خمر أعدها أو لمسها شخص من الأغيار بل يحرم أيضا أكل خبز أو طعام أعده شخص من الأغيار حتى لو أعد حسب قوانين الطعام اليهودي. وهناك تحريم أكل الخبز المخمّر في عيد الفصح[6].

---

[1] فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص192.

[2] المرجع نفسه، ص ن. (انظر نص المعاهدة في الملحق رقم 04).

[3] غازي السعدي، الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، دار الجليل للنشر، عمان، ط1، 1994، ص67.

[4] Israël Abrahams, Jewish life in the middle ages, The Macmillan Company, New York, 1896, P150.

[5] المسيري، موسوعة اليهود، المجلد الثاني، الجزء الأول، ص 49.

[6] المرجع نفسه، ص 49.

وهم يحلون من الحيوانات ذوات الأربع، التي لها ظلف مشقوق وليس لها أنياب، وتأكل العشب وتجتر، فالخيل والبغال والحمير تحرم لحومها لأنها ليست ذات أظلاف مشقوقة، وكذلك الجمل لأنه ذو خف لا ظلف، وتحرم الأرانب لأن لها أظفار، ويحرم الخنزير بالرغم من أظلافه المشقوقة لأنه ذو ناب، وتحرم السباع كلها لأنها ذات مخالب وأنياب. وتحرم الطيور غير النظيفة التي تأكل الجيف والرمم مثل الصقر والنسر والبومة والحدأة والببغاء.[1]

ولا تحل الذبائح إلا بالطريقة الشرعية بعد تلاوة صلاة الذبح (الذبح الشرعي). كما يحرم أيضا أكل أجزاء معينة من الحيوانات، مثل عرق النسا، حيث يجب أن يزال من الحيوانات، كذلك يحرم أكل أجزاء من الحيوان الذي لا يزال حيا واللحم الذي لم يسحب منه الدم من خلال التمليح (غسل اللحم لمدة ثلاثين دقيقة –تصفية ما تبقى من الدم- تغطية اللحم بالملح لمدة ساعة- غسل اللحم مما تبقى من دم وملح). وبسبب الإجراءات المتشددة في عملية الذبح فيما يتعلق بالسكين وشروطه وكيفية الذبح وشروط الحيوان المذبوح حتى يشرع ذبحه فإن هذه المهمة لا يقوم بها إلا ذابح شرعي (شوحيط).[2]

أما الأحياء المائية فيحل منها السمك الذي له زعانف وعليه قشور، وفيما عدا ذلك فكل صيد البحر حرام حيث يمنع اليهودي من أكل الأسماك الملساء وأنواع الأخطبوط والجمبري والسرطان والمحار[3].

ويتشدد اليهود في وجوب الفصل بين أوعية اللحوم وأوعية الألبان إذ لا يجب الخلط بينهما البتة، ولا استعمال أواني اللحوم للألبان أو العكس.[4]

---

[1] غازي السعدي، مرجع سابق، ص64-65.

[2] المسيري، الموسوعة، م2، ج1، ص 49، 50.

[3] غازي السعدي، مرجع سابق، ص65.

[4] Abrahams, Jewish life, op. cit., P 146.

أما في الأعياد مثل عيد الفصح وعيد المظال وأيام السبت وعيد رأس السنة اليهودية وعيد التدشين وعيد النصيب...، فيتم تناول أطباق وأشربة مختلفة تتنوع حسب عادات اليهود المكتسبة في البلاد التي يقطنونها[1].

ويفضل اليهود تناول بعض الأطعمة في أيام الأعياد، منها الفطائر المختلطة بالخل والنبيذ والتي تدعى "بواريد"، وكذلك "الهريسة" المصنوعة من الدقيق واللحم المقطع، إضافة إلى الفطير المحشو بقطع الدجاج والفطر[2].

ومن أشهر أطباق يهود المغرب الإسلامي في يوم عيد الميمونة في شهر نيسان ذكرى تحرير بني إسرائيل من الأسر، السمك الطازج المغلف بأوراق خضراء والذي يزين بخمس حبات فول أخضر وخمس بيضات وخمس نقود فضية أو ذهبية ثم يوضع السمك داخل الدقيق وأوراق الزهور وأعشاب خضراء وسنابل من القمح أو الشعير وحليب. كما أنهم يحضرون أنواعا عديدة من الحلويات من أشهرها بغرير بالعسل (موفليتة)[3].

وحسب التعاليم التلمودية فإنه يجب على العائلة اليهودية الاجتماع على طاولة الأكل وتلاوة صلاة المائدة وهي مجموعة أدعية تتلى قبل الأكل وينبغي على الشخص الذي يتلوها أن يضع على رأسه قلنسوة أو غطاء أو حتى طرف معطفه[4].

---

[1] انظر عن هذه الأطباق المتنوعة، المسيري، الموسوعة، م1، ج2، ص 299-301.

[2] ASHTOR Eliyahu, The Jews of Moslem Spain, Translated from the Hebrew by Aaron Klein and Jenny Machlowitz Klein, The Jewish Publication Society of America, PHILADELPHIA, 1984, vol3, p65.

[3] André Chouraqui, Marche vers l'occident, p217. انظر كذلك بوعمامة، يهود المغرب الإسلامي، ص147.

[4] Abrahams, The Jewish, op. cit., P279

2-1-2-الصوم:

ويدعى بالعبرية "تسوم" وتستخدم كلمة "تعنيت" مرادفا لها[1]، إذ يصوم اليهود في السنة أياما متفرقة وهذا الصوم مرتبط إما بأفراح أو بأحزان، أو لمناسبات خاصة عندهم ويكون صيامهم من العتمة إلى العتمة عن الشراب والطعام والنساء[2]. وأيام الصوم المفروضة على اليهود في كتبهم المقدسة هي ثمانية وعشرون يوما وهي:

- الثامن من طيبت[3]: ذكرى ترجمة التوراة إلى اللغة اليونانية في عهد بطليموس.

- التاسع من طيبت: ذكرى موت عزرا.

- الثامن من شباط: ذكرى وفاة الأتقياء في زمن يشوع.

- الثالث والعشرون من شباط: ذكرى احتشاد بني إسرائيل للحرب ضد سبط بنيامين.

- السابع من آذار: ذكرى المشاحنة التي نشبت بين بيت هليل وبيت شماي، وقتل فيها ثلاثة آلاف نفس.

- السابع من آذار الثاني: لا يوجد سبب واضح لهذا الصوم.

- الرابع والعشرون من آذار الثاني: ذكرى اليوم الذي نقش فيه الهلينيون اسما لمعبود وثني على حجر تميم، كان منقوشا عليه قبل ذلك اسم الرب.

- الأول من نيسان: ذكرى موت ناداب وأبيهو ابني هارون.

- السادس والعشرين من نيسان: ذكرى وفاة يشوع بن نون.

---

[1] المسيري، الموسوعة، م1، ج2، ص52.

[2] أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء الأول، دار الغد الجديد، القاهرة، الطبعة الأولى، 1427هـ/2007م، ص199.

[3] سنأتي على ذكر التقويم اليهودي وما يقابل أشهرهم من الأشهر الشمسية خلال هذا الفصل.

- العاشر من أيار : ذكرى موت هالي وولديه واستيلاء الفلستيين(شعوب البحر)[1] على تابوت العهد.

- الثامن والعشرون من أيار: ذكرى وفاة النبي صمويل.

- الثالث والعشرون من سيوان: ذكر اليوم الذي أمر فيه يربعام بن نباط بني إسرائيل بالتوقف عن إحضار القرابين والأضاحي وأبكار نتائجهم إلى أورشليم.

- الخامس والعشرون من سيوان: ذكرى إحراق الربي حننيا بن تراديون.

- الأول من آب: ذكرى وفاة الكاهن الكبير هارون.

- الثامن عشر من آب: عندما أطفأ آحاز النور الغربي.

- السابع من أيلول: عندما قضى وباء الطاعون على الجواسيس الذين عادوا بتقاريرهم عن كنعان.

- الخامس من تشري: ذكرى وفاة عشرين من بني إسرائيل وذكرى إعدام عقيبا.

- السادس عشر من تشري: عندما قضي بموت الذين عبدوا العجل من بني إسرائيل.

- السادس من حشوان: عندما فقد الملك صدقيا بصره على يد نبوخذنصر بعد ذبحه لأولاده أمامه.

- السابع من كيسلو: عندما أحرق يهودي قسيم الوثيقة التي كتبها باروخ وأملاها عليه أرميا.[2]

وقد قرر الحاخامات صيام أيام أخرى منها الإثنين والخميس وهي الأيام التي تقرأ فيها التوراة في المعبد، وصيام أيام التكفير العشرة (بين عيد رأس السنة وعيد الغفران)...

[1] المسيري، الموسوعة، م1، ج2، ص 394.

[2] محمد الهواري، الصوم في اليهودية، دار هاني للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1408هـ/1988م، ص53-55، عبد الرزاق رحيم صلال الموحى، العبادات في الأديان السماوية، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، 2001،، ص 106.

بالإضافة إلى أيام خاصة كصيام اليهودي ذكرى يوم وفاة أبويه أو أستاذه وصيام العريس والعروس يوم زفافهما...[1]

2-2- النظافة والطهارة:

يعود اهتمام الشريعة اليهودية الحاد بمشاكل الطهارة والنجاسة إلى محاولة اليهود دوما الفصل بينهم، هم المقدسون وبين الأغيار المدنسين، وتنص الشريعة اليهودية على عدة مصادر أساسية للنجاسة الشعائرية أهمها أجساد الموتى.[2]

والطهارة عندهم نوعان: طهارة الموضع الذي يصلون فيه من النجاسات ويكون خاليا من الصور والتماثيل، وطهارة الجسم: وهي نوعان، طهارة كبرى، إذ يغطس الرجل أو المرأة في الماء ثلاث مرات وذلك إن لمس اليهودي أو اليهودية جثة ميت، أو لمس حشرات، أو خنازير، أو الجنابة، وبعد الحيض والنفاس بالنسبة للمرأة[3]. ويضيف موسى بن ميمون إلى قائمة مسببات الغسل تغسيل الميت أو لمس مرضى الجذام وأنه يحرم على اليهودي الدخول إلى الكنيس من غير طهارة[4]، وطهارة صغرى يوميا وهي تشبه الوضوء الإسلامي، وتكون قبل تأدية فرائض معينة، وبعد أي شيء يسبب النجاسة، إذ يجب فيها استعمال الماء الطاهر-لا يجوز استعمال ماء البحر- فيبدأ بغسل اليدين ثلاث مرات قبل إدخالهما في الإناء، ثم يغسل كامل الوجه، ثم يتمضمض ثم يمسح وجهه بمنديل، ثم يتبع الغسل بسلسلة من الدعاء حمدا لله الذي أعطاه الماء طهورا[5].

---

[1] المسيري، الموسوعة، م2، ج1، ص 52.

[2] المرجع نفسه، ص55.

[3] بوعمامة، اليهود، ص102، انظر عبد الرزاق الموحى، العبادات في الأديان السماوية، ص77.

[4] موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، تحقيق حسن آتاي، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، دت، ص681-683.

[5] بوعمامة، اليهود، ص102، انظر كذلك الموحي، العبادات، ص81.

وتنص الشريعة على ضرورة أن يغسل اليهودي يديه قبل الأكل أو الصلاة، وبعد الاستيقاظ من النوم، وبعد زيارة المدافن أو دخول دورة المياه.[1]

2-3-اللبـــــاس:

من المعروف في شريعتنا الإسلامية إلزام اليهود بلبس معين وعدم التشبه بالمسلمين، فقد أورد ابن قيم الجوزية في كتابه أحكام أهل الذمة تفسيرا لحديث النبي-صلى الله عليه وسلم-: «بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجُعل رزقي تحت ظل رمحي، وجُعل الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم» رواه الإمام أحمد في مسنده[2]، قوله: فأهل الذمة أعظم خلافا لأمره وأعصاهم لقوله، فهم أهل أن يذلوا بالتغيير عن زي المسلمين الذين أعزهم الله بطاعته وطاعة رسوله من الذين عصوا الله ورسوله فأذلهم وصغرهم وحقرهم حتى تكون سمة الهوان عليهم فيعرفوا بزيهم.[3]

وقد كتب عمر بن الخطاب إلى عماله في الأمصار الإسلامية في عهد الخلافة الراشدة عن لباس أهل الذمة "ألا يلبسوا لبسة المسلمين حتى يعرفوا".[4]

وسار على نهجه بعده الخلفاء والأمراء إلى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي ألزمهم بلبس ملابس حقيرة تصنفهم عن المسلمين وكذا الخليفة العباسي المتوكل الذي أمر في سنة 235هـ أهل الذمة بلبس الطيالسة العسلية، وشد الزنانير، وعمل رقعتين على لباس مماليكهم مخالفتين لون

---

[1] المسيري، الموسوعة، م2، ج1، ص68.

[2] أخرجه الإمام أحمد في مسنده تحت رقم 5115، ينظر أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1416هـ/1996م، ج6، ص 126

[3] ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، المجلد الأول، ص1264.

[4] نفسه، ص 1262.

الثوب كل واحد منهما قدر أربع أصابع ولون كل واحدة منهما غير لون الأخرى، وأما نساؤهم فتلبس إزارا عسليا ومنعهم من لباس المناطق[1].

ويبدو أنَّ الفقهاء رغبوا في إلزام اليهود بهذا الزي ليعرفوا بين المسلمين ولوضع حدٍّ لتجاوزاتهم وتطاولهم على الإسلام والمسلمين. ومن بين الفتاوى التي ألزمتهم بلباس معين وعدم التشبه بلباس كبراء المسلمين وأخيارهم فتوى"ابن عبدون التجيبي" في القرن السادس هجري: "يجب أن لا يُترك أحدٌ من المتقبلين، ولا من الشُّرَطِ، ولا من اليهودِ، ولا من النصارى، بزيِّ كبار الناس، ولا بزيِّ فقيه، ولا بزيِّ رجلٍ خيرٍ ... يجب أن تكون لهم علامة يُعرَفون بها على سبيل الخزي لهم"[2].

إلا أن هذا لم يعمل به في كل عصور الدول الإسلامية إذ روي أن بعض اليهود كان يتمتع بحرية اللبس حتى أن لباسه كان يفوق لباس المسلمين بل يتشبه بأعيانهم وأمرائهم[3].

وفي عهد الدولة الزيانية استمر أهل الذمة في لبس ثياب صفراء اللون بأكمام واسعة طويلة، وتقلدوا قلانس تشبه البرادع تصل إلى تحت آذانهم وهو اللباس الذي فرضه الموحدون عليهم في عهد أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن إلا أن لونها كان أسودا فغيره ابنه أبي عبد الله إلى اللون الأصفر بطلب منهم[4]، ويورد الحسن الوزان أنه رآهم في تلمسان حاضرة الزيانيين يضعون على رؤوسهم عمامات صفراء[5].

---

1 أبو الحسن علي بن أبي الكرم ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مراجعة وتدقيق محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1407هـ/1987م، المجلد السادس، ص 106.

2 محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي، رسالة في القضاء والحسبة، تحقيق فاطمة الإدريسي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1430هـ، 2009م، ص 113-114.

3 مثال ذلك بن عطاء اليهودي في الدولة الزيرية والحكيم بن قنبل في أواخر الدولة المرينية، انظر الونشريسي، المعيار، ج2، ص 254.

4 عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 252. فيلالي، مرجع سابق، ج1، ص270.

5 الوزان، مصدر سابق، ج2، ص20.

كما كان يحظر عليهم لبس الأثواب ذات اللون الأخضر لأنه اللون المميز للمسلمين[1]، وكذا الالتزام بعدم التعمم (لبس العمامة) لأنه من مميزات أشراف المسلمين[2].

أما عن النعل فإنه كان لا يختلف كثيرا عن نعل المسلمين فيلبسون البلغة وهي نعل أصفر اللون وهو لباس أهل الريف وبعض أهل المدن[3]. إلا أن بعض اليهود يذكرون أنهم قد أجبروا في هذا العهد من طرف المسلمين على المشي حفاة عند خروجهم من الأحياء الخاصة بهم[4].

أما في الصلاة فقد فرض اليهود على أنفسهم ارتداء "الطاليت" وهي كلمة عبرية تعني شال الصلاة، وهو شال يرتديه اليهود أثناء صلاة الصبح وفي كل الصلوات الإضافية وفي عيد الغفران وخاصة صلاة النذور إلا في التاسع من آب حيث لا يرتدونه إلا في صلاة الظهيرة منه[5]. وهم يلتزمون بأمر الله لهم في التوراة كما يقولون :"وقد أمرتنا بأن نلبس الطاليت". وهذا الشال يكون من الحرير الأبيض أو الصوف وفي زواياه حلية وزينة وخاصة عند طاليت الكهنة الموشى بالذهب ويلبس هذا الشال كذلك العريس في ليلة زواجه كما ويكفن بهم ميّتهم[6].

كما ألزمت المرأة اليهودية بوجوب تغطية رأسها عند الخروج، فإذا خالفت ذلك فهي معرضة للطلاق إذا كانت متزوجة أو عدم الزواج إذا كانت عزباء[7].

أما رجل الدين فإن لباسه كان خاصا إذ يلبس جلبابا أسودا ومعطفا ذا غطاء للرأس ضخما (Copate) أو برنسا تفتح أكمامه عند الكوع حتى المعصم، وصدرية طرز بأربعين زرا وسروالا من قماش خفيف أو من الصوف الرمادي أو الأسود، وكذا عمامة سوداء فخمة[8].

---

[1] Abrahams.I, The Jewish life, op. cit., p 285.

[2] Ibid, p 283.

[3] عطا أبورية، اليهود في ليبيا وتونس والجزائر، ص217.

[4] Abrahams, op. cit., P289.

[5] غازي السعدي، المرجع السابق، ص64.

[6] المسيري، موسوعة اليهود، م2، ج1 ص69. غازي السعدي، المرجع السابق، ص 64.

[7] Abrahams, op. cit.,P 281.

[8] Chouraqui, Marche vers l’oocident, P65 .215انظر كذلك، عطا أبو رية، مرجع سابق، ص

3-تنظيم المجتمع اليهودي:

3-1- المرأة اليهودية:

نظرت الشريعة اليهودية إلى المرأة نظرة احتقارٍ وصغار، فيقول الحبر اليهودي بابا بترة: "ما أسعد من رزقه الله ذكوراً، وما أسوأ حظ من لم يرزق بغير الإناث" ثم يشبه المرأة بالرائحة الخبيثة، وقد ورد في العهد القديم أن المرأة أَمَرُّ من الموت[1].

ولا يسمح اليهود للمرأة بالالتحاق بالمدارس الدينية، وهي في شريعتهم خفيفة عقل.فقد جاء على لسان الحاخام أليعازر:"كل من يُعلِّم ابنته التوراة، فكأنمَّا يعلمها السخافة" وذلك رغم استدراكات موسى بن ميمون على هذه القضية بأن المراد من هذا القول هو التلمود وليست التوراة.[2]

وهي أقل قيمة من الرجل وتابعة له في المجتمع اليهودي بوصفها خلقت من أحد أضلاع الرجل الأول "آدم"[3].

ويتجسد هذا التفريق بين مكانة الرجل والمرأة في العقيدة اليهودية في الدعاء الذي يردده اليهودي كل يوم إذ يحمد الإله على أنه خلقه يهوديا وليس من الأغيار وخلقه رجلا وليس امرأة[4].

وتشدد مشرعو اليهود في القرون الوسطى في إلزام المرأة المكوث في بيتها وعدم التسكع أو الجلوس عند الباب لمشاهدة ما تفعله جاراتها أو البقاء بدون شغل لأن الكسل يقود إلى الإثم، فيجب على النساء أن ينسجن أو يطبخن أو يخطن الثياب، كما يمنعن من الكلام أو الضحك مع الأجانب كثيرا[5].

---

[1] أحمد شلبي، مقارنة الأديان اليهودية، مكتبة النهضة، مصر، الطبعة الثامنة، 1988، ص 300.

[2] ظفر الإسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه، دار النفائس، بيروت، ط2، 1404هـ/ 1975م، ص58.

[3] زكي علي السيد أبو غضة، المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، الطبعة الأولى، 1424هـ/ 2003م، ص 23.

[4] المسيري، الموسوعة، م2، ج1، ص71.

[5] Abrahams, The Jewish life, op. cit., P156.

لذلك فالمرأة اليهودية مكلفة بأشغال المنزل ومنها إيقاد شموع السبت والأعياد، وخَبز خُبز الحلا (أي الرغيف الذي يقدم في وجبة السبت) والقيام بشعائر الطهارة[1] فمكانها عند اليهود في العصور الوسطى هو البيت ومهمتها هي الإنجاب وتأدية مهام البيت وتربية الأطفال وهي تلعب دور الرجل في منزلها في حال غيابه لتجارة أو تعلم[2]، كما كان حال أغلب يهود الدولة الزيانية التي كان اليهود فيها يسافرون لمدة زمنية طويلة من أجل الاتجار في مختلف بقاع العالم وخاصة منها تجارة الذهب في بلاد السودان أو فكاك الأسرى[3].

كما أن تشريعات اليهود قد اعتبرت المرأة كالقاصر والصبي والمجنون فلا يجوز لها التصرف في أملاكها ولا حتى البيع أو الشراء ما دام زوجها على قيد الحياة، أما الوقائع فقد أثبتت أن هناك نسوة قد تصرفن في أملاك أزواجهن بحرية في وقت سفرهم[4].

وقد تم الفصل بين النساء والرجال في الصلوات لتجنب الاختلاط، كما أن المرأة اليهودية لا يجب عليها الخروج مكشوفة الرأس وإلا تعرضت للطلاق إن كانت متزوجة، أو المنع من الزواج إن كانت عازبة، والرجل لا يمكن له الصلاة في حضرة امرأة مكشوفة الرأس.[5]

هذا التشدد إزاء المرأة في العصور الوسطى، جعلنا لا نجد لها أثرا كبيرا في مختلف المصادر سواء اليهودية أو الإسلامية، لذلك لم نورد أمثلة عن صورة المرأة اليهودية خلال فترة الحكم الزياني لبلاد المغرب الأوسط.

---

[1] المسيري، الموسوعة، م2، ج1، ص71.

[2] Abrahams, op. cit., P155.

[3] Dhina, A, Le royaume Abdalouadide, op. cit., P 57.

[4] جواتياين، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، ص 205.

[5] Abrahams, op. cit., P 281.

3-2- الزواج وأحكامـــــه:

تنص شريعة اليهود على أنّ الزواج فرض على كلٍّ يهودي مهما كانت حالته الاجتماعية والصحية، فهو فرض على الصغار والكبار والفقراء والأغنياء والعلماء والجهال والأصحاء والسقماء لأنه يجب عليهم الاشتراك في استبقاء النسل، ولا يجوز عندهم نكاح العاقر أو من بلغت سن اليأس إلا إذا كان الرجل قد أدى فرض التناسل المذكور بأن أنجب من قبل أولادا ذكورا[1]. وتحرم شريعة اليهود الزواج من غير اليهود الذين تسميهم كفارا[2]. ويتحدد سن الزواج باثنتي عشرة سنة ونصف(12,5) للإناث وثلاثة عشر سنة للذكور كحد أدنى، ويمكن أن يتجاوز هذا السن. كما يعتقد اليهود أن الزواج يتقرر في السماء قبل ميلاد الإنسان بأربعين يوما.

3-2-1-خطوات الزواج:

وضع التشريع اليهودي عدة خطوات للزواج وهي:[3]

أ-الخطبة: وتتم على مرحلتين: الأولى تعرف "بالشيدوخين" أو "الشيدرخين"[4] وهو طلب يد الفتاة من أهلها.

والمرحلة الثانية "إيروسيم" أو "إيروسين"[5] وهي الإعلان عن الخطبة وتعرف بالعامية ملاك أو الرسيم، وهي بمثابة الرابطة الحقيقية بين الطرفين، لأنه إذا ما أراد أحدهما فسخ الخطبة فإنه يحتاج إلى طلاق، وإذا توفي الخاطب اعتدت خطيبته عدة المتوفى عنها زوجها وهي ثلاثة أشهر.

[1] كواتي، اليهود في المغرب، ص127؛ عمر رضا كحالة، الزواج، ج 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1400هـ/1980م، ص32-33.

[2] كحالة، المرجع السابق، ص 246.

[3] بوعمامة، اليهود في المغرب الإسلامي، ص 115.

[4] المسيري، مرجع سابق، ص 76.

[5] المرجع نفسه، ص ن.

ومدة الخطبة محددة بسنة للبكر وثلاثين يوما للأرملة[1].

ب-الصداق: أو المهر وهو ركن لازم للزواج وشرط قانوني لانعقاده، وهو قسمان: معجل وهو ما يدفعه الزوج لوالد خطيبته عند عقد الخطبة وحدد بمائتي دينار للبكر ومائة للثيب ويمكن للزوج أن يضيف إليه ما يشاء.[2]

ومؤجل أو مؤخر وهو ما يدفعه الزوج في حال الطلاق أو ورثته في حال موت الزوج ويثبت مبلغه في عقد الزواج[3].

وفي الفترة موضوع الدراسة وبالتحديد في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر ميلادي، تم تحديد قيمة الصداق في تكانوت عام 1497م بعشرين أوقية فضة كحد أدنى، إضافة إلى مائتي زوز (هي عملة نقدية تساوي حوالي 3,5غ من الفضة كانت متداولة لدى اليهود في العصور الأولى لتحرير المشنا) بالنسبة للبكر ومائة زوز بالنسبة للأرملة أو المطلقة[4].

وفي مدينة تلمسان في عهد الدولة الزيانية تمت أمور الزواج حسب عادات المنطقة وهي:

- حددت قيمة المهر والندونيا بمئة دينار زياني (أي حوالي 476 فرنك فرنسي و65 سنتيم).
- الإضافة أمر اختياري بالنسبة للزوج.

[1] صابر أحمد طه، نظام الأسرة في اليهودية والنصرانية والإسلام، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2000م، ص13.

[2] ثروت أنيس السيوطي، نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين، القاهرة، دار الكتاب العربي، دت، ص243.

[3] أحكام النساء في التلمود، عقود الزواج، ترجمة وتعليق ليلى إبراهيم أبو المجد، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1426هـ/2006م، ص11.

[4] Haïm Zafrani, Deux mille ans de vie Juive au Maroc, histoire et culture, religion et magie, A. Retnani, Editions, EDDIF, Casablanca, 2000, PP78-88.

- الهدايا التي تحملها المرأة عند زواجها تكون ملكها الخاص، أما الزوج فله حق الاستمتاع بها فقط[1].

ج-الندونيا: وهو ما يقدمه والد الفتاة من مال أو متاع لابنته عند زواجها، ولم تكن موجودة في العصور القديمة لكنها أصبحت ثابتة بعد السبي البابلي، فكانت تثبت قيمة "الندونيا" في عقد الزواج.[2]

د-التقديس: ويسمى بالعبرية "كدوشيم" أو "قيدوشين" أو "قيدوشيم" وتشبه عقد القران عند المسلمين، وبموجبها تصبح المرأة اليهودية زوجة شرعية لمن تقدم إليها، ولا يمكنها الزواج من آخر إلا إذا مات زوجها أو طلقها. ويجب أن تتم هذه الخطوة أمام شهود[3]. ويختلف عدد الشهود فيكون شاهدين عند فرقة الربانيين وعشرة رجال على الأقل عند القرائين[4].

ه-كتابة العقد : وتسمى "كتوباه[5]" وهو إجراء هام في الشريعة اليهودية، وهو العقد الذي يكتبه الزوج لزوجته عند الزفاف أو عند عقد الزواج، وتتضمن "الكتوباه" تفاصيل الواجبات الزوجية، سواء واجبات الزوج نحو زوجته أو العكس، بالإضافة إلى مختلف التفاصيل الدقيقة. ومن شروط الوثيقة أن تكتب داخل المعبد وأن يكون التوقيع معلوما أمام الحاخام، وأن يشهد شهود آخرون على صحة التوقيعات ولا يكون عليها أي خطأ أو شطب[6].

---

[1] بوعمامة، المرجع السابق، ص 133. انظر Eben Haezer, Le code rabbiniqe Traduction de M.Sautayra et M.Charleville, Revue Africaine, OPU, Alger, vol 13, année 1869, PP 182.

[2] سوزان السعيد يوسف، المرأة في الشريعة اليهودية حقوقها وواجباتها، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2005، ص82.

[3] المسيري، مرجع سابق، ص 76.

[4] بوعمامة، المرجع السابق، ص 117.

[5] انظر نسخة عن عقد كتوباه من طرف أحد أحبار اليهود في الملحق رقم 09.

[6] ليلى أبو المجد، عقود الزواج، ص34.

وقد طبق القانون الإسلامي في بلاد المغرب الإسلامي على عقود الزواج اليهودية بأن كتبت وثيقتان إحداهما يهودية والأخرى إسلامية[1].

وتبدأ مراسم الزفاف لليهود في بلاد المغرب بذهاب العروس إلى الحمام الطقسي قبل الزفاف بيوم، حيث يمثل ذلك شعيرة رئيسية للطهارة، ثم يصاحب مراسم العقد والزفاف تجميل العروس وصبغ شعرها باللون البرتقالي بالزعفران ويديها بالحناء، كما كانت هناك عادة بين الفقراء والبسطاء، وهي وضع صينية للنقود خلال استقبال التهاني، ويذهب العروسان إلى المعبد في السبت السابق واللاحق ليوم الزفاف، حيث يرتل المرتل أشعارا دينية مخصصة لهذه المناسبات، ويصوم العروسان يوم زفافهما، ولقد تركت التأثيرات البربرية أثرها على بعض عادات الزواج اليهودي، مثل إعداد منزل مؤقت للعريس قبل مراسم الزواج، وأن يحترس من كل اتصالات مع الأقارب الذكور حتى الإخوة والوالد، وغالبا ما يؤجر منزل للعريس يمكث فيه حتى يصحب عروسه إلى منزله، ومن ذلك أيضا عدم رؤية والد العروس لابنته مدة 15-20 يوما قبل تركها لمنزله[2].ومن بين بعض العادات المنتشرة على أراضي الدولة الزيانية في وادي ميزاب أنهم يضعون العروس فوق جلد خروف ويرفع بها إلى السماء والذي يمسكها أولا يكون شاهدا على بكارتها[3].

وفي مدينة الجزائر، نالت أربع عائلات يهودية فقط شرف ارتداء العرسان من أبنائها في حفلات الزواج اليهودية الجبة والقفطان الإسبانيين اللذين كان يرتديهما الحاخامان "إسحاق بن شيشيت برفات" و"شمعون بن سماح دوران" عند قدومهما لأول مرة إلى مدينة الجزائر بعد التهجير من الأندلس وهذه العائلات هي:

عائلة دوران: إذ يرتدي أفرادها الجبة والقفطان معا لأنهم الأحفاد المباشرون للحاخام شمعون بن سماح دوران.

---

[1] عبد الرحمن بشير، اليهود في المغرب العربي، ص 115.

[2] عبد الرحمن بشير، المرجع السابق، ص116.

[3] Ayoun Richard, Cohen Bernard, Les Juifs d'Algérie, P103.

عائلات: سطورة، سرور، وبن حاييم يرتدون بذلة واحدة فقط.[1]

وكانت مسألة النساء المحرمات على الرجل الزواج بهن مسألة خلافية بين علماء اليهود، إلا أن علماء المسلمين خلوا بينهم وبين ما يعتقدون إذ يقول صاحب المدونة ردا على سؤال حول ذلك "قلت أرأيت أهل الذِّمّة إذا كانوا يستحلّون في دينهم نكاح الأمهات والأخوات وبنات الأخِ أنخليهم وذلك. قال: أرى أنه لا يعرض لهم في دينهم، وهم على ما عوهدوا عليه، فلا يُمنعون من ذلك إذا كان ذلك مما يستحلون في دينهم"[2].

ومن المحرمات على الرجل عند اليهود: زوجة الأب، زوجة الأخ، الحفيدة، الأخت غير الشقيقة، ويسمح للرجل الزواج من العمة عن طريق النسب، الخالة، ابنة ابن الزوجة، ابنة الزوجة من زوج سابق، أخت الزوجة، زوجة الابن، الحماة.

أما المحارم على المرأة فهُم: ابن الزوج، الجد، الأخ من زوج الأم أو غير الشقيق، ابن الأخ، ابن أخ الزوج، ابن الأخت، أبو الزوج، زوج الأم، الحفيد، وزوج الأخت.[3]

وفي فترة العصور الوسطى ظهرت وظيفة الوسيط لتحقيق مشروع الزواج، وهي وظيفة معترف بها من قبل علماء الشريعة، وكانت لهذا الوسيط أجرة ثابتة تدفع مناصفة بين العائلتين[4].

[1] نجوى طوبال، طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 134.

[2] مالك بن أنس الأصبحي، المدونة الكبرى، م2، ج4، مطبعة السعادة، مصر، 1323هـ، ص312.

[3] بوعمامة، المرجع السابق، ص118، سوزان السعيد، المرجع السابق، ص 85.

[4] بوعمامة، المرجع نفسه، ص115.

3-2-2-تعدد الزوجات:

إن الزواج بأكثر من امرأة عند اليهود جائز، ولم يرد في تحريمه نصٌّ لا في الكتاب المقدس، ولا في التلمود، وكانت العادة جارية عند اليهود على اتخاذ أكثر من زوجة، وليس عندهم حد أقصى لتعدد الزوجات،[1] وعلى العكس من ذلك فقد ورد في التلمود الإشارة إلى التعدد وإن كانت إشارة ضمنية وذلك عند الحديث عن تنظيم حقوق الزوجات الأربع في مؤخر الصداق[2]، من كان متزوجا من أربع نساء ثم مات، الأولى سابقة الثانية والثانية سابقة الثالثة، والثالثة سابقة الرابعة، أي سابقة على غيرها في تحصيل مبلغ الكتوباه من تركة الزوج المتوفي[3]، غير أن ظاهرة تعدد الزوجات عند يهود المغرب الإسلامي كانت قليلة جدا، إذ كان لليهودي زوجة واحدة ليس بسبب الفقر كما يزعم البعض ولكن تأثراً بالبربر القاطنين بالمناطق الداخلية الذين كانوا لا يتزوجون إلا بامرأة واحدة عكس سكان المناطق الشمالية الذين تأثروا بالعرب، إذ كان للبعض منهم أكثر من زوجة واحدة، وقدوم يهود إسبانيا في أواخر القرن التاسع الهجري (15م) لم يغير كثيرا من هذه الظاهرة مثلما لم يتأثر اليهود الأهالي بعادات اليهود الذين قدموا إلى بلاد المغرب الأوسط من ميورقة وأراغونة بعد عام (879هـ/1391م)[4].

وعلى الرغم من ذلك فقد كانت العائلات اليهودية التي تزوج بناتها تحرص على أن يتضمن عقد الكتوباه التزام الزوج بعدم اتخاذ زوجة ثانية وأُدمج هذا الشرط في الكتوباه ابتداء من عام

1 حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، أطواره ومذاهبه، دار العلوم، بيروت، الطبعة الثانية،1407هـ/1987م،ص192.

2 ثروت أنيس، مرجع سابق، ص 232.

3 ليلى أبو المجد، عقود الزواج، ص239.

4 بوعمامة، المرجع السابق، ص 120.

898هـ/1492م ، وفي أحسن الأحوال اشتراط الحصول على الإذن من زوجته الأولى[1]. حتى أن بعض الوثائق أشارت إلى أنه من حق الزوجة الأولى طرد الزوجة الثانية إن لم تكن على هواها[2].

ويبدو أن اليهود في بلاد المغرب الإسلامي قد تأثروا ببعض التشريعات التي تحرم التعدد وأبرزها تشريع جرشوم بن يهودا "Gershom" التي تنص على أن كل يهودي يتزوج بأكثر من امرأة واحدة يعرض نفسه لقانون الحرمان الديني[3].

هذا لم يمنع من وجود حالات استثنائية أجاز فيها مشرعو اليهود للرجل الزواج بامرأة ثانية ولخصوا هذه الحالات في :

- أن يثبت عقم المرأة بعد مرور عشر سنوات على الزواج.
- مرض الزوجة الأولى مرضا لا تستطيع معه القيام بواجباتها.[4]
- أوعند وفاة زوج المرأة دون أن تنجب أولادا فيلزم أخوه الأكبر بالزواج منها –حتى وإن كان متزوجا- ليبقي على اسم أخيه في بني إسرائيل. وهو ما يسمى "زواج اليبوم"[5].

---

[1] الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، ص 80. Haïm Zafrani, Les Juifs du Maroc, vie sociale, économique et religieuse, Etudes de Taqqanot et Responsa, Librairie Paul Geuthner, Paris, 1972, P90.

[2] جواتياين، مرجع سابق، ص 205.

[3] عبد الرحمن بشير، اليهود في المغرب العربي، ص 119، وقد ذكرت مجلة (Actuel Juive)الفرنسية في عددها الصادر في 24 مارس 1997م أنه قد عثر على مخطوط يهودي نادر بمدينة مراكش المغربية يرجع تاريخه إلى سنة 1000م يبيح تعدد الزوجات لليهود اعتبارا من عام 5775 عبرية أي ما يوافق 1997م (جريدة الأهرام المصرية، القاهرة، 25مارس 1997م)، وهو ما يعني أن تعدد الزوجات كان محرما خلال تلك الفترة الزمنية إلى غاية عصرنا الحالي.

[4] صابر طه، مرجع سابق، ص 32.

[5] جواتياين، مرجع سابق، ص204، هامش 2.

ولم تحدد التوراة أي عدد كحد أقصى للتعدد، غير أن التلمود حددها بأربع تأسيا بيعقوب عليه السلام الذي تزوج بأربع نسوة، ثم تركت الشريعة اليهودية الأمر لقدرة الرجل على الإنفاق على زوجاته[1].

3-2-3-زواج اليبوم:

وهو زواج الأرملة التي توفي عنها زوجها ولم تنجب أطفالا، إذ تلزم الشريعة اليهودية الأخ الأكبر في الأسرة بالزواج منها، ويحمل الطفل البكر الذي يولد اسم الأخ المتوفى وليس اسم أبيه وينسب إليه (المتوفى) ، وذلك للإبقاء على اسم المتوفى قائما في بني إسرائيل، وتسمى هذه المرأة الأرملة "بياماه"[2]. وإذا امتنع الأخ فتتزوج المرأة للأخ الأصغر منه، وهكذا. ويطبق على الأخ الممتنع ما يسمى بشريعة "الحاليصاه" أو "بيت مخلوع النعل"، إذ أن أرملة الأخ تصعد إلى الباب عند الشيوخ وتقول:" قد رفض أخ زوجي أن يخلد لأخيه اسما في بني إسرائيل ولم يشأ أن يقوم نحوي بواجب أخ الزوج" ثم تتقدم المرأة نحو الأخ الممتنع على مرأى من الشيوخ وتخلع حذاءه من رجليه وتتفل في وجهه قائلة:"هذا ما يحدث لمن يأبى أن يبقي بيت أخيه"[3]، ويدعى في إسرائيل "بيت مخلوع النعل".

لم يلتزم اليهود دوما بهذا التشريع وإنما احتالوا للتخلص من هذا الإلزام باتباع نظام خلع النعل"(الحاليصاه)[4]. وقد أثبتت بعض وثائق الجنيزة وجود زواج اليبوم في بلاد المغرب الإسلامي في العصور الوسطى[5].

---

[1] أبو غضة، مرجع سابق، ص 284.

[2] المسيري، مرجع سابق، م2، ج1، ص 76.

[3] بوعمامة، مرجع سابق، ص121.

[4] عبد الرحمان بشير، مرجع سابق، ص 117.

[5] جواتياين، مرجع سابق، ص204، هامش 2.

3-3-الطلاق:

الطلاق بالعبرية "جيطين" ويتم الطلاق حسب الشريعة اليهودية في محكمة حاخامية، وتنتهي الإجراءات بأن يعطي الرجل زوجته قسيمة طلاق، ويكون في حضور شهود أو أمام محكمة شرعية، وتعطى نسخة من القسيمة لكل من الزوجين، والطلاق حسب الشريعة اليهودية من حق الرجل أن يمارسه متى أراد، وإن كان من المعروف أن قسائم الزواج كانت كثيرا ما تحتوي على شروط تحمي الزوجة من أهواء الزوج[1].

وقد جاء في سفر التثنية:" إذا اتخذ الرجل امرأة وصار لها بعلا، ثم لم تحظ عنده لعيب أنكره عليها، فليكتب لها كتاب طلاق، ويدفعه إلى يدها ويصرفها من بيته."

لكن اليهود استغلوا حق الطلاق وجعلوه مطلقا بلا ضابط فشاع بينهم، وأصبح من الممكن للرجل تطليق المرأة لأسباب واهية.

3-3-1-أسباب الطلاق:

وبسبب الاستغلال لبعض اليهود للطلاق وحفاظاً على التماسك الأسري، اجتهد المشرعون اليهود في إيجاد قيود للحد من حرية الرجل في التطليق من جهة، كما حصروا حالات طلب المرأة للطلاق في سبعة أسباب مازال معمولا بها إلى يومنا هذا وهي[2]:

1- عدم القدرة على مضاجعة الزوجة.
2- تغيير الدين، وهو سبب كذلك للإبعاد من المجتمع اليهودي والحرمان من كل الحقوق، واعتباره عدوا لله.
3- إسراف الزوج في الفجور والفساد.
4- الامتناع عن الإنفاق على الزوجة.

---

[1] المسيري، مرجع سابق، م2، ج1، ص 76.

[2] بوعمامة، مرجع سابق، ص122، أبو غضة، مرجع سابق، ص 261.

5- هروب الزوج من البلاد لجريمة ارتكبها.

6- سوء معاملة الزوجة باستمرار.

7- إصابة الزوج بمرض خبيث أو ممارسة عمل أو تجارة محرمة.

غير أن هناك حالتان يقيد فيها الزوج فيصبح غير قادر على تطليق زوجته مدى الحياة وهما:

-اتهام الزوج لعروسه في شرفها: فإذا ادعى الزوج بعد دخوله على عروسه أنه وجدها غير عذراء، فإن والداها يتقدمان إلى شيوخ المدينة بدليل عذرية الفتاة وأن زوجها قد اتهمها زورا بسبب بغضه لها، فيغرم الرجل مائة من الفضة تدفع إلى أب الفتاة، ويلزم بعدم تطليق هذه الزوجة طيلة حياته[1].

-اغتصاب الرجل لفتاة غير مخطوبة: إذ أنه إذا ثبت أن رجلا قد اغتصب فتاة غير متزوجة فيعطي لأب الفتاة خمسين من الفضة، ويجبر على الزواج ممن اغتصبها فتكون زوجته بقية عمره، ولا يستطيع أن يطلقها العمر كله[2].

3-3-2-إجراءات الطلاق:

ولكي يطلق الرجل زوجته لا بد أن يقوم بإجراءات ثلاث متتالية:

الإجراء الأول : أن يكتب الزوج ورقة يثبت فيها طلاق زوجته.

الإجراء الثاني : أن يسلم زوجته ورقة الطلاق بيده لتكون دليلا على أنه هو الذي أزال بكارتها.

الإجراء الثالث : أن يطلب منها مغادرة منزله[3].

كما لا يجوز بعد هذا الطلاق أن يعيد الرجل مطلقته حتى ولو تزوجت برجل آخر ثم طلقها أو مات عنها لأنها في نظر اليهود قد تنجست بعد هذا الزواج![4]

---

[1] موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، ص 697.

[2] موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، ص 694.

[3] صابر طه، مرجع سابق، ص134.

[4] أبو غضة، مرجع سابق، ص 260.

على أن هناك من التعاليم تعاليما أوصت الرجل بالتمهل وعدم الإسراع في إحداث الطلاق، وعليه أن ينتظر مدة اثني عشر شهرا إذ ربما يحدث الوفاق والوئام.

ومن بين آثار الطلاق التي حددها الربي شمعون بن سماح دوران في مجموعة القوانين التي حررها في مدينة الجزائر عام 825هـ/1421م:

-أن المطلقة دون موافقتها يدفع لها زوجها كل ما تم الاتفاق عليه في العقد، وإن تم الطلاق برضى الطرفين لا تقدم للزوجة الإضافة المتفق عليها في عقد الزواج.

-كما لا يدفع الزوج الإضافة إن كان سبب الطلاق هو زنا الزوجة، ففي هذه الحالة لا يحق للزوجة أخذ مؤخر الصداق ولا الندونيا ولا حتى ثيابها الخاصة بالمواسم والأعياد.

-وإن طلقت المرأة وكانت ترضع رضيعا فعلى الزوج أن يدفع لها النفقة طيلة شهور الرضاعة.[1]

أما مدة العدة فهي تسعين يوما لا يحسب منها يوم الطلاق ولا يوم الزواج، أما إذا كانت المرأة حاملا أو لديها طفل رضيع فإنه لا يجوز لها الزواج إلا بعد مرور سنتين وهي فترة إرضاع الطفل.[2]

وقد جعلت الشريعة اليهودية الطلاق في بعض الحالات من حق الشرع نفسه، بمعنى أنه يتعين إيقاعه رغما عن كل من الزوج والزوجة، وذلك في إحدى الحالات التالية:

1- إذا تكرر ظهور دم الحيض ثلاث مرات متواليات حين اختلاء الرجل بزوجته.

2- إذا زنت المرأة، وثبت عليها ذلك، أو إذا علم الرجل من ثقة أن زوجته تزني.

3- إذا ظلت المرأة عقيما مدة عشر سنوات.

4- إذا كان الرجل عقيما.

5- إذا مرض أحد الزوجين بالصرع، أو مرض أحدهما بمرض معد.

6- إذا ضرب الرجل زوجته.

---

[1] بوعمامة، مرجع سابق، ص131.

[2] سوزان السعيد، مرجع سابق، ص129.

7- عدم قدرة الرجل على توفير القوت الضروري لزوجته[1].

3-4-الختــان:

الختان تقابلها في العبرية كلمة "ميلاه"، ويقال أحيانا "بريت ميلاه"، أي "عهد الختان"[2]وهو قطع الجزء الزائد من الحشفة –نهاية الرأس- من العضو التناسلي للذكر، ويسمى الغرلة، وبالنسبة للأنثى خفض الجزء الزائد من العضو التناسلي في الفرج ويسمى البظر، غير أن الثابت في التوراة والشريعة اليهودية هو ختان الذكور فقط، إذ لا يوجد نص توراتي واحد ينص على ختان الإناث[3].

ويختن الطفل اليهودي بعد ميلاده بسبعة أيام على الأكثر، حتى لو وقع اليوم السابع في يوم السبت، لأن الختان لا يفسد قداسة السبت[4].

وقد استمد الختان شرعيته عند اليهود من أمر الله تعالى لنبيه إبراهيم –عليه السلام- بالاختتان واعتباره عهد الله الذي عهِده إلى إبراهيم ونسله من بعده، وأن الذي لا يختتن فقد نكث عهده[5].ويأخذ الاختتان شكل حفل يحضره عشرة أفراد، وهو نفسه النصاب اللازم للقيام بالصلاة اليهودية، ويجلس الجد على كرسي وإلى جواره كرسي آخر يترك خاليا يسمى "كرسي إلياهو" صاحب العهد بين الإله وجماعة يسرائيل، ويقوم بعملية الختان "الموهيل" (كلمة عبرية تشير إلى من يقوم بهذه المهمة) داخل المعبد[6]، فتقطع الغلفة وتقرأ بركة الختان:" مبارك بالله إلهنا التي أوصيتنا بفريضة الختان" وتقرأ فقرات من سفر حزقيال 16، ثم المزمور 128:"طوبى لكل من يتقي الرب ويسلك في طريقه"[7]،

---

[1] صابر طه، مرجع سابق، ص 139-140.

[2] المسيري، الموسوعة، م2، ج1، ص 47.

[3] أبو غضة، مرجع سابق، ص231.

[4] المسيري، مرجع سابق، ص47.

[5] موسى بن ميمون، مصدر سابق، ص 704.

[6] المسيري، مرجع سابق، ص47.

[7] السيد عاشور، الختان في الشرائع السماوية، القاهرة، دت، ص25.

وإذا مات الطفل قبل مرور سبعة أيام من ميلاده، فإن جثمانه يختّن ويعطى اسما عبريا "إبراهيم" ليكتسب الهوية اليهودية[1].

4- المـــــواريث:

انعكس انقسام يهود الدولة الزيانية إلى توشابيم وميغوراشيم على قوانين الميراث، إذ أصبح للميغوراشيم قوانين خاصة معدَّلة تختلف عما كان لإخوانهم التوشابيم من قوانين استقروا عليها خلال وجودهم في بلاد المغرب الإسلامي[2].

4-1-الميراث عند التوشابيم:

ينص قانون التوشابيم على حق الأولاد الذكور دون الإناث في الميراث مثلما كان معمولا به في تشريعات العهد القديم منذ عهد موسى عليه السلام، كما يؤكد على أحقية الابن البكر في ميراث أبيه، حيث ينال نصيبين من أنصبة بقية إخوته، لأنه هو الذي أثبت رجولة أبيه حسب زعم اليهود، حتى وإن كان هذا الابن من زوجة ثانية مكروهة من طرف زوجها[3].

ويمكن للبنات أخذ نصيب من الإرث في حالة واحدة فقط وهي عدم وجود ذكور وارثين، إلا أن لهن الحق في الإنفاق عليهم من ميراث أبيهن حتى يرشدن ويتزوجن. ونلاحظ في قانون الميراث لدى التوشابيم حرمان الزوجة كذلك من أي حق في ميراث زوجها المتوفي لدرجة أنها تعتبر هي كذلك من ضمن الميراث وتورث مثلها مثل أي نوع من المواريث كما في حالة زواج اليبوم إذ أن الزوجة في هذه الوضعية تُورَث لأخ الزوج المتوفي دون مراعاة لإرادتها.

---

[1] المسيري، مرجع سابق، ص47.

[2] بوعمامة، مرجع سابق، ص134.

[3] أبو غضة، مرجع سابق، ص208-209.

أما الزوج فإنه يرث وحده كل ما تملكه زوجته المتوفية بدون مشاركة أولاد المرأة ولا أقاربها، إلى درجة أنه إذا كانت الزوجة وحيدة أبيها وتوفي قبلها فللزوج حق وراثة جميع ما كان لأبيها[1].

أما ما ترثه الزوجة من قيمة الكتوباه فهو الثلثين، ثم ينفق عليها منها حتى تنفذ، فإذا نفذت طردت من بيت زوجها[2].

2-4-الميراث حسب القانون القشتالي بفاس[3]:

ويقصد به القانون الذي وضعه يهود قشتالة بعد هجرتهم إلى فاس سنة 858هـ/1454م، وحددوا فيه قوانين الزواج والميراث بحضور كل أعضاء الجماعات القشتالية، وحررت باللغة الإسبانية ووقع عليها مجموعة من الربيين الإسبان وهم: "موسى البراهنس Moise Albrahnes" و"موسى مامون Moise Mamon" و"إسحاق سيرولا Serulla Issac" وبنيامين "باريوسف جاباي Benjamin ber Joseph Gabay"، وتأكد هذا القانون بصدور تكانوت آخر وافقت عليه البيع القشتالية الأربع يوم السبت 12 طيبت عام 5242 من التاريخ اليهودي (903هـ/1497م)، وصادق عليها الموثقان "موسى الفلانسي Moise Valenci"، و"يعقوب برينتيه Jacob Pariente" ومازال معمولا بهذا القانون إلى يومنا هذا. وتنص هذه التكانوت على ما يلي:

-إن توفيت الزوجة قبل الزوج وكان لها أبناء فبعد تسديد الديون من الإرث يأخذ الزوج نصف ما تركته زوجته من الأملاك المنقولة وغير المنقولة، ويتقاسم الأبناء ذكورا وإناثا ما بقي من نصف الميراث بالتساوي وتستثنى البنت المتزوجة والأرملة والمطلقة.

---

[1] سوزان السعيد، مرجع سابق، ص91.

[2] ليلى أبو المجد، المرأة بين اليهودية والإسلام، ص 56.

[3] بوعمامة، مرجع سابق، ص137.

-أما إذا توفيت الزوجة ولم يكن لها أبناء فبعد تسديد الديون، وبعد عزل ثيابها اليومية يرث الزوج نصف ما تركته زوجته من أموال، والنصف الآخر يكون من نصيب ورثة الزوجة، حيث تكون الأولوية كالتالي:

- الأبناء الذكور من الزوج الأول إذا سبق وأن تزوجت.

- أب الزوجة.

- ترث البنات إن لم يكن لها ذكور وكان الأب متوفيا.

- إن لم يكن لها بنات، يرثها إخوتها فإن لم يكن لها إخوة ترثها أخواتها.

- في حالة انعدام كل ما سبق يرث الزوج ثلثين والثلث الباقي يرثه أقارب الزوجة من جهة الأب[1].

أما إذا توفي الزوج قبل الزوجة فيقسم الميراث حسب الحالات التالية:

- إن كان له أبناء ذكور وإناث، وبعد تسديد الديون وعزل الثياب اليومية، تأخذ الزوجة النصف ويقسم النصف الآخر على الأبناء على أن يرث البكر الذكر نصيبين من أنصبة بقية الإخوة.
- فإن لم يترك أبناء فيعود النصف للزوجة، ويقتسم أبناؤه الذكور من زواجه الأول النصف الثاني، فإن لم يكن له ذكور فالنصف للإناث.
- فإن لم يكن له أولاد فيرثه أبوه، أو إخوته إن توفي الأب قبله، أو أخواته إن لم يوجد الإخوة، فإن لم يوجد هؤلاء كلهم، ترث الزوجة الثلثين ويعود الثلث الباقي لأقرب أقرباء الزوج[2].

---

[1] Elie Malka, Conditions et statut légal des Juifs au Maroc à la fin du 15e siècle, in Revue des Etudes Islamiques, Année 1953, Tome XXI, Librairie orientaliste Paul Geuthner, Paris, p61.

[2] بوعمامة، المرجع السابق، ص138.

5- التقويم والأعياد اليهودية:

5-1-التقويم اليهودي:

يبدأ التقويم اليهودي حسب حاخامات اليهود من بدء الخليقة على أساس التواريخ التوراتية بعام 3760 قبل الميلاد، ويمكن حساب تقويمهم بإضافة العدد 3760 إلى السنة الميلادية الحالية.

وقد تم وضع التقويم العبري الدائم على يد الناسي أو البطريرك "هليل الثاني" عام 360م وكانت بداية الشهور تعرف قبل ذلك عن طريق السنهدرين، فتوقد النيران معلنة إتمام رؤية القمر، ولذلك جرت العادة منذ ذلك الوقت عند يهود الشتات على الاحتفال بالأعياد يومين على التوالي لصعوبة تحديد اليوم الفعلي لظهور القمر الجديد في فلسطين[1].

والتقويم اليهودي تقويم معقد للغاية، ولهذا التعقيد سببان: أولهما أن حساب الشهور في السنة العبرية يتبع الدورة القمرية، فنجد أن الشهور اليهودية مكونة إما من ثلاثين يوما أو تسعة وعشرين يوما، وبذلك تصبح السنة العبرية 354 يوما، في حين أن حساب السنين يتبع الدورة الشمسية وذلك حتى يستطيع اليهود الاحتفال بالأعياد الزراعية في مواسمها.

والفرق بين السنة الشمسية والسنة القمرية أحد عشر يوما، فكان لا بد من تعويض هذا الفرق حتى يتطابق الحسابان[2].

ولإجراء هذا التطابق تحايل اليهود بإدخال تعديلات معقدة على تقويمهم بحيث يتطابق التقويمان القمري والشمسي تمام التطابق مرة كل عشرين عاما، فأضافوا شهرا كاملا مدته ثلاثون يوما في كل عام ثالث وسادس وثامن وحادي عشر وسابع عشر من هذه الدورة العشرينية وهكذا...[3]

---

[1] غازي السعدي، مرجع سابق، ص9.

[2] المسيري، مرجع سابق، ص78.

[3] غازي السعدي، مرجع سابق، ص9.

وهذا الشهر المقحم على السنة يسمى آذار الثاني ويأتي بعد شهر آذار (آخر فيفري-مارس) حيث تصبح سنتهم الكبيسة مكونة من ثلاثة عشر شهرا.

أما السبب الثاني لهذا التعديل فهو سبب شعائري بحت، فمثلا لا ينبغي أن يقع يوم عيد الغفران أو عيد رأس السنة عندهم قبل أو بعد يوم السبت، ولذلك فقد تؤجل بداية السنة يوما أو يومين حسب الأحوال، فتصبح السنة اليهودية العادية 353 أو 354 أو 355 يوما، أما السنة الكبيسة فيزاد عليها شهر كامل فتصبح 383 أو 384 أو 385 يوما[1].

وهذا هو جدول التقويم اليهودي[2] حسب الشهور وما يقابلها من شهور ميلادية:

شهور السنة بالتقويم اليهودي	عدد الأيام	ما يقابلها بالشهور الميلادية
1-نيسان	30 يوما	آخر مارس-أفريل
2-أيار	29 يوما	آخر أفريل-ماي
3-سيوان	30 يوما	آخر ماي-جوان
4-تموز	29 يوما	آخر جوان-جويلية
5-آب	30 يوما	آخر جويلية-أوت
6-أيلول	29 يوما	آخر أوت
7-تشري	30 يوما	أكتوبر
8-حشفان	29 أو 30 يوما	آخر أكتوبر-نوفمبر
9-كسلو	29 أو 30 يوما	آخر نوفمبر-ديسمبر
10-طيبت	29 يوما	آخر ديسمبر-جانفي
11-شباط	30 يوما	آخر جانفي-فيفري
12-آذار	29 يوما	آخر فيفري-مارس

[1] المسيري، مرجع سابق، ص78.

[2] بوعمامة، مرجع سابق، ص141.

والملاحظ من خلال هذا الجدول أن بداية السنة عند اليهود تكون بشهر نيسان وليس بشهر آخر لما في هذا الشهر (نيسان) من أهمية خاصة لأنه الشهر الذي خرج فيه موسى –عليه السلام- باليهود من مصر هربا من فرعون وقومه وفيه عيد الفصح الذي يحتفل به إحياء لهذه الذكرى.

5-2-الأعياد اليهودية:

احتفل اليهود بأعيادهم في ظل الدولة الزيانية وكانت أعيادهم تتشابه مع بقية يهود العالم ومع يهود المغرب الإسلامي بصفة خاصة، ففي الحياة العامة احتفالات تذكارية، منها ما يخضع للتشريع العام "الحلخة Halakha" أي أنها أعياد شرعية، ومنها ما أصبح جزءا من الأعراف والعادات التي خلدتها الممارسات الطويلة القديمة[1]. بالإضافة إلى أنه كانت هناك أعياد خاصة بيهود المغرب الإسلامي.

5-2-1-الأعياد الشرعية:

وهي الأعياد المنصوص عليها في شرائعهم وهي خمسة.

أ-عيد رأس السنة: بالعبرية "روش هشاناه"، وهو عيد يحتفل به لمدة يومين في أول شهر "تشري"، وليس له ذكرى تاريخية معينة، كما أنه لا يعتبر أهم من الأعياد اليهودية الأخرى، إلا أنه اكتسب دلالة دينية وقدسية خاصة. فقد جاء في المشناه أنه اليوم الذي بدأ فيه الإله خلق العالم (ولكن، حسب رواية أخرى، بدأ خلق العالم في نيسان)[2]، وكذا فإنه يوم الحساب السنوي الذي تمر فيه كل المخلوقات جميعها أمام الله كقطيع من الغنم، لذا وجب على اليهودي أن يحاسب نفسه في هذا اليوم عما ارتكبه من ذنوب طوال العام فيكثر من الصلاة وقراءة التوراة.

---

[1] عطا علي ريه، يهود المغرب الأقصى، ص 103.

[2] المسيري، مرجع سابق، 83.

ومن عادات اليهود في هذا اليوم أكل العسل والتفاح وفواكه متعددة دلالة على تمني حياة حلوة في السنة الجديدة، ويكثر يهود المغرب الأوسط من أكل التمور، ويمنع استعمال الملح والخل والليمون، والزيتون الأسود الذي يستبدل بالأخضر، كما يحرم لبس الأسود ويستبدل بالأبيض، وهذه العادات كلها لجلب الخير والسعادة ودفع الحسد والعين[1].

ب-عيد الفصح: بالعبرية "بيساح" ويبدأ في الخامس من شهر "نيسان" ويستمر ثمانية أيام، ويحرم العمل في اليومين الأول والأخير، وتقام الاحتفالات طوال الأيام الثمانية، وعيد الفصح هو أول أعياد الحج اليهودية الثلاثة[2].

ويحتفل بهذا العيد تذكيرا لنجاة بني إسرائيل من العبودية لفرعون مصر إضافة إلى احتفالهم بقدوم الربيع.

وتبدأ طقوس هذا اليوم بالبحث عن الخميرة في البيت والتأكد من إبعادها تماما منه. ويأكل الخبز دون إضافة ملح أو خميرة تذكيرا لهم بأنهم وقت خروجهم مع موسى –علية السلام- لم يكن لهم وقت للتأنق في الأكل وانتظار العجين حتى يتخمر، وكل من يأكل خبزا مخمرا وكأنه فصل نفسه عن الدين اليهودي[3].

ويخرج اليهود من بيوتهم ويسكنون البراري تذكيرا بسكناهم الصحراء بعد الخروج من مصر[4]. وفي بلاد المغرب يمثلون هذا المشهد بوضع العصي التي في آخرها صرر مربوطة على ظهورهم، والخروج من بيوتهم وهم يتلون مقاطع التوراة المصورة لمشهد الخروج من مصر.

[1] Chouraqui, Marche vers l’occident, op. cit., P173

[2] المسيري، مرجع سابق، 86.

[3] غازي السعدي، مرجع سابق، ص 15،

[4] موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، ص 653.

ويحضر يهود الجزائر في هذا اليوم شربة الخضر المعروف "بالسقية"، كما يضعون على المائدة خمسة أقداح من النبيذ يشرب أفراد الأسرة أربعة منها فقط ويترك الخامس دون أن يلمسه أحد لأنه كأس النبي "إيليا" الذي سينزل من السماء قبل قدوم المسيح المخلص[1].

وهذا العيد قد يجلب متاعب كثيرة لليهود، إذ بمجرد اختفاء طفل من المجتمعات المجاورة لهم من غير اليهود في فترة هذا العيد، فإنهم يتهمون بقتله، لأن الفطيرة يدخل في عجنها دماء بشرية من ضحية يقتلونها من غير اليهود ويستحسن أن تكون من المسيحيين أو المسلمين[2].

ج-عيد يوم الغفران: بالعبرية "يوم كيبور"، وكلمة كيبور من أصل بابلي ومعناها "يطهر"، والترجمة الحرفية للعبارة العبرية "يوم الكفارة". ويوم الغفران يوم صوم، ولكنه مع هذا أضيف على أنه عيد، فهو أهم الأيام المقدسة عند اليهود على الإطلاق فيطلق عليه اسم "سبت الأسبات" ويقع في اليوم التاسع من تشري[3].ويبدأ الاحتفال بهذا العيد قبل غروب شمس اليوم التاسع من تشري ويستمر إلى ما بعد غروب اليوم التالي، أي حوالي 25 ساعة يصوم اليهود خلالها ليلا ونهارا، ولا يقومون بعمل آخر غير التعبد[4].

ويذبح يهود المغرب الإسلامي في هذا العيد الطيور ذات الريش الأبيض ويفضل الدجاج رمز الطهارة والغفران، وينتهي الصوم بتناول الحلويات، مثل حلوة "البولو" المصنوعة بالزبيب، أو خبز الجوز[5].

---

[1] Chouraqui, Marche vers l’occident, P174..145انظر كذلك بوعمامة، المرجع السابق، ص

[2] عطا علي ريه، مرجع سابق، ص 106.

[3] المسيري، مرجع سابق، ص 83.

[4] غازي السعدي، مرجع سابق، ص 12.

[5] Chouraqui, op. cit., P173

وقد جعل اليهود من يوم الغفران أو التكفير هذا يوما يعلنون فيه نقضهم للعهود التي قطعوها لغير اليهود، ويختتم الاحتفال في اليوم التالي بصلاة النعيلة التي تعلن أن السماوات قد أغلقت أبوابها، وبمجرد ما ينتهي الاحتفال بهذا اليوم يبدأ الاحتفال بعيد الظلل[1].

د-عيد الظلل أو المظال: بالعبرية العرش سكوت، وسُمي هذا العيد على مدى التاريخ بعدة مسميات من بينها "عيد السلام" و"عيد البهجة"، وهو يبدأ في الخامس عشر من شهر تشري، ومدته سبعة أيام بعد يوم الغفران[2].

ومناسبته التاريخية هي إحياء ذكرى الخيمة التي آوت بني إسرائيل في العراء بعد الهجرة فهي تذكرهم بأيام التيه، والتقليد عند اليهود في هذا العيد هو أن يقيموا في أكواخ مصنوعة من أغصان الشجر في الخلاء تدعى "سوكاه" ويصلون من أجل سقوط الأمطار بعد الصيف الجاف[3].

وليلة السابع من عيد المظال ليلة مقدسة عند اليهود المغاربة حيث يقرأون التوراة ويحضرها الأطفال الذين يسهرون، ثم يبدأون في التسلل إلى الخارج كبارا وصغارا لمراقبة السماء لعلهم يباغتون اللحظة التي تنكشف فيها تلك الليلة فتحقق أمنياتهم[4]، وفي الليلتين الأخيرتين تفك المظلة وتضرم فيها النار، ويدعون الأطفال للقفز فوقها مرددين كثيرا من الصلوات والتعاويذ عكس ما يجري في المشرق حيث يضربون الأغصان على الكراسي في البيعة حتى تتساقط أوراقها كلها، اعتقادا منهم أن ذنوبهم التي ارتكبوها خلال السنة تتساقط مع تساقط هذه الأوراق[5]، لذا فإنهم لا ينفكون يكذبون ويغشون طوال السنة انتظارا لهذا العيد الذي تمحى فيه ذنوبهم.

---

[1] عطا علي ريه، مرجع سابق، ص 117.

[2] المسيري، مرجع سابق، ص 83.

[3] غازي السعدي، مرجع سابق، ص 13.

[4] حاييم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود في المغرب، ص 252-253.

[5] حسن ظاظا، الفكر اليهودي، ص 162، حاييم الزعفراني، المرجع السابق، ص 254-255.

ومن الأطباق المشهورة في هذا العيد ببلاد المغرب الكسكسي الذي تسهر النساء لإعداده بهذه المناسبة[1]، إضافة إلى شربة الفول والخبز المدقوق ممزوجا بالحليب والعسل رمز التوراة[2].

هـ-عيد الأسابيع أو عيد الحصاد: ويشار إليه بالعبرية بكلمة "شفوعوت" أي الأسابيع، وهو أحد الأعياد اليهودية المهمة، وهو ثالث أيام الحج عند اليهود إلى جانب عيد الفصح وعيد المظال، ويأتي هذا العيد بعد سبعة أسابيع من عيد الفصح ومن هنا جاءت تسميته، ومدته يومان هما السادس والسابع من شهر سيوان[3].

ومن وجوب تعظيم هذا اليوم عند اليهود عدُّ الأيام من أول الأعياد إليه كمن ينتظر وصول أحب الناس إليه[4].

والمناسبة التاريخية لهذا العيد هي نزول التوراة والوصايا العشر على موسى -عليه السلام- فوق جبل سيناء[5].

وهذا العيد عام عند اليهود، ويعرف بعيد الحصاد لأن اليهود يقدمون أبكار غلات أراضيهم إلى معابدهم كما أمرتهم التوراة، وتحيى السهرات حتى مطلع الفجر، فتقرأ نصوص مختارة من العهد القديم ومن المشنا والزوهار، وترتل الأناشيد في البيعة أو البيت بمشاركة الأطفال وتوزع الحلويات والفواكه، وفي البيعة تقرأ أشعار "سلمون بن كبرول" و "يهودا اللاوي" و "إسحاق بن روبين البرشلوني"[6]، وتقام صلاة الهدية بعد الظهر حيث يقرأ كل يهودي فقرة من النصوص السابقة ويصحح له الحاضرون في حال ارتكابه خطأ مهما أثناء القراءة، ومن يختم القصيدة يبلل بالماء كلية[7]. ومن

---

[1] حاييم الزعفراني، ألف سنة، ص 254.

[2] Chouraqui, Marche vers l’oocident, P173. حسن ظاظا، المرجع السابق، ص 169-170

[3] المسيري، مرجع سابق، ص 89.

[4] موسى بن ميمون، مصدر سابق، ص 651.

[5] المسيري، مرجع سابق، ص 89.

[6] عطا علي ريه، مرجع سابق، ص 110.

[7] المرجع نفسه، ص 110-111.

عادات هذا اليوم المنتشرة في بلاد المغرب رش الأطفال بعضهم البعض بالماء بواسطة مضخات صغيرة صنعت لهذا الغرض فلا يعودون إلى بيوتهم إلا وقد ابتلوا تماما، ومرور السقاة على البيوت ورش صحون الدور بالماء فيتسابق السكان إلى الأدوار العليا، ويفرغون الماء على الأرض بواسطة قرن ثور، وتسكب على السقاة أوعية الماء من أعلى ويرمى لهم الخبز وبعض النقود[1].

5-2-2-الأعياد غير الشرعية:

وهي الأعياد التي لم ترد في التوراة وهي ذكرى لبعض مراحل التاريخ اليهودي ومنها[2]:

أ-عيد النصيب: وهو الاسم العربي لعيد البوريم وهي كلمة عبرية مشتقة من كلمة "بور"البابلية التي تعني القرعة أي النصيب، وسمى العرب هذا العيد "عيد الشجرة" أو "عيد المساخر". ويحتفل به في الرابع عشر من آذار وهو ذكرى لليوم الذي أنقذت فيه إستير(زوجة أحد ملوك الفرس) يهود فارس من المؤامرات التي دبرها هامان لذبحهم[3].

ويحتفل اليهود بهذا العيد بالإسراف في الشراب إلى حد يصبحون فيه غير قادرين على التفريق بين الدعاء على هامان أو عليه، ولهذا سماه العرب عيد المسخرة[4].

وفي بلاد المغرب تقام قبل غروب الشمس وليمة كبرى وفي الصباح وأثناء الصلاة تنتقل بينهم كأس بوريم "تست بوريم" لكي يلقي فيه كل واحد من الحضور ما استطاع من نقود ويقدم بعض ما جمع ل(نستريم) أي لمستحقيه من اليهود الفقراء المجهولين والبعض الآخر من هذه النقود كان يفتدى به الأسرى[5].

---

[1] حاييم الزعفراني، ألف سنة، ص 248-251.

[2] بوعمامة، مرجع سابق، ص 145.

[3] المسيري، مرجع سابق، ص 85.

[4] غازي السعدي، مرجع سابق، ص 14، المسيري، مرجع سابق، ص 85.

[5] عطا علي ريه، مرجع سابق، ص 122، انظر كذلك حاييم الزعفراني، ألف سنة، ص 259.

وتصنع في هذا العيد الحلويات وتوزع على الفقراء، وفي ليلة هذا العيد يصنع فطير محشي بالتمر، وكذلك قمح مدقوق ممزوج باللبن، وفي آخر النهار يحضرون السمك واللحم بالخضر والدجاج ويضيفون عليه رغائف صغيرة من الخبز محشية ببيضة مسلوقة وتسمى "عين عمان"[1] وهي ذكرى لتحطيم المعبد، وجلب النحس لبني إسرائيل[2].

ب-عيد التدشين: بالعبرية "حانوخه" أو "حانوكة"، ويستمر هذا العيد ثمانية أيام بدءا من الخامس والعشرين من كسلو حتى اليوم الثالث من طيبت، ومناسبته التاريخية دخول يهودا الحشموني (أو المكابي) القدس وإعادته الشعائر اليهودية في الهيكل ومن هنا كانت تسميته التدشين[3].

ويقال إن يهود المكابي حينما دخل الهيكل وجد أن الزيت الطاهر أي الذي يحمل ختم كبير الكهنة لا يكفي إلا ليوم واحد وكان من الضروري أن تمر ثمانية أيام قبل إعداد زيت جديد كما تنص التوراة، فحدثت المعجزة واستمر الزيت في الاحتراق لمدة ثمانية أيام بدلا من يوم واحد، لهذا صمم لهذا اليوم شمعدان خاص من تسعة فروع[4].

ويحتفل في هذا العيد بإعداد الطعام والأفراح واللهو ويعد "الحانوكة" مناسبة للألعاب والتسلية للأطفال[5] وتشعل الشموع أمام مدخل البيت لذا يسمى كذلك "عيد الأنوار". ثم يصلي اليهود ويقرأون سفر الخروج ويباركون الطعام قبل تناوله، ويصنعون أكلا مميزا في هذا اليوم وهو المعمول

---

[1] عند المسيري الفطيرة هذه تسمى "أذن هامان" إمعانا لليهود في الانتقام من هامان وزير فرعون، انظر المسيري، الموسوعة، ص 85.

[2] بوعمامة، مرجع سابق، ص 146، انظر كذلك Chouraqui, Marche vers l’occident, P 174

[3] المسيري، مرجع سابق، ص 84.

[4] غازي السعدي، مرجع سابق، ص 14.

[5] عطا علي ريه، مرجع سابق، ص 118.

بالقمح والزيت المحروق، وكذا الكسكسي بالدجاج والسفيري (وهو نوع من السفنج بالعسل) والمقروط بالعسل[1].

-يوم السبت: يكتسي يوم السبت أهمية خاصة عند يهود العالم بما فيهم يهود الدولة الزيانية، فهو في نظرهم يوم مقدس ولا يمكن بأي حال من الأحوال التنازل عن إبداء مظاهر الاحتفال والتقديس له، لأنه حسب اعتقادهم اليوم الذي استراح فيه الإله من خلق السماوات والأرض لذلك فهم يحرمون فيه العمل ويجعلونه يوما للراحة والعبادة[2].

ومن خصوصيات الاحتفال بهذا اليوم في بلاد المغرب أن هناك عشرة أوامر ينبغي على اليهودي القيام بها، وتبدأ بغسل اليدين وإعداد خبزتين لكل وجبة من الوجبات الثلاث التي يتناولونها، ويلي ذلك غسل المصابيح التي تنير مائدة الطعان ثم مباركة كأس الخمر التي تفتح بها الوجبة، وعند بدء الطعام تبدأ مدارسة التوراة في أثناء الجلوس حول المائدة والدعاء والتسبيح وأخيرا شرب كأس الخمر الأخير[3]. وتمثل الخبزتان المتناولتان في الوجبة الشريعتين اللتين أنزلتا في يوم السبت، فالخبزة الأولى تمثل الشريعة المكتوبة، والخبزة الثانية الشريعة الشفوية، ويعتقد اليهود أن نار جهنم تخبو في يوم السبت فلا تحرق شيئا. ويبدأ الاحتفال بيوم السبت بعد الظهر من كل جمعة ويستمر إلى ما بعد الغروب من يوم السبت[4].

---

[1] بوعمامة، مرجع سابق، ص 146. انظر كذلك Joseph Taledano, Les Juifs Magrébins, Editions Brepols, Belgique, 1988, P 152.

[2] موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، ص 650.

[3] حاييم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود، ص 229-230.

[4] عطا علي ريه، اليهود في المغرب الأقصى، ص 115.

3-2-5-بعض الأعياد الخاصة بيهود المغرب الإسلامي:

إلى جانب احتفال يهود الدولة الزيانية بالأعياد الشرعية وغير الشرعية والتي يشتركون فيها مع يهود العالم، إلا أن هناك عيدان خاصان بيهود المغرب الإسلامي وظهرا بعد انتشار الحركة الصوفية القبالية وظهور كتاب الزوهار[1] خاصة في مطلع القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وهما:

أ-الهيلولة:

وهي مناسبة يحتفل بها بالأولياء وأصحاب الكرامات، أشهرها هيلولة الرابي "شمعون باريوشع" وهو من أشهر القبالين يحتفل به في كل بلاد المغرب الإسلامي في 18 أيار، وفي مدينة تلمسان الزيانية كان اليهود يحجون في هذا العيد إلى ضريح الحبر "أفرايم أنقاوة " الذي أصبح في بداية النصف الثاني من القرن العشرين أكبر مزار لليهود في العالم ولا يزال مقصد زوارهم[2].

وقد ابتدأ احتفالهم بهذا العيد منذ وفاة هذا الحبر سنة 1444م، ومنذ ذلك الوقت وهم يعتبرونه وليا صالحا يلقون عند قبره همومهم ويسألون أمانيهم، ويتوسلون به وذلك بعد ثلاثة وثلاثين يوما من انتهاء عيد الفصح، وتقام عند قبره الاحتفالات والأناشيد المتبوعة بطقوس دينية معينة، وهي فرصة عندهم لقضاء ساعات من المرح بعيدا عن انشغالات الحياة اليومية[3].

وخلال هذه الزيارات يقيم اليهود طقوسهم المألوفة وبعض ما نقلوه من الاحتفالات الصوفية لدى أهل المنطقة، حيث يقرأون التوراة وكتاب القبالاه ويشعلون الشموع ويقيمون الصلوات ثم يغنون بصوت مرتفع لجلب القوات الخفية التي تخلصهم من متاعبهم وأمراضهم -حسب اعتقادهم-

---

[1] الزوهار كلمة عبرية تعني "الإشراق أو الضياء" وكتاب الزوهار هو أهم كتب التراث القبالي، وهو عبارة عن تعليق صوفي مكتوب باللغة الآرامية والعبرية على "المعنى الباطني" للعهد القديم، وينسب إلى الحاخام سيمون بن يوحان، ولكن يقال إن "موسى بن =ليون" مكتشف كتاب الزوهار في القرن الثالث عشر ميلادي وهو مؤلفه الحقيقي، انظر المسيري، الموسوعة، ص 206، أسعد رزوق، التلمود والصهيونية، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، 1970، ص183.

[2] شاوش، باقة السوسان، مرجع سابق، ج2، ص41.

[3] Allouche et Laloum, Les Juifs d’Algérie, op. cit., P 136.

ويتبعون الأغاني برقصات صوفية ويطلقون صرخات قوية كلما ازداد حماسهم معتقدين أن روح الولي الصالح ستزورهم في منتصف الليل وتستجيب دعاءهم، ثم يسهر الحاخامات بقية الليل في قراءة الزوهار والأناشيد والصلاة[1].

ب-الميمونة:

يقال إن كلمة "الميمونة" تعود إلى كلمة "ميمون" العربية بمعنى" السعيد"، و"الميمونة" احتفال يعقده يهود المغرب، وكثير من العرب اليهود في آخر يوم من أيام عيد الفصح. وهو اليوم الذي يوافق ذكرى وفاة ميمون بن يوسف (والد موسى بن ميمون) الذي عاش في فاس لبعض الوقت[2]. وهناك من يفسر الميمونة أنها تحريف لكلمة يوم أمونة أي يوم الإيمان، وذلك حسب ما جاء في التلمود: "أن أبناء إسرائيل تم تحريرهم من الأسر في شهر نيسان، وسوف يحررون مستقبلا في نفس هذا الشهر"[3]. ولما مرّ الوقت ولم يظهر المسيح وحتى يبعد اليهود اليأس عنهم وحتى لا يفقدوا الأمل جعلوا من هذا اليوم يوم عيد يحتفلون به بعد الانتهاء من الاحتفال بعيد الفصح. وهو مرحلة لحياة جديدة إذ يحتفل بهذا العيد برموز السعادة، فيتركون أبواب بيوتهم مفتوحة لجلب السعادة والرخاء والبركة، ويرتدون ملابس الأعياد والمناسبات ويتبادلون التهاني "تربحوا وتسعدوا"[4]. ومن أنواع المأكولات التي يتناولها اليهود في هذا اليوم طبق السمك الطازج المغلف بأوراق خضراء مزينا بخمس حبات فول وبلح وخمس بيضات ويوضع الكل داخل الدقيق، كما يحضر طبق البغرير (الموفليتة)[5]. كما توضع آنية بها أكاليل

---

[1] Allouche et Laloum, op. cit., P 136. Chouraqui, op. cit., P 217 انظر بوعمامة، مرجع سابق، ص146.

[2] المسيري، مرجع سابق، ص 88.

[3] عمر أمين مصالحة، التلمود المرجعية اليهودية للتشريعات الدينية والاجتماعية، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 2006م، ص 176

[4] بوعمامة، مرجع سابق، ص 147.

[5] Chouraqui, Marche vers l'oocident, op. cit., P 217, 88 المسيري، مرجع سابق، ص

أوراق الشجر والزهور، وغصون شجر التين وسنابل القمح ويتضمن الطعام خسًّا يغمس في العسل واللبن المخيض[1]. وفي عيد الميمونة يذهب اليهود إلى النهر أو منبع الماء لغسل أيديهم وأرجلهم[2].

بعد هذه النظرة حول التواجد اليهودي في العهد الزياني نرى أن اليهود حاولوا الانسجام مع المجتمع والتزامهم بالمحافظة على عاداتهم وتقاليدهم التي توارثوها منذ القديم، وقد انقسموا في ذلك العهد إلى أهالي ومهاجرين اندمجوا مع مرور الأيام مع بعضهم البعض، فشكلوا كتلة واحدة، هذا مع انتشارهم على كامل المدن الزيانية خاصة الساحلية منها، نظرا لما كانت تدره عليهم من عائدات مالية، ووجود البعض منهم الذين فضلوا المدن الداخلية لأسباب مختلفة، وقد حافظ اليهود على انتظامهم في تجمعات سكنية موحدة تسهل عليهم القيام بطقوسهم الدينية بصفة منتظمة وتجنب الاحتكاك مع المسلمين، هذا وقد كانت لليهود عادات خاصة بالطعام واللباس غير أنهم تأثروا بالعادات الغذائية ولباس المجتمع الذي ساكنوه لمدة قرون.

والتزم اليهود بتشريعات خاصة لتنظيم مجتمعهم، فنظموا تشريعات الزواج وحددوا أحكامه وإجراءاته، ورفض أوائلهم تعدد الزوجات ووضعوا عليه قيودا قاسية لتجنيب التساهل فيه، مثله مثل الطلاق الذي تشددوا فيه كذلك ولم يجيزوه إلا في حالات وتحت ظروف معينة وبإجراءات خاصة، علما أن بعض التشريعات المتعلقة بالزواج قد تم تعديلها بعد قدوم الأحبار الأندلسيين منذ نهاية القرن الثامن هجري، الرابع عشر ميلادي فيما يسمى بتقنوت مدينة الجزائر، وأصبحت هي الحكم في قضايا الزواج والطلاق والنفقة وغيرها، بعد أن كان يهود الدولة الزيانية يحتكمون فيها إلى المحاكم الإسلامية وهو ما اعتبره هؤلاء المشرعون خيانة وخروجا عن تعليمات الديانة اليهودية وأنزلوا على مخالفيها أحكاما عقابية.

[1] المسيري، مرجع سابق، ص 88.

[2] حاييم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود، ص 243-244.

وأعطى اليهود للختان أهمية بالغة في حياة الطفل إذ يعد بالنسبة لهم يوما مقدسا يحتفل فيه لأنه تعبير حسبهم على بركة الله على هذا الطفل المختن، كما تناولت تشريعاتهم الميراث لكن اختلفت بين تشريعات اليهود الأهالي التي كانت مختلفة عن تشريعات القانون القشتالي.

وفيما يخص التقويم اليهودي فإن اليهود خالفوا المسلمين والمسيحيين في تقويماتهم وجعلوا لأنفسهم تقويما خاصا يبدأ حسبهم بما يسمى خلق العالم، وحتى الأشهر جاءت مخالفة سواء للتقويم الشمسي أو القمري، أما عن أعياد اليهود فإنهم اشتركوا مع بني جلدتهم في الأعياد العامة التي كان يحييها اليهود عبر كافة بلدان العالم، منها الأعياد الشرعية التي تمليها عليهم كتبهم المقدسة، وأعياد غير شرعية جاءت نتيجة أحداث أو تيمنا بمناسبة من المناسبات، واختص يهود المغرب الإسلامي بأعياد خاصة منها عيد الهيلولة والميمونة، وبعض الاحتفالات بأحبارهم وتقديس ذكراهم وزيارة قبورهم التي لا يزال بعضها محل زيارة وتبرك إلى اليوم .

عرفت الدولة الزيانية خلال فترة سيادتها على المغرب الأوسط تواجدا هاما لأهل الذمة، من مسيحيين ويهود، حيث انحصر التواجد المسيحيين في فئتين: أولاهما هي فئة التجار المقيمين في أحياء خاصة تصعب من مهمة التعرف عليهم عن كثب واستقراء تركيبتهم الاجتماعية، حيث لا تورد معظم المصادر والوثائق المتوفرة إلا تعاملاتهم الاقتصادية وعلاقاتهم التجارية مع السلطة الزيانية. والفئة الثانية هي شريحة الخدم في القصور أو الأسرى القابعين في سجون الدولة والذين تقع على عاتقهم الأعمال الكبرى، يضاف إليها الجنود الذين استعملتهم السلطة كميليشيات في بعض العصور ولا نتوفر على أي معلومات تخصهم.

إذن فهذه الوثائق قد أهملت الجوانب الاجتماعية لهذه الفئات بصفة كبيرة، وبسبب قلة المعلومات المتوفرة عن العنصر المسيحي، فإننا نرى أنفسنا مضطرين أن نقتصر في هذا الفصل عن الجانب الاجتماعي لأهل الذمة على الحديث عن العنصر اليهودي وتركيبته الاجتماعية وبعض العادات المتعلقة به، مع إيراد ما توفر عن تواجد المسيحيين التجار على أراضي الدولة الزيانية.

الفصل الرابع

النشاط الفكري والعلمي لأهل الذمة

1-التربية والعلوم عند اليهود

2-العلوم عند أهل الذمة

3-أبرز علماء أهل الذمة

إن الحديث عن ثقافة ذمية بالمعنى الكامل في المغرب الإسلامي وبالذات في عصر الدولة الزيانية هو نوع من البحث في أعماق سحيقة غائرة، لقلة المصادر التي تتحدث عن هذا الموضوع لأن الواقع الثقافي الذمي كان فقيرا للغاية في ذلك العهد فالعلماء الذميون يعدون على أصابع اليد، شأنهم في ذلك شأن العرب والمسلمين لذلك الوقت الذي بدأ يشهد انحطاطا في كامل مناحي الحياة خاصة ما تعلق منها بالحياة الثقافية والعلوم، لهذا سنحاول أن نقصر حديثنا في هذا الفصل على أساليب التربية والعلوم، ثم محاولة رصد أهم العلوم عند اليهود لأنهم أبرز من ظهر على الصعيد العلمي عكس النصارى الذين كما أسلفنا في الفصول السابقة اقتصر ظهورهم على بعض التمثيل الدبلوماسي أو المجال الاقتصادي لعملهم في التجارة بصفة أكثر.

1-التربية والعلوم عند اليهود:

1-1-نظرية التعليم عند اليهود

لعب التعليم الديني دورا مهما في حياة اليهود بالشمال الإفريقي، كما حرصوا على إحياء لغتهم التي اندثرت، ومنذ القرن 4هـ/10م تأسست مدارس تلمودية في المدن ذات التجمعات اليهودية الكبيرة في بلاد المغرب الإسلامي مثل القيروان وتلمسان وسجلماسة، وعلى الغالب أن هذه المدارس كانت ملحقة بالمعابد مثلما كان الكُتّاب الإسلامي ملحقا بالمساجد[1].

وظهرت مدارس القيروان وفاس كما ازدهرت أحد المدارس الربانية بسجلماسة منذ القرن الرابع هجري إلى أن خربها الموحدون في منتصف القرن السادس فرثاها ربي يهودي:" بكيت مثل المرأة في أسى للشر الذي أحدق بالمجتمع في سجلماسة هذه المدينة التي تشتهر بالعلماء والحكماء وبالضوء الذي حجب مع العتمة والظلام...هذا الصرح الكبير خمد كجثة هامدة، ودنست المشنا وديست بالأقدام"[2].

وألّف كثير من علماء اليهود كتبا تتحدث عن طرق التعليم والتربية ولعل كثيرا منهم قد استنبطوها من مؤلفات العلماء المسلمين خاصة في الأندلس التي كانت تزخر بعلماء أفذاذ أدوا أدوارا عظيمة في التنظير لسبل وطرائق التربية والتعليم، ومن بين أكابر علماء اليهود الذين أخذوا هذه الطرق الحبر يهودا بن صاموئيل بن عباس المعروف لدى المسلمين بأبي البقاء بن يحيى بن عباس المغربي الأندلسي رسالة في التعليم وتكلم عن الطريقة المثلى لذلك وقد أوردها ابنه السموأل ويمكن إيجازها فيما يلي: في سنّ الثالثة يبدأ الطفل بتعلّم القراءة، وفي الرّابعة والنّصف يدرس الأبواب الأولى من التوراة. وعندما يصل الطفل سنّ السادسة والنصف عليه أن يدرس أسفار موسى الخمسة متبوعة

---

[1] عبد الرحمن بشير، اليهود في المغرب العربي، ص 139.

[2] Nahum.Slousch, Travels in North Africa, The Jewish Publication Society of America, Philadelphia, 1927, P 347.

بالترجمة الآرامية التي تُعدُّ مدخلاً لدراسةِ التلمود، وبعدها تأتي دراسة أسفار الأنبياء. وحينما يصل الطفل الثالثة عشرة تبدأ عملية تدريسه النحو من كتب المتخصصين في هذا الميدان كابن جناح، وداود القمحي، ويهود حيوز، وأبراهام بن عِزرا، وذلك بالموازاة مع دراسة التلمود، حيث يبدأ التلميذ بالفصل البابلي. وفي الثامنة عشرة يتزوّج الطالب، وحينئذٍ يشتغل بدراسة العلوم كالطب والفلسفة والفلك والميكانيكا والموسيقى، وتُدرس جُلُّ هذه المواد من كتب علماء المسلمين[1].

وتتوج معارف المتعلم برياض الفلسفة الحق، فيتروض بعلم الإلهيات الذي يصبح منتهى تأملاته ليل نهار، فينعم ببلوغ غاية النظر والمعارف وهي حظوة لا يبلغها إلا القلة ممن حباهم الله بفضله ويصدق فيه قول أشعياء:"عليه ستنزل الروح الإلهية، روح الحكمة ونفاذ البصيرة، روح النصيحة والقوة، روح العلم وخشية الله."[2]

وفي التربية النظرية أيضاً، أَلَّفَ الحبر اليهودي يوسف بن أكنين كتاب "طب النفوس" باللغةِ العربية، وكتبه بالحروف العبرية، وتحدث فيه عن المعلم المثالي، والتلميذ النجيب. وأَفردَ الفصل السابعِ عشر لفضائل المعلم والتلميذ، وهو على ما يبدو قد اطلع على كتاب محمد بن سحنون "آداب المعلمين". وتأثر به، وأخذ عنه في كثيرٍ من الفصول[3].

وكانت المدارس اليهودية تحمل اسم "الحِدر" أو "الصلاة" أو "المدرسة"، أو تلحق بمنزل أحد اليهود إذا كانت المدينة خالية من معبد أو كنيسة[4]. ويتم فيها التعليم بالطريقة التقليدية التي تشبه طريقة التعلم لدى المسلمين في الكتاتيب، ويغلب عليها طابع الحفظ والاستذكار وتهتم بتعليم

---

[1] مسعود كواتي، اليهود في المغرب، ص157.

[2] حاييم الزعفراني، يهود الأندلس والمغرب، ص 117.

[3] كواتي، المرجع السابق، ص157.

[4] حاييم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، ص 61.

الأطفال بين سن الثالثة والسابعة أو بين الرابعة والثامنة القراءة والكتابة[1]، ثم أسس الديانة اليهودية كقراءة الكتاب المقدس، وبعض أجزاء من أسفار موسى الخمسة، وكتب الأنبياء وكتب الحكمة والأمثال وتلاوة الأدعية الدينية، كما يتم تعليم الأطفال الصلوات والعبادات حتى تثبت في أذهانهم الروح الدينية، ويشرح لهم المعلم ما حفظوه من الكتاب بلغتهم اليومية من غير أن يكونوا قد درسوا النحو والتاريخ، والمطلوب من التلميذ في هذه المرحلة معرفة القراءة لكي يتم إعداده للمشاركة في شعائر المعبد[2]، وتكون القراءة مجودة ويقوم الطفل بتحريك جسمه أثناء التعلم حتى يسهل عليه الحفظ والاستيعاب، ويكون التعليم في هذه المرحلة معظمه شفويا. ويخصص مساء كل يوم خميس لقراءة فقرات من كتب الأنبياء التي تسمى "هفتار" بالعبرية، أما يوم الجمعة فيخصص لتعليم الكتابة.[3]

وكان التعليم يتم بالعبرية أو بالعربية التي كانت تكتب بالحروف العبرية غالبا، إذ أن استعمال اللغة العبرية بقي محصورا في الدراسات المقدسة والشعائر الدينية، ومحدودا فقط بين فئات معينة من المجتمع كما هو الحال بالنسبة للتعليم الذي اقتصر على الطبقة الميسورة[4].

واقتصر التعليم في هذا العهد على الذكور دون الإناث ولا يسمح اليهود للمرأة بالالتحاق بالمدارس الدينية، وهي في شريعتهم خفيفة عقل. فقد جاء على لسان الحاخام أليعازر:"كل من يُعلِّم

[1] فوزي سعد الله، يهود الجزائر، ص 211.

[2] الزعفراني، المرجع السابق، ص 67.

[3] فاطمة بوعمامة، اليهود في المغرب الإسلامي، ص 160.

[4] Joëlle Allouch-Benayoun et Doris Bensimon, Les Juifs d’Algérie, hier et aujourd’hui, Mémoire et identité, Bibliothèque historique Privat, Toulouse, France, 1989, P 14.

ابنته التوراة، فكأنمَّا يعلمها السخافة"[1]. غير أنه وجدت بعض النساء اليهوديات المتعلمات على أيدي آبائهن أو إخوانهن أو أزواجهن في البيوت وليس في المدارس.[2]

1-2-المدارس اليهودية ومضامينها:

وتشبه المدرسة اليهودية الكتاب الإسلامي حتى في شكلها وتكوينها ومحتوياتها، إذ أنها عبارة عن غرفة صغيرة في الطابق التحت أرضي أو طابق في منزل، تتخللها كوات ضيقة تفتح صيفا وتقفل شتاء، يكون عدد التلاميذ فيها بين مائة ومائة وخمسين فردا، وبسبب هذا العدد الكبير يكون الجو خانقا داخل الغرفة، ويعاني فيه التلاميذ من مختلف الأمراض كالجرب والرمد، ويجلس هؤلاء مجموعات مجموعات على أرضية مفروشة بالحصير المصنوع من الحلفاء أو القش، يجلس المعلم القرفصاء مستندا إلى جدار قرب الباب يراقب المجموعة ويشرف على تعليمها، حاملا سوطه المرهب للتلاميذ، وقد يسير بين المجموعات من حين لآخر مرتديا جلبابه الأسود والشال الأزرق بخطوطه البيضاء، وتضاء الغرفة في الليل بقناديل الزيت أو الشمع. ويساعد المعلم في مهنته "الحزان" الذي يصحب التلاميذ إلى بيوتهم ويحرسهم في الطريق والمدرسة[3].

وكان هذا الطاقم التعليمي المتواضع يأخذ أجرته من الجماعة اليهودية أو الآباء، أو علاوة تسمى خبز المعلم كل يوم جمعة[4]. ويبقى الطفل في التعليم الابتدائي حتى يبلغ سن الثالثة عشر، ويحتفل بنهاية التعليم الابتدائي في البيعة، ويسمى هذا الحفل "بار مطوع" Bar Mitiva.[5]

[1] ظفر الإسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه، ص58.

[2] Abrahams Israël, Jewish life in the middle-ages, op. cit., P 342-343.

[3] Haïm Zafrani, Deux mille ans de vie juive au Maroc, P 62.

[4] Abrahams Israël, op. cit., P 349.

[5] بوعمامة، المرجع السابق، ص 161.

ثم ينتقل التلميذ إلى مستوى تعليمي أعلى يماثل التعليم الثانوي الحالي، ويسمى بالعبرية "بيت همدراش" وتعني دار الدراسات الحاخامية العليا، وهي أعلى مرحلة تعليمية موجهة خصيصا للمثقفين ثقافة عالية[1]، وكان الأولاد المنتظمون في الدراسة يصلون إلى دراسة التلمود عندما يبلغون الثالثة عشرة من العمر، وتستمر دراستهم له مدة ثلاث سنوات، ينتقلون بعدها إلى دراسة المسائل الفقهية بعمق أكبر[2]. وذلك إعدادا لهم لاستلام مناصب الحاخامات.

وإذا ما أكمل الطالب الطور السابق "بيت همدراش" فإنه ينتقل إلى طور أعلى خاص بالتعليم العالي للأحبار وذلك عبر انتقاله إلى إحدى المدارس العلمية كمدرسة بابل، ويسمى هذا الطور بالعبرية "ياشيفاه" وفيه يتعمق الطلاب في دراسة التلمود والعلوم العقلية[3]، وممارسة الجدل، وإظهار قدرته على التأويل، وعند التخرج يمنح الطالب لقب "حبر" وقد دخل هذا الطور من التعليم إلى بلاد المغرب الإسلامي مع هجرة يهود الأندلس ونموذج من مدارس الياشيفاه هو مدرسة "أسير بن يحيل" في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، وتعتبر إرثا للمدرسة الأندلسية التي نقلها الربيون القشتاليون إلى بلاد المغرب[4].

وفي عهد الدولة الزيانية بنيت كنيسة في نفس الحي الذي بنى فيه الربي أفرايم أنقاوة كنيسا يحمل اسما عندما قدم إلى مدينة تلمسان وسمح حاكمها لليهود بالسكن بجنب قصره، هذه الكنيسة

---

1 جواتياين، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص 117.

2 Ashtor, The Jews, Vol 3, P 95.

3 عبد الرزاق أحمد قنديل، الأثر الإسلامي في الفكر اليهودي، دار التراث، القاهرة، 1983م، ص 162.

4 بوعمامة، مرجع سابق، ص 162.

الثانية كانت موجهة للتعليم العالي لشريعة موسى، بانيها لم يكن إلا ابن الربي أنقاوة واسمه "إسرائيل Israel" وأطلق على هذه المدرسة اسم "Masria "[1].

وبعدها حوالي سنة 1486م أتى الربي "هلال بن صيدون Halèl Ben Sidoun" الذي خلف الربي أنقاوة ليبني كذلك كنيسة في مدينة تلمسان تحمل اسمه في الحي المسمى "الدريبة Doriba" وذلك نظرا لتزايد أعداد اليهود في المدينة والحاجة إلى بناء مرافق تعليمية جديدة لاستيعابهم.[2]

ويتوجه التلاميذ الذين لم يكملوا تعليمهم إلى مهن أخرى، إذ أنَّ معظم الطُلاَّب المزاولين للدراسة النظامية كانوا ينسحبون في أعمارٍ صغيرةٍ، غير أن ما تَلَقَّوْهُ من تعليم خلال الانتظام السابق في الدراسة كان يفيدهم في حياتهم الدينية والعملية، وهكذا فإنَّ عدد الطلاَّب الموهوبين الذين أكملوا دراستهم إلى مستوى عالٍ كان قليلا جداً.

وكثيراً ما يشعر الكبار الذين لم يأخذوا بحظ وافرٍ من التعليم في صغرهم بالحاجة إلى العلم وخصوصاً العلوم الدينية. فيترددون إلى البِيَعِ لحضور الدروس الدينية التي كانت تُعقد في ليالي السبت والاثنين والخميس[3]. وفي بعض الأحيان كان الرّاغبون في التعلّم من أولئك الرجال يعقدون اتفاقاً مع أحد العلماء ليقوم بتدريسهم مقابل أجرٍ مُعَيَّن وفي أحَدِ الأسئلة الموجهة إلى الأحبار في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، هناك ذكرٌ لاتِّفاقٍ حصل بين خمسة رجال في إحدى الطوائف اليهودية في الأندلس، وبين معلّم جاءَ من بلدٍ آخر، وتَعَهَّدَ بإعطائهم الدروس في كلّ أيَّامِ الأسبوع[4].

---

[1] Darmon, origine et constitution de la communauté Israélite de Tlemcen, op. cit., P 381.

[2] Ibid, P 382.

[3] Ashtor, The Jews, Vol.3, P.98. جواتياين، دراسات، ص155.

[4] Ibid, P 99.

وعلى العموم فإن أبرز ما يدرسه التلاميذ في المدارس اليهودية هو التوراة والتلمود، فكل دراساتهم تتمحور حول هذين الكتابين المقدسين لديهم، وحتى الربي فإن حياته قد نذرها للاشتغال بتعلم وتعليم الكتب المقدسة ولا يمكن أن يحيد عنها بأي حال من الأحوال، ولا أن ينشغل عن ذلك بالأمور الدنيوية[1].

3-1-نماذج تعليمية لعلماء يهود:

وقد اهتم العلماء اليهود بالجانب النظري التربوي فناقشوا هذه المسألة في كتاباتهم ومؤلفاتهم، إذ تطرَّقَ موسى بن ميمون في كتابه "كتاب المعارف" للطرق التي يمكن بواسطتها دراسة الشريعة اليهودية[2].

وكتب الحبر يهودا بن صاموئيل رسالة حولَ التعليم[3]. ويمكن أن نعرفَ الآراء التربوية لأبي البقاء (يهودا بن صموئيل) من خلالِ ما سجله ابنه السموأل في كتابه: "بذل المجهود في إفحام اليهود" الذي ألَّفه بعد أن أسلم، وكتابه "الباهِرُ في الجبر" الذي يقول فيه : "وشغلني أبي بالكتابة بالعلم العبري ثمَّ بعلوم التوراةِ وتفاسيرها، حتى إذا أحكمتُ علم ذلك عند كمال السنة الثالثة عشرة من مولدي شغلني حينئذٍ بتعلُّمِ الحسابِ الهندي، وحل الزيجات عند الشيخ الأستاذ العالم أبي الحسن الدسكري. وقرأتُ عِلْمَ الطب على الفيلسوف أبي البركات هبة الله بن علي ... والتأمُّل في علاجِ

---

[1] Béatrice Leroy, Une famille Sepharades à travers les siècles: Les Menirs (XII^{e}-XXI^{e} siècles), Editions du Centre National de la Recherche Scientifique, Paris, 1985, P 35.

[2] كواتي، اليهود في المغرب، ص156.

[3] السموأل بن يحيى بن عباس المغربي، بذل المجهود في إفحام اليهود، تقديم: محمد أحمد الشامي، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة، د.ت، ص4؛ ابن العبري غريغوريوس الملطي، تاريخ مختصر الدول، وقف على تصحيحه وفهرسته:الأب أنطون صالحاني اليسوعي،دار الرائد اللبناني، بيروت، ط2، 1415هـ/ 1994م،ص217.

الأمراض ومشاهدة ما ينفعُ من الأعمالِ الصناعية في الطب والعلاجات ... فأمَّا الحساب والربح فإني أحكمتُ علمهما ... حينما كمل بي أربع عشرة سنة"[1].

وفي كتابه "بذل المجهود في إفحام اليهود" يقول: "وقد كنتُ قبل اشتغالي بهذه العلوم، وذلك في السنة الثانية والثالثة عشرة معتنياً بالأخبار والحكايات، شديد الحرصِ على الاطّلاع على ما كان في الزَّمن القديم، والمعرفةِ بما جرى في القرونِ الخالية. فاطَّلعتُ على التصانيف المؤلفة في الحكايات والنوادر على اختلافِ فنونها، ثم انتقلتُ عن ذلك إلى محَّبةِ الأسمارِ والخرافات الطّوال، ثم إلى الدواوين الكبار، مثل ديوان أخبار عنترة ... وطلبتُ الأخبار الصحيحة فمالت نفسي إلى التواريخ، فقرأتُ كتاب مسكويه الذي سّماه "تجارب الأمم"، وطالعتُ تاريخ الطبري وغيرها من التواريخ..."[2].

إنَّ الطريقةَ التي تعلَّم بها السّموأل لم تكن على ما يبدو تشمل كلَّ أبناء اليهود ولكنَّها تُمثِّل نموذجاً لتعليمِ أبناء الشخصيات المرموقة.

وحددت الشروط التي يجب أن تتوافر في المعلم والتلميذ المثاليين في عديد الكتب التي نذكر منها "طب النفوس" للربي المغربي "يوسف بن أكنين" معاصر ابن ميمون والذي إليه كتب هذا الأخير كتابه "دلالة الحائرين"، وكتب ابن عقنين كتابه باللغة العربية، وسماه "طب النفوس" وأفرد فصله السابع والعشرين للكلام عن فضائل المعلم والمتعلم، وسار على نهج "ابن سحنون" في تبيين الشروط والقواعد التي ينبغي أن تتقيد بها مهنة التعليم، ويرى ابن أكنين ضرورة تخصيص الجزء الثامن من وقت المتعلم لدراسة الموسيقى[3].

---

[1] السموأل بن يحيى، الباهر في الجبر، تحقيق وتحليل: صلاح أحمد، ورشدي راشد، مطبعة الجامعة، دمشق، 1972م، المقَّدمة، ص6.

[2] السموأل بن يحيى، بذل المجهود في إفحام اليهود، ص6-7.

[3] حاييم الزعفراني، يهود الأندلس والمغرب، ص 118.

وإذا ما أنهى الطالب طلبه للعلم سلمه أساتذته شهاداتهم، وهي إجازات حقيقية تمكنه من القيام بواجب التدريس، فإذا هو أيضا أستاذ ينقل المعرفة التي تلقاها بنفس الطريقة والمنهج ويتصف بصفة الأستاذية، وهي صفة تضمن له سبل العيش وتجعل إخوانه في الدين يكنون له التقدير والاحترام، وبعد حين من الدهر يحبر بعض أوراق، بل يؤلف كتابا كاملا يذكر فيه أساتذته وأعمالهم فيما يسمى عادة بـ"الفهرس"، وهي شبيهة بـ"الهقدموت" أو المقدمات الطويلة التي تستفتح بها الكتب العبرية، حيث تتعرض أحيانا وبشكل جد مقتضب لتراجم الشيوخ مع ذكر مؤلفاتهم ولا يذكر غالبا في "الفهرس" إلا الأدباء والعلماء الذين نذروا حياتهم للعلم بمعناه التقليدي[1].

وينتهي طلب العلم عند المتعلم العادي في سن الثلاثين وبعده" يبحث له عن عمل رسمي أو يختار له مهنة عادية كالتجارة والفلاحة[2].

[1] Zafrani, deux mille ans de vie juive, op. cit., P 72.

[2] الزعفراني، يهود الأندلس والمغرب، ص 128.

2-العلوم عند أهل الذمة:

ننتهج في تقسيم العلوم هنا التقسيم المتعارف عليه إلى علوم نقلية وعلوم عقلية، حيث نتطرق إلى أهم ما أُلف في القسمين مع ذكر لأهم المؤلفين والبارزين في كل قسم.

2-1- العلوم النقلية:

وهي ما تستند إلى مصدر ديني وتهتم بدراسة الكتب الدينية، كالتوراة والتلمود وكل ما له صلة بها، ويمكن تسميتها كذلك بالعلوم الشرعية، إذ نحا فيها المؤلفون اليهود طريق العلماء المسلمين في اتخاذ القرآن الكريم والحديث الشريف أساسا في الاستشهاد والتفسير، فاتخذوا التوراة والتلمود لخدمة العلوم الدينية، وفي ذلك يقول عالمهم ابن جناح[1]:" وأنا مزمع أن أستشهد على شرح بعض الأصول بما أمكنني من الموجود في التوراة، وما لم أجد عليه شاهدا من التوراة استشهدت عليه بما حضرني من التلمود"[2].

2-1-1- التشريـــــع اليهودي:

تعددت مدارس التفسير لدى اليهود وتنوعت مناهجهم، فنشطت الدراسات التفسيرية في بلاد المغرب اعتمادا على ما كتبه الأولون منهم سواء في المشرق أو المغرب وخاصة علماء اليهود الأندلسيين الذين تضلعوا في الفقه والتشريع وحازوا قصب السبق في تفسير المسائل الشرعية واستنباط

---

[1] هو أبو الوليد مروان بن جناح، ويُسمّى بالعبرية "الحاخام يوحنا". ويسمّيه النصارى "يونا" أو مرينوس (MERINOS)، وقد ولد في قرطبة سنة (380هـ/990م)، وعاش في بيئتها العلمية المزدهرة ثم تركها سنة (403هـ/1012م) بسبب الفتن التي أعقبت سقوط الخلافة، واستقَّر في أليسانة، ثمّ انتهى به المطاف في سرقسطة، فأقام فيها بقية حياته، وكتب فيها مؤلفاته في اللغة والنحو، ومات عام (447هـ/1055م) Semon Dubnov, History of The Jews From Roman Empire to The early Mediaval Period, Translated from the Russian by Moshe Spiegel, Library of Congress, NEW YORK, USA, 1968, Vol.2, P635-636. Ashtor, The Jews, Vol.3, P.12-13.

[2] إبراهيم موسى هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، 1963م، ص28.

أحكامها، لكن هذا الوضع لم يستمر طويلا في بلاد المغرب إذ شهدت الحركة العلمية ركودا مصاحبا للركود الثقافي الذي شهده العالم الإسلامي بعد الموحدين، لكن فيما يخص علوم الفقه والتشريع وبسبب الهجرة اليهودية من الأندلس وقدوم أحبار اليهود البارزين عرفت حركة التفسير نوعا من الانطلاق والتجديد تزعمها المهجرون أي "الميغوراشيم".

دأب أحبار اليهود على تجديد كل ما له صلة بالتشريع لمواكبة المستجدات والنوازل التي ازدادت توسعا مع اختلاط أجناس جديدة وأعراق، وتطور المجتمعات التي كان يساكنها اليهود في كل مرة. ولعل أبرز ما أُلف في هذا الشأن من قبل يهود الدولة الزيانية هو تلك القوانين الفقهية وذلك محاولة منهم توحيد التشريعات التي أصبحت مثار جدل بين الطوائف اليهودية، ومحل سخط لأنها باتت تهدد وحدتهم، وتماسك تشريعاتهم، ومن أهم المؤلفات نذكر:

أ.تكانوت أو تقانوت الجزائر(Takanoth):

ومفردها "تقنة" ومعناه النوازل الفقهية ويعرف كذلك بالحلخة أو الهلاخا (Halakha) ومعناها التشريع[1]، وهو نظام قانوني ديني من اثنتي عشرة مادة، وتولى كتابته وتحريره كل من الربيين إسحاق بن شيشيت برفات وشمعون بن سماح دوران في سنة 797هـ/1394م بمدينة الجزائر، وذلك لإعادة اليهود لاستعمال القوانين المستمدة من التوراة والتلمود عوض التحاكم إلى القوانين الإسلامية التي كانت هي الفيصل آنذاك في تعاملات اليهود خاصة إذا تعلق الأمر بالزواج وقوانين الأسرة.

ويقول الربي شمعون بن سماح دوران عن سبب وضعهم لهذه القوانين:" عندما وصلنا إلى هذا البلد لم نجد به عادة خاصة، كما أن أعضاء الجماعة لم يتقيدوا فيما يخص أحوالهم الشخصية بالقانون الحاخامي بل كانوا يتبعون أحكام المسلمين، ومعظم اليهود الذين هاجروا إلى هذا البلد كانوا

---

[1] يشرحها أحمد شحلان في ترجمته لكتاب حاييم الزعفراني يهود الأندلس والمغرب بأنها الفتاوى الجماعية لأنها ثمرة توقيع عديد الأحبار للبث في نازلة من النوازل بثا نهائيا أو مؤقتا، ثم يشير إلى أن ترجمتها بالنوازل هو المعنى الأشمل والأدق، ينظر: حاييم الزعفراني، يهود الأندلس والمغرب، ج1، ص 262-263.

من ميورقة وحافظوا على عاداتهم وهي نفس عادات اليهود في الدول المسيحية، أما نحن فلم نجد عادة تتطابق مع قوانيننا، كما أن ثروات الجماعة بدأت تتناقص، وإن استمر الوضع على هذا الحال سيجد اليتامى أنفسهم في وضع خطير يكون سبب إفلاسهم، كما أن الأرامل كن يعشن مما تركه أزواجهن، ولهذه الأسباب وضعنا قانونا"[1].

وقد تناولت هذه المواد ما يلي:

المادة الأولى: المبلغ الذي يدفعه الزوج لزوجته (في حالة الطلاق) إضافة إلى مبلغ الصداق المحدد في الكتوباه بالنسبة للمرأة البكر أو الأرملة أو المطلقة، واحتفاظ الزوجة بالهدايا التي حملتها من بيت أهلها أثناء حفل الزواج.

المادة الثانية: حالة التطليق دون رضى الزوجة، وحالات عدم دفع الإضافة السابقة من طرف الزوج وهي زنى الزوجة أو الطلاق بالتراضي. ودفع الزوج نفقة رضاعة ابنه وتعويض ما جاءت به المرأة من بيت أهلها في حالة إتلافه.

المادة الثالثة: ورثة الزوجة المتوفية إن كان لها أولاد، وإنفاذ وصية الزوجة بأن يرث زوجها كل قيمة الندونيا لأنه هو الوريث الشرعي حسب التشريع التلمودي.

المادة الرابعة: تقسيم ميراث الزوجة التي لم تترك أطفالا بين أقرب أقربائها (1/3) وللزوج (2/3 والصداق) إن نصت الوصية على ذلك.

المادة الخامسة: حق الأرملة في المطالبة بقيمة الندونيا[2].

المادة السادسة: العادة السائدة والتي كانت تكتب في العقد أن الزوج منح هبة لا أثر لها، والزوجة المطلقة أو الأرملة ليس لها الحق فيها.

---

[1] Eben-Haezer, Le code Rabbinique, P 182.

[2] ينظر شرح مصطلح "الندونيا" في محور الزواج والطلاق في الفصل الخاص بالجانب الاجتماعي من هذه الأطروحة.

المادة السابعة: حق الزوجة في النفقة في الأشهر الثلاثة الأولى من وفاة زوجها، وسقوط هذا الحق في حالة مطالبتها بمؤخر الصداق، وأخذ نصيبها بعد انتهاء العدة.

المادة الثامنة: عرض المتعاقدين مشاكلهم على المحكمة الحاخامية ومنع اللجوء إلى محكمة غريبة.

المادة التاسعة: اعتبار هذه المواد قوانينا غير قابلة للتعديل إلا بعد مرور عشرين عاما.

المادة العاشرة: حق الزوجين في إضافة بعض ما تم الاتفاق عليه بينهما إلى المواد السابقة الذكر.

المادة الحادية عشرة: خضوع عقود الزواج السابقة لهذا القانون لقانون المنطقة التي تم فيها إبرام عقد الزواج.

المادة الثانية عشرة: هذا القانون المفصل مفروض على طائفتنا، وكل مخترق له يكون عقابه قرار اللعنة (الحرمان).

ثم يقول في آخر هذا القانون:

وقد حررنا هذه المواد بموافقة رؤساء الطوائف، وحسب مجلس الحاخامات، وقد أعلن عنها بالبيعة في يوم السبت قبل إخراج لفائف التوراة حتى لا يجهلها أي شخص.

وقعنا عليها بمدينة الجزائر 2 من شهر أيلول 5154 من خلق العالم الموافق (797هـ/1394م)[1].

والملاحظ على هذه القوانين أنها اهتمت فقط بالأحوال الشخصية وبالأخص بأمور الصداق والندونيا والنفقة والميراث، أي ما يتعلق أكثر بالزواج، التي كان يسود فيها اختلاف كثير بين اليهود ولا يجدون حلا لها إلا بالرجوع إلى التشريع الإسلامي وإلى القضاة المسلمين، الذي رأى الحاخامات الجدد لليهود أنه يعتبر خيانة للديانة اليهودية، فأقرت هذه المواد وجوب التقاضي أمام المحكمة الربية

[1] بوعمامة، يهود المغرب الإسلامي، ص 130-133 نقلا عن Eben Haezer, op. cit., p 183-186.

"بيت دين" وحرمة اختراق هذه القوانين أو اللجوء إلى محاكم أخرى والتي يعنون بها أكثر المحاكم الإسلامية.[1]

ب.الرسبونسة(Responsa):

وهي الأجوبة التي كتبها الربيون ردا على تساؤلات اليهود على الأمور الحياتية والمستجدات الفقهية التي تعرض لهم في كل مرة فيتصدى الأحبار للإجابة عليها فتصبح بذلك تشريعا قائما بذاته، وربما تشبه هذه الإجابات ما يعرف في التشريع الإسلامي بفقه النوازل، وعلى الأغلب فقد نهج المشرعون اليهود نهج علماء المسلمين في العصر الوسيط، في تأليف كتب تختص بالنوازل كنوازل المعيار للونشريسي، ونوازل البرزلي، وفتاوى أو نوازل ابن رشد...

وأبرز من كتب هذه الإجابات من يهود الدولة الزيانية هو الربي ريباخ الذي ترك حوالي 417 رسبونسة نشرت فيما بعد بالقسطنطينية بين عامي 1546-1547م تحت عنوان Shéelot u Tses-hubot، وأعاد نشرها David Fenki at Munkaces بعنوان Shé elot Teshubot ha Ribasch.[2]

وكذا فقد سار خليفة ريباخ على رأس الطائفة اليهودية في مدينة الجزائر الربي راشباس على تقديم إجابات على كل ما يرد من تساؤلات تخص الأمور الدينية والدنيوية لأفراد طائفته وقد جمعت كذلك على شكل رسبونسة وأبرزها:

[1] يقول Norbert Bel-ange في كتابه Les juifs de Mostaganem أن هذه القوانين بقيت مخطوطة لمدة 320 عاما ولم يتم نشرها إلا في سنة 1738م على يد اليهودي المدعو " مائير غراسكاس Meïr Grescas" انظر N.Bel-Ange, Les Juifs de Mostaganem, op. cit., P31.

[2] Jewish Encyclopedia, op. cit., Vol 06, P 632.

-تاشباص (Taschbez):(اختصار للكلمتين Teshuvot,Rachbaz)[1] وهي مجموعة فتاوى من ثلاثة أقسام ، يتضمن القسم الأول 178 فصلا، والقسم الثاني 298 فصلا، والقسم الثالث فيه 327 فصلا، طبعت هذه الفتاوى بالبندقية عام 1589م من طرف "يوسف مولخو Joseph Molkho" ثم بأمستردام عام 1738م من طرف "نفطالي حرز ليفي Nephtali Hirz Levi"[2]، أضيف إليها قسم رابع بعنوان Hut ha-Meshullash وتتضمن فتاوى بعض الحاخامات من أبناء راشباس وآخرين مثل "سال دوران الصغير" "سال سيرور" و"أبراهام بن طواح"[3].

-مجموعة من المقالات عددها اثني عشر مقالا، كتبها سنتي 1420-1421م حول الزواج والميراث عند اليهود، وكان لهذه المجموعة تأثير كبير في القوانين الحاخامية المعمول بها، إذ تم جمعها وتوزيعها بين المجموعات اليهودية عام 1444م.

-مقالات حول الطلاق (خاصة الكتوباه والحاليصاه).[4]

وقد كانت لراشباس اتصالات مع يهود توات عبر وسطاء من بينهم "أبراهام هاكوهين شلال Abraham Hakohen Shalal" الذي كان تلميذا له بمدينة ميورقة ثم أصبح هو الوسيط بينه وبين يهود الصحراء وكان مقره بمرفأ "هنين" القريب من مدينة تلمسان، حيث كان يوصل له أسئلة الطائفة اليهودية ويعيد لهم الإجابات، وقد كان لهذه الرسبونسة أثر تاريخي كبير في إمدادنا بمعلومات قيمة عن حياة الطائفة اليهودية بإقليم توات[5].

---

[1] Jewish Encyclopedia, op. cit., Vol 06, P 305.

[2] انظر صفحة الواجهة لهاتين الطبعتين في الملحقين رقم 11 و12.

[3] بوعمامة، مرجع سابق، ص 174.

[4] Jewish Encyclopedia, op. cit., Vol 06, P 306. للاستزادة أكثر حول الكتوباه والحاليصاه انظر الفصل الثالث من هذه الدراسة حول الزواج والطلاق في الشريعة اليهودية.

[5] Oliel, Les Juifs au Sahara, op. cit., P 96.

-رسبونسة الربي سلومو بن شمعون دوران بعنوان *Teshuvot ha-Rashbash* ونشرت عام 1742م بليفورن[1]، وقد كتب بعضا منها في حياة أبيه وبموافقته.

-كتاب "هيشاخ شلومو *Heshek Shelomo*" للربي سلومو بن شمعون ،وهو عبارة عن شرح للأمثال، وقد نشر الكتاب سنة 1623م بمدينة البندقية[2].

-أجوبة الربي "إفرايم أنقاوة" حول الانتقادات الموجهة من طرف المسلمين لفلسفة موسى بن ميمون وقد ضمنها في كتابه "*Sha'ar Kebod Adonai* " ومعناه "المدخل إلى المجد الإلهي" والتي كتبها لابنه إسرائيل، ويوجد مخطوط من هذا العمل في مكتبة بودلين بأكسفورد[3].

ج.شروح التوراة والتلمود:

ألف علماء اليهود خلال العهد الزياني شروحا للتوراة والتلمود لتسهيل معرفتها وفهمها لأفراد طائفتهم ومن بينها:

-تعليق حول التوراة وآخر حول التلمود بعنوان *Ketouboth* لريباخ، كما اختصر النظرية اللاهوتية العقائدية لابن ميمون القائمة على 13 مبدأ عقائديا، ثم اختصرها راشباس إلى ثلاثة مبادئ هي: وجود الله، والتنزيل والثواب، وهي أفكار مقتبسة من أفكار ابن رشد.[4]

-فتاوى حول تلمود "نيداريم Nidarim" ورسالة حول القوانين الدينية بعنوان "*Zohar-ha-Rakiah*" نشرت بالقسطنطينية عام 1515م، وقد ألفها راشباس عام 1417م.

---

[1] Jewish Encyclopedia, op. cit., Vol 06, P 307.

[2] Allouche et Laloum, Les Juifs d'Algérie, op, cit, P 220.

[3] Jewish Encyclopedia, op. cit., Vol 06, P 127.

[4] بوعمامة، مرجع سابق، ص 169-170.

-ردود راشباس على "يوشع لوركي Joshua Lorki" المدعو(Geronimo de Santa Fé) في كتابه المسمى "*Milhemet Mitzvah*" الذي ألفه سنة 1438م، وهو عبارة عن شرح لعقائد التلمود ودحض لشكوك "يوشع" حوله، وتبيين أن التلمود هو أساس التشريع اليهودي[1].

-كتاب "ياخين أوبعاز *Yakhin u Bouaz*" من تأليف حفدة راشباس حيث ألف قسمه الأول شمعون بن سلومون بن شمعون دوران والقسم الثاني ألفه أخوه سماح في النصف الثاني من القرن السادس عشر ميلادي.

-شرح تلمود نيداريم ليوسف ابن مينير بعنوان "شيتا *Shitta*" غير أن هذا الكتاب يعد في حكم المفقود، ولم يرد ذكره إلا في بعض المؤلفات[2].

-كتاب "*Abrekh*" فيه شروح للتوراة والتلمود ويعد من الشروحات الكلاسيكية اليهودية، للربي يوسف الأشقر، كما له كتاب آخر بعنوان "*Edout-bi Yossef*" أي شهادة يوسف وهو حول فرائض الذبح وسننه، وآخر هو "*porat yaseph* ثمرة يوسف" حول الماسورا أي مدرسة التفاسير للكتاب المقدس، وكتاب "*Derekh es haim* طريق شجرة الحياة" وهو شروح للقوانين الدينية، وكتاب "*Sefer Toppouah* كتاب شجرة التفاح" وبه إضافات أو اجتهادات لشرح بعض النصوص الغامضة بالكتاب المقدس والتلمود والزوهار، وكل هذه المؤلفات وأخرى هي عبارة عن مخطوطات فقط كانت ملكا لشخص من مواليد مدينة تلمسان يدعى "الياسين كرمولي Eliacin Karmoly" حوالي عام 1855م، لهذا لم تطبع ولم تنشر[3].

-كتاب "بيت يوسف Beth Josef " وهو عمل جامع للقوانين الشرعية اليهودية ألفه "يوسف إفرايم قارو Joseph Ephraïm Caro" الذي مكث مدة طويلة في الجزائر، ولم يكمل عمله هذا

---

[1] Jewish Encyclopedia, op. cit., Vol 06, P 306.

[2] Cahen, Les Juifs de l’Afrique septentrional, P 58.

[3] بوعمامة، مرجع سابق، ص 178-179.

إلا في مدينة صفد الفلسطينية عام 1540م، وكذا كتابه "شولحان عاروخ *Choulhan Aroukh*" أي المائدة المنضودة، والذي يتضمن مجمل التقاليد السفاردية[1] وأعلامها الروحيين والثقافيين[2]، ويقول عليه الكاتب "فيكتور مالكه":"أنه منذ صدور "شولحان عاروخ" ليوسف قارو، لم يعد يهود شمال إفريقيا، مصر، فلسطين، تركيا واليمن، يحتكمون سوى لقرارات يوسف السفاردي في كل ما يتعلق بحياتهم اليومية[3].

-كتاب "*Messiah yellemim*" لمؤلفه "يهودا خلاص Juda Kallac"، والذي علق فيه على تفسير وشرح الفقيه اليهودي الفرنسي "راشي Rachi" للكتاب المقدس، وله كتاب ثان بعنوان "*Sefer Hamoussar*".[4]

-وكتب علماء وربيون يهود عدة كتب للشروح والعقائد والتفاسير منهم "الربي يوشع هاليفي بن يوسف هاليفي R.Yesha'ya ha-Levi b.Joseph ha-Levi" صاحب أشهر وأحسن المؤلفات المنهجية لدراسة التلمود وهو كتاب "حاليخوت علام *Halikhot 'Olam*"والذي ألفه

---

[1] السفردي مصطلح مأخوذ من الأصل العبري(سفارديم) إستخدم ابتداء من القرن الثامن الميلادي للإشارة إلى اليهود في إسبانيا ويستخدم في الوقت الراهن للإشارة الى اليهود الذين كانوا أصلا في إسبانيا والبرتغال ثم انتشروا بعد طردهم منها في العالم الإسلامي وبخاصة في سالونيك التركية وشمال إفريقيا حتى أصبح المصطلح يعني اليهود الشرقيين أو يهود العالم الإسلامي، في فرنسا وهولندا وخاصة في أمستردام وانجلترا وإيطاليا وأصبحت التسمية تطلق بشكل أوسع على يهود المنطقة العربية الذين يتكلمون العربية والفارسية حتى وإن لم يكونوا ينحدرون من أية منطقة أروبية وبما أنهم تبنوا التقاليد البابلية اليهودية بتأثير السفرديم فهم يندمجون باستمرار في هذه المجموعة والتي تشكل اليوم 15% من مجمل يهود العالم، وهم يتميزون بتبنيهم التقاليد البابلية عكس الأشكيناز الذين يتبنون التقاليد الفلسطينية، ينظر عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود، الجزء الأول، ص 82.

[2] فوزي سعد الله، يهود الجزائر، ص 121.

[3] Victor Malka, Les Juifs Sépharades, série "que sais-je ?", P.U.F, Paris, Mars 1991, P 4-5

[4] فوزي سعد الله، مرجع سابق، ص 119.

بعد سنة 1467م، والذي يقول في مقدمته أنه قضى طفولته في مدينة تلمسان وتربى بها وتعلم، ثم هاجر مضطرا إلى مدينة طليطلة فرارا بنفسه من الخطر –حسب قوله-[1].

2-1-2- الأدب:

برع كثير من اليهود في الجانب الأدبي، لكن تأثرهم الكبير كان بالأدباء المسلمين ، وحتى دراساتهم كانت باللغة العربية خاصة مع ظهور إجبارية التعليم بالعربية منذ العهود الأولى للدولة الأموية في الأندلس، ووصل الأمر ببعض الأدباء اليهود إلى نصح المتعلمين اليهود بتعلم اللغة العربية وإتقانها ومعرفة قواعدها، حيث يقول "دوناش بن لبراط هاليفي"[2] في بيت شعري بالعبرية وترجمته هي:

فلتكن الكتب المقدسة جنتك

ولتكن الكتب العربية فردوسك[3]

واستعمل أدباء اليهود اللغة العربية وقواعدها لفهم لغتهم العبرانية، إذ يقول الشاعر اليهودي الأندلسي موسى بن عزرا الذي عاش في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي: "ولما افتتح العرب جزيرة الأندلس تفهمت جاليتنا بها بعد مدة أغراضهم، ولقنت بعد لأيٍ لسانهم، وبرعت في

---

[1] Hirschberg, A History of the Jews in North Africa, Volume I, P 388.

[2] وهو أحد أفراد عائلة هاجرت إلى مراكش من بغداد، وقد ولد في فاس سنة (308هـ/920م)، وتلقى فيها تعليمه، ثم أُرسل إلى العراق حيث تعلم على يدي سعديا الفيومي، ودرس اللغة العربية والأدب العربي دراسة مكَّنته من معرفة فنونه، وعاد إلى مراكش، وعندما سمع بالدعم الذي يقُدَّمه حسداي بن شبروط للعلماء اليهود سافر إلى قرطبة، وسرعان ما لمع اسمه بين المثقفين اليهود في قرطبة، حيث كان يكتب الشعر باللُّغةِ العبرية على بحور الشعر العربي، وكان رائد هذا التطوير في الشعر العبري، انظر آنخل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمه عن الإسبانية: حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة النهضة، ط1، 1955م، ص 489.

[3] عبد المجيد محمد بحر، اليهود في الأندلس، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكتاب العربي، 1970م، ص 27.

لغتهم، وتفطنت لدقة مراميهم، وتمرنت في حقيقة تصاريفهم، وأشرفت على ضروب أشعارهم، حتى كشف الله لهم من سر اللغة العبرانية ونحوها، واللين والإقلاب والحركة والسكون والبدل والإدغام وغير ذلك من الوجوه النحوية، مما قام عليه بُرهان الحق، وعضّده سلطان الصدق، على يدي أبي زكريا يحيى بن داود حيوج[1]"[2].

وإذا ما انتقلنا إلى بلاد المغرب في العصر الزياني فإننا نلحظ ندرة الإنتاج الأدبي لليهود فيها، وهذا راجع بالدرجة الأولى إلى اهتمام علماء اليهود وأحبارهم بالتآليف الدينية محاولة منهم لترشيد أفراد طائفتهم بعدما ما لاحظوه من قلة اهتمامهم وعدم تمسكهم بتعاليم ديانتهم، وتوجههم في الغالب إلى الاحتكام لدى المشرع الإسلامي، والسبب الثاني أن كثيرا من مؤلفات اليهود في ذلك الوقت أتى عليها الضياع والإهمال، ولم يصل منها إلا القليل، نظرا لما شهدته بلاد المغرب الإسلامي من تقلبات، وثورات أتت في كثير من الأحيان على التراث الأدبي، وكذا تقلب اليهود بين الغالبين، مما جعل تراثهم عرضة للتخريب والضياع، غير أن بعض المصادر تعطينا شذرات مما كتبه اليهود في الجانب الأدبي، ومما وصلتنا معلومات عنه نذكر:

- كتاب "*Refouat ha-Nefesh* علاج الروح" حول الأخلاق والآداب المعنوية والعملية للربي يوسف الأشقر المعروف بالركيز، كما له ديوان شعر حول الإله والعفة وطهارة المواد الغذائية، وقصيدة مدح لسليمان بن شمعون دوران بعنوان "تيكون سوفيريم *Tikkon Soferim*" طبعت بليفورن عام 1744م.[3]

---

[1] هو أبو زكريا بن داود المشهور بيهودا بن حيوج، ولد في مدينة فاس سنة (360هـ/970م)، ثم انتقل إلى قرطبة حيث عاش وتلقى تعليمه فيها. وهو من تلاميذ مناحيم بن ساروق وقد نال الشهرة في نهاية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ، وكان له تلاميذ كثر، من بينهم إسماعيل بن النغريلة ومروان بن جناح. وكان حيوج مشهوراً عند النحاة العبريين المتأخرين بأنه مؤسس الدراسات العلمية للنحو العبري، انظر Ashtor, The Jews, op. cit., V1, P 391

[2] كواتي، اليهود في المغرب، ص163. هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص12.

[3] بوعمامة، مرجع سابق، ص 178.

-مجموعة أشعار مؤلفة من طرف راشباس طبعت ببرلين عام 1855م تحت عنوان "*Perush Kezat Piyyutim*"[1].

-قصائد شعرية بعنوان "*Omer-ha-Schickcha*" لأبراهام بن مائير زميرو Abraham Ben Meïr Zamero"[2] الذي عاش في وهران وتلمسان في أواخر القرن 9هـ/15م، وألف قصيدته المشهورة باللغة العبرية والتي عنوانها "يا نفسي إلى متى ستبقين مجنونة؟" (*My soul, how long wilt thou be foolis ?*)[3]،

-مجموعة رسائل للربي سلومون بن شمعون دوران، خاصة تلك التي كان يوجهها لـ"ناثان نجار Nathan Najjar" وهي عبارة عن رسائل خطابية تتميز ببلاغة كبيرة، وذلك باستعمال عبارات وأساليب ولغة مستمدة من التلمود، ويعتبر الربي سلومون هو واضع هذا النوع من الأدبيات الذي عرف باسم "المليزاه *Melizah*"[4].

-كتاب "أبراهام غابسون Abraham Gabison" الذي يعلق فيه على أمثال النبي سليمان-عليه السلام- والمعنون بـ"عومير هاشيخا *Omer Hashikha*"، والذي ألفه في مدينة الجزائر في القرن العاشر الهجري، السادس عشر ميلادي.

---

[1] Jewish Encyclopedia, op. cit., Vol 06, P 305.

[2] من مهاجري الأندلس، أصوله من مدينة غرناطة التي طرد منها في الحملة التهجيرية للأندلسيين، وانتقل إلى مالقة سنة 1493م، ثم إلى وهران وتلمسان، وكان جاسوسا للإسبان بين مدينتي وهران وتلمسان، ثم انتقل بعد ذلك إلى المغرب الأقصى ليكون عونا استخباراتيا للبرتغال على الحكام والسكان، وعينه هؤلاء ليكون حاخاما مسؤولا عن اليهود بمدينة أزمور المغربية، Hirschberg, a history of Jews, op. cit., Vol 1, P 432-433

[3] فوزي سعد الله، يهود الجزائر -هؤلاء المجهولون-، ص 302 (هامش رقم 1).

[4] Jewish Encyclopedia, op. cit., Vol 06, P 306.

ولا شك أن اليهود قد تأثروا كما تأثر العرب بالشعر ونهلوا من معينه وأصبحوا ينظمونه بطريقة فطرية واستعانوا بالمفردات العربية والأوزان الشعرية لتأليف أشعارهم العبرانية، وأصبح الشعر العبري جزءا من الثقافة الأندلسية وله تأثير كبير على الطائفة والثقافة اليهودية سواء داخل الأندلس أو خارجها، حتى قال قائلهم:"لقد ظل الشعر العبري الأندلسي لفترة طويلة يباشر سلطانا كبيرا على الثقافة اليهودية، وعلى هواة الشعر (بَيّوط[1])، وصمدت إبداعاته الكبرى لامتحان الزمن، ولا زالت قراءته أو الاستماع إلى بعض القطع المرتلة منه، تحدثان تأثيرا عميقا لم تستطع معايير التحليل ومناهج النقد الحديث تفسيره[2].

ودخل الشعر ميدان الدين فأصبح يعالج الموضوعات الشرعية وأضحت أبياته جزءا من الصلوات والابتهالات والأدعية، "وقد ذاع هذا الشعر بسرعة هائلة في أوساط الطوائف اليهودية حول البحر الأبيض المتوسط والبلدان الشرقية، حيث احتل بينها مكانة رفيعة وأصبحت قصائده الكلاسيكية المشهورة جزءا من الشعائر، وفتحت لها البيع الأبواب على مصراعيها."[3]

ومن الأشعار التي ألفها اليهود خلال عهد الدولة العبد الوادية واشتهرت حتى غدت ابتهالات وأدعية وصلوات نذكر:

-مجموعة تراتيل للربي إفرايم أنقاوة Ephraim Enakaoua وهي مجموعة أدعية أصبحت ترتل بمعبد تلمسان، بالإضافة إلى تأليفه لقصائد شعرية أخرى نظمها لصديقه شمعون دوران بمناسبة انتهاء راشباس من تأليف كتابه ***Iabin Schemouah***.

---

[1] "بيوط" أو "بيوت" وتكتب "Piyyut": هي أشعار دينية أندلسية الروح والنغم، تتلى داخل المعابد حسب النوبات الأندلسية التي وضعها الفنان المسلم "زرياب" في القرن الثالث هجري، التاسع ميلادي، ولعلها ما زالت تحتفظ بتلك المقاطع والنوبات التي ضاعت ولم يعد لها أي وجود في الموسيقى الأندلسية بالبلدان العربية التي ما زالت تمارسها، انظر فوزي سعد الله، يهود الجزائر - هؤلاء المجهولون-، ص 209، هامش رقم 1.

[2] Zafrani, Deux mille ans de vie juive, op. cit., P 184.

[3] Ibidem.

-قصائد دينية لـ "علال(هلال) بن صيدون أو سعدون Allal ben sidoun"، وأصبحت ترتل هذه القصائد بمعبد تلمسان.[1]

-قصائد بالعبرية ليعقوب غابسون Jacob Gabison"

-كتاب نظم الأشعار الدينية للكاتب "يهوذا خلاص" وهو كتاب ما يزال محفوظا كمخطوط إلى اليوم[2].

-كما نظم بعض أحبار مدينة وهران قصيدة رثائية تخليدا لذكرى اليهود الذين نكبهم الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي سنة 1492م في حملته المشهورة على يهود توات، وأصبحت هذه القصيدة المكتوبة بعد خمسة عشر سنة من الحادثة، تتلى في الصلوات وفي البيع حوالي سنوات 1507-1509م، أسى على اليهود الذين قتلوا من طرف الشيخ وأهل المنطقة، وحزنا على البيع التي دُنست —حسب وجهة نظرهم-، وقد جاء في هذه القصيدة بعد ترجمتها:

شيء آخر غير مقبول: الظالم المعروف،

المغيلي، قاتل أهل توات وقورارة

والذي دنس البيعة

عمل مشين ! أوه، خبر سيء !

توات أبيدت، ظهر العدو بعدها في درعة

دمر الكنيسة، من أجل هذا لبست المسوح

[1] يوجد مخطوط أدعية لإفرايم أنقاوة بمكتبة بودلين بأوكسفورد تحت رقم: Cat-Bodl-Hebr- 939.2:1258.2 M.ss.nos أنظر بوعمامة، مرجع سابق، ص ص 176، 178.

[2] فوزي سعد الله، يهود الجزائر —هؤلاء المجهولون-، ص 203.

قطعت قلبي، وفي ضميري أنا حزين لأجل إخواني[1]

وقد أنشأ اليهود في مدينة الجزائر قصائد تحمل معاني الحمد، إثر هزيمة شارل الخامس وجيشه سنة 1541م وفشلهم في احتلال مدينة الجزائر، وأنشدوا قصائد تذكر بالمقاومة، منها مجموعة صلوات خاصة تتلى في الكنيس اليهودي للربابنة: موسى مشيش، موسى العقبي، أبراهام بن يعقوب تواح، وأبراهام بن سلمون سرفاتي[2].

وكما ظهرت النزعة إلى الغناء بين الأوساط المسلمة، وجدت كذلك بين أوساط اليهود وظهر نوع من النزوع نحو التغني الذي أصبح رائجا، إذ أصبحت الموسيقى والغناء —وهما من مكملات الشعر، والعكس صحيح- من الأمور المفضلة، خصوصا بعد ظهور جنس شعري جديد هو "المُوشّح"[3]، ولا شك أن الاتجاهات التجديدية هذه التي انفتحت على الموسيقى والغناء الدنيويين اللذين شاعا عند المسلمين، ووجهت بردود أفعال حازمة من قبل الأوساط الدينية اليهودية المحافظة مثلما كان يحدث في الوسط الإسلامي من نقاشات حول جواز الغناء أو عدمه وشروطه وغيرها، وهذا ما تؤكده فتاوى "الجاؤون حاي Hay".[4]

وأغلب الشعر الذي لقي رواجا شعبيا هو ذلك الذي أدمج في مجال الغناء والموسيقى، سواء كانا دينيين أو دنيويين، دنيويان كنوبات الغناء الأندلسي بموشحاتها وأزجالها والتي لا تزال حاضرة إلى

[1] هذه القصيدة المكتوبة في الأصل بالعبرية (انظر الملحق رقم 10)، نشرها "شيرمان J.Schirman" في كتابه " Qobetz al Yam‘"، وترجمها إلى اللغة الفرنسية "ميشال قارال Michel Garel" حافظ المخطوطات العبرية بالمكتبة الوطنية بفرنسا و"ماشا إسحاق Macha Itzhak" أستاذ بالمدرسة الوطنية للغات الشرقية بفرنسا.، وأوردها "جاكوب عليل Jacob oliel" في كتابه، وقام الباحث هنا بترجمتها، انظر Jacob Oliel, Les Juifs au Sahara, op. cit., P 120-121

[2] Henri Garrot, Les Juifs Algériens, op. cit., P 39.

[3] حاييم الزعفراني، يهود الأندلس والمغرب، ج1، ص 176-177.

[4] فوزي سعد الله، يهود الجزائر في مجالس الغناء والطرب، دار قرطبة، الجزائر، 1430هـ/2010م، ص 37.

اليوم فيما يعرف بالموسيقى والغناء الأندلسيين، ودينيان مثلما هو الحال عند المسلمين فيما يتعلق بالمدائح والذكر والسماع[1].

وإذا كان اليهود قد مارسوا نفس الغناء الأندلسي الدنيوي المتداول عند المسلمين، فإنهم تميزوا في الموسيقى والغناء الدينيين عن المحمديين(أي المسلمين)، بمواضيعهم الخاصة بشعائرهم والتي تم ظم الأشعار فيها من حيث أغراضها حسب تصنيفاتهم، ففيها النصوص المقدسة كتلاوة التوراة، وفيها الذِّكر، وفيها قصص الأنبياء اليهود وسيرهم مثل "قصة سيدنا يوب" (أي أيوب)، التي لا تزال كثيرة التداول في المغرب الأقصى مثلها مثل قصة "أبراهام والنمرود"(أي قصة سيدنا إبراهيم والنمرود)، وقصة "يوسف الصديق"[2]،هذه القصص وأخرى في الموروث الثقافي اليهودي المغربي لا تزال تتلى وتقص على مسامع الطوائف اليهودية والملاحظ على أغلبها أنها تأخذ بعض أجزائها وعناصرها من قصص القرآن الكريم[3].

وقد أخذت الطبوع الغنائية اليهودية عدة نماذج ومسميات بحسب حالاتها ومناسباتها وطرق آدائها ومنها: البقاشوط والتحنوت والأهابوت.

فالبقاشوط عي عبارة عن أناشيد روحية ومرثيات شائعة كثيرا في البيع، وحتى في البيوت العائلية، تتلى خلال أعياد "الشباط" الأسبوعية وأعياد أخرى، وكانت مطروقة كثيرا لدى الشعراء اليهود في الأندلس وشعراء المدرسة القبالية الصفدية[4].

---

[1] فوزي سعد الله، يهود الجزائر -هؤلاء المجهولون-، ص 117.

[2] فوزي سعد الله، يهود الجزائر في مجالس الغناء والطرب، ص 48.

[3] Zafrani, Deux mille ans de vie Juive, op. cit., P 212.

[4] فوزي سعد الله، يهود الجزائر -هؤلاء المجهولون-، ص 117.

وقد ثار العلماء الكبار لمدينة الجزائر في القرنين 14 و15م في تلك الفترة ضد أنغام إسماعيل المرددة داخل البيع، وحب الرب بعبارات الزنى، ومع ذلك اندمجت التراتيل في قواعد الغناء العبري، بما في ذلك استعمال "يالالان" إلى اليوم[1].

أما التّحِنوت: فهو شعر الابتهال، يتعرض إلى حالة الضيق والعوز وما تعيشه الطائفة اليهودية الكسيرة النفس، التي تطلب من الله أن يغفر خطاياها وأن يعيد صهيون ويخلص الشعب الإسرائيلي[2].

والأهابوت: هي أناشيد الحب (حب الرب لإسرائيل) واصطفاؤه لهم، كما تتناول فكرة الخلاص للشعب اليهودي[3].

وقد شاعت كثيرا أشعار البقاشوط في المغرب أكثر من غيره، لأنه كان يحتوي أكثر من أي جهة أخرى على أكبر عدد من قراء الزوهار القبايليين الذين كانوا منتظمين فيما يشبه الطرقية عند المسلمين، لقد كان القبايليون هواة البقاشوط يلتقون قبل طلوع الفجر، على الساعة الثالثة صباحا ليتدارسوا الزوهار قبل انطلاقهم في إنشاد البقاشوط تحت إشراف "البيّيطان" أو ما يعادل "الباش قصّاد" في تقاليد المدح والذكر والسماع بشكل عام عند المسلمين.[4]

ويعتبر "البييطان" الناطق الرسمي باسم المجتمع اليهودي وهو رسوله المفوض أو ما يطلق عليه بالعبرية "Chalia’h Tsibbour"، فهو يحكي آلامه ويعدد همومه، ويحامي في دعاواهم أمام الرب أثناء الصلوات والابتهالات، وله دوره الخاص في تسيير أعمال التعبد في البيعة، خاصة أيام أعياد السبت والأعياد الدينية وفي المناسبات العائلية، فيتغنى بالشعر أنغاما وألحانا، وهو الذي يسلي الضيوف والمدعويين أثناء مآدب الزواج وحفلات الختان ومناسبات بلوغ الطفل السن الديني ومناسبة

---

[1] فوزي سعد الله، يهود الجزائر -هؤلاء المجهولون-، ص 187.

[2] فوزي سعد الله، يهود الجزائر في مجالس الغناء والطرب، ص 49.

[3] Zafrani, Deux mille ans de vie Juive, op. cit., P 212.

[4] فوزي سعد الله، يهود الجزائر -هؤلاء المجهولون-، ص 117.

أول حلاقة شعر الطفل، وهو أيضا الذي ينظم قصائد الرثاء في عزيز فُقد وهو حاضر في حفلات نهاية الدراسات التلمودية وافتتاح البيع أو حمل لفائف التوراة[1].

ففي مدينة غرداية مثلا والتي لجأ إليها اليهود خاصة بعد حملة المغيلي على يهود توات سنة 1492م، نجد أنه طوال السنة ولمدة ساعة تقريبا وقبل فرض الصبح تنشد أناشيد البقاشوط، وهي عبارة عن أناشيد حزينة عن التهجير والعودة. وفي كل سبت تنشد أغاني بقاشوط معينة، وتعاد هكذا في كل سبت بنفس الترتيب وفي كل شهر[2].

وفي كل المجتمعات اليهودية تتلى تقريبا نفس الابتهالات والأناشيد الموحدة بين اليهود، غير أنه توجد في بعض المرات أناشيد خاصة بمجتمع دون آخر، مثال ذلك قصيدة الربي "أبراهام كوهين Abraham Kohen" والتي هي عبارة عن قصته وهو في طريقه إلى منطقة وادي ميزاب، إذ يقول فيها راويا هذه القصة:" عندما عبرت مكانا مقفرا، اعترضني فارس ليسلبني مالي، نظر إلي بغضب سائلا إياي بصوت كأنه الرعد:"من أي شعب أنت؟"، أجبته بقلب مرتجف:" أنا يهودي، لماذا تسأل؟ إذا ما أردتني بسوء فإن الرب سيكون بجانبي"، مثل كل مرة أبراهام يشكر الرب الذي ألهمه كلماته الشجاعة، وألقى الرهبة في قلب الإسماعيلي (يقصد به هنا المسلم)، وأضاف صلاة الشكر وأمل العودة إلى الأرض المقدسة."[3]

ولعل أبرز ما عبر عنه اليهود المهجرون في أغانيهم وأناشيدهم هو ذلك الحنين الجارف إلى الوطن الأم الأندلس، وساروا على نهج المسلمين في ذلك ورددوا معهم قصائد اللوعة والحنين وألم الفراق، والشوق إلى الديار واعتزازا بما ورثوه من تقاليد، فقد عاودوا إنشاد قصيدة لسان الدين بن الخطيب التي يقول فيها:

---

[1] الزعفراني، يهود الأندلس والمغرب، ج1، ص 203-204.

[2] Allouche et Laloum, Les Juifs d'Algérie, op. cit., P 160.

[3] Ibidem.

جادك الغيث إذا الغيث همى يا زمان الوصل في الأندلـــس

لم يكن وصلك إلا حلمــــا في الكرى أو خلسة المختلس

أو ما قاله الشاعر الأندلسي ابن خفاجة:

يا أهل الأندلس لله دركـــم مــــاء وظل وأنهــــار وأشجـــار

ما جنة الخلد إلا في دياركم ولو تخيرت هذي كنت أختار

التي ما تزال تردد إلى اليوم في الحفلات والأعراس وحتى في البيع[1].

هذا وقد بقيت اللغة العربية لقرون طويلة مصدر إلهام لليهود في كل العالم وبخاصة في منطقة شمال إفريقيا ولم يتردد أحبار اليهود وعلماؤهم في التنويه بقدرة اللغة العربية على إبراز مكنونات عقيدتهم وشرحها وتفسيرها وتعليمها كذلك، فعملوا على ترجمة النصوص التشريعية من العبرية إلى العربية، بل وحتى استعمالها في صلواتهم وابتهالاتهم وأدعيتهم في المعابد، وفي ذلك يقول "أندري شوراقي André Chouraqui" في كتابه "*La saga des Juifs en Afrique du Nord*": "فرضت اللغة العربية بصماتها العميقة في روح اليهود بشمال إفريقيا، والظاهرة الأكثر إثارة وبروزا في تعرب اليهود هو استعمالهم اللغة العربية في الأعياد والطقوس الدينية ولغايات صلواتية، حيث يقرأ الإنجيل في ترجماته العربية (مثل ترجمة سعدية غاؤون) في المعبد، ولا يتردد رجال الدين واللغويون وحتى الشعراء في استخدام العربية لتعليم حقائق عقيدة إسرائيل"[2].

---

[1] فوزي سعد الله، يهود الجزائر في مجالس الغناء والطرب، ص 49.

[2] André Chouraqui, La saga des Juifs en Afrique du nord, Librairie Hachette, Paris, 1972, P 91.

2-2- العلوم العقلية:

وهي العلوم التي تخضع للتفكير الإنساني والتجديد، وتتناول الفلسفة والطب والنحو والفلك وغيرها، ونلحظ هنا عزوف المصادر عن ذكر مؤلفات يهود المغرب الإسلامي وبخاصة في العهد الزياني، فإننا لا نجد إلا القليل منها رغم اشتهار بعض اليهود في هذه الميادين وتبوئهم لأعلى الرتب وتفوقهم في علوم شتى.

2-2-1-الفلسفة:

عرفت الفلسفة في العصور الوسطى اهتماما ملحوظا من قبل العلماء والمفكرين، خاصة ما تعلق بالفلسفة الإسلامية، واشتهر ابن رشد بآرائه الفلسفية التي ذاع صداها في كل أرجاء المعمورة ولعل اهتمام علماء اليهود بترجمة آراء ابن رشد يبين الأثر الكبير الذي خلفته على التفكير اليهودي، إلى درجة استعمالها في تثبيت العقيدة لدى اليهود. ومن أبرز علماء اليهود الذين نهجوا هذا المنحى نذكر موسى ابن ميمون (530-601هـ/1135-1204م) أشهر فيلسوف يهودي عرفته الأندلس، والذي طابق في كثير من توجهاته الفلسفية الرشدية، وجعلها مصدر أفكاره، وفي كتاب "دلالة الحائرين" -الذي يعد جمعا بين اللاهوت والفلسفة اليهوديتين- نلحظ هذا التوجه، إن لم نقل التطابق بين الفلسفتين، إذ حاول أن يوفق فيه بين العقل والدين كما فعل ابن رشد وابن حزم[1]، وقد كُتب الكتاب باللغة العربية، ثم تُرجم إلى العبرية واللاتينية، والى لغات أوربية أخرى كثيرة.

لاقت أفكار ابن ميمون رواجا بين الأوساط اليهودية، رغم وجود معارضين لها، لكن الطرف الأبرز كان يشيد بها وبقدرتها على تعميق الفهم الديني بين أفراد المجتمع، ونهج علماء وأحبار اليهود هذا النهج وألّفوا على هذا المنوال ومن أبرز الأعمال في المجال الفلسفي على عهد دولة بني عبد الوادي:

[1] بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص502-503.

-كتاب "Maguen Aboth" وترجمته "الدفاع عن الآباء" وهو كتاب فلسفي موجه لعامة الشعب، ألفه "راشباس" سنة 1423م، مدافعا فيه عن نظرته للتلمود وأنه مصدر التشريع اليهودي منذ عهد الأجداد[1].

-كتاب "ماقيد ميشينيه *Maguid Mishné*" لمؤلفه "يهوذا خلاص"، وهو كتاب عن أحد أعمال الفيلسوف ابن ميمون[2].

-كتاب "طريق الحكمة *Derekh Hassekhel*" وقد حارب فيه مؤلفه "يعقوب غابسون Jacob Gabison" -الذي عاش بتلمسان- بشدة معارضي الدراسات الفلسفية بصفة عامة وكتاب دلالة الحائرين لابن ميمون بصفة خاصة[3].

-وقد جرى ذكر رحالة ميورقي قيل عنه أنه فيلسوف، هذا الرحالة مر بمنطقة توات وبالضبط بمدينة تبلبالة سنة 1283م، وإن لم يكن قد ترك مؤلفات تذكر في هذا المجال، إلا أن ما يؤثر عنه في المصادر أنه أظهر للعالم الأوربي واليهود وجود مصطلح القبالة، وقد عاش هذا الفيلسوف في الفترة بين (1235-1315م).[4]

---

[1] Daniele, Iancu-Agou, Les Juifs méditerranéens au Moyen Âge, culture et prosopographie, Séminaire de l’année universitaire 2005-2006, avec la collaboration d’Elie Nicolas, Les Editions du CERF, Paris, 2010, P 121.

[2] فوزي سعد الله، يهود الجزائر -هؤلاء المجهولون-، ص203.

[3] بوعمامة، مرجع سابق، ص 188.

[4] Jacob Oliel, Les Juifs au Sahara, op. cit., P 158.

2-2-2- التاريخ والجغرافيا:

لم يهتم اليهود كثيرا بعلم التاريخ والجغرافيا، لذلك لم تظهر لهم مؤلفات في هذا المجال، غير أن هناك إشارات إلى تدوين بعض الوثائق خاصة ما تعلق منها بالمراسلات بينهم، ولعل أهم هذه المراسلات هي التي كانت تتم بين أفراد من المجتمع اليهودي وأحبارهم، خصوصا بعد قدوم الميغوراشيم إلى البلاد الزيانية، وتبوئهم لمركز الإفتاء والقضاء بين أفراد طائفتهم، ما جعل هؤلاء يلجؤون إليهم للاستفسار والاستفتاء، وفك الخصومات والمنازعات بينهم، وقد تم توثيق بعض هذه المراسلات وإن لم يكن بالدرجة الكبيرة، مثل التي كانت عليها الحال بالنسبة لوثائق جنيزة القاهرة، بعض هذه الرسائل التي حفظتها الجنيزة واكتشفت مع مئات الآلاف من مثيلاتها -والتي تغطي أكثر منطقة المشرق الإسلامي وبخاصة البلاد المصرية-، تظهر طلبا للفتوى أو ردا من الأحبار اليهود وبالأخص كل من ريباخ وراشباس وابنه، وفي نفس الوقت تعطي معلومات تاريخية وجغرافية مهمة عن بلاد المغرب الإسلامي في فترة الحكم الزياني.

وكنموذج عن هذه المراسلات نذكر الرسبونسة رقم 33و 34، من مجموعة رسبونسات سلومون بن شمعون الذي تولى رئاسة الطائفة اليهودية في مدينة الجزائر بين سنوات (1444-1467م) بعد وفاة والده، تظهر هاتين المراسلتين تواجد العنصر اليهودي كتجمع كبير في مكان يسمى "دلدول[1]" بين منطقتي توات وقورارة، كما تظهر المراسلة حالة اللاأمن التي كانت تتسم بها المنطقة في الفترة الممتدة بين (1444-1467م) في إقليم توات، خاصة بالنسبة للتجار الذين يتعرضون باستمرار لهجمات قطاع الطرق فيموتون إما قتلا وإما عطشا في الصحراء القاحلة، مثلما حدث للتاجر اليهودي المسمى "روبن Reuben"[2].

[1] لا زالت هذه التسمية والمكان قائما إلى وقتنا هذا، وهي عبارة عن مدينة تابعة إقليميا لولاية أدرار الجزائرية، الواقعة إلى الجنوب الغربي من البلاد الجزائرية.

[2] Jacob Oliel, Les Juifs au Sahara, op. cit., P 98-99.

كذلك تعلمنا بعض المصادر عن بعض الرحالة المسيحيين أو اليهود الذين جابوا بلاد المغرب الإسلامي ودونوا ملاحظاتهم، ومشاهداتهم فأصبحت بذلك دليلا تاريخيا وجغرافيا على المنطقة، ومن هؤلاء الرحالة الجنوي "أنتونيو مالفنت Antonio Malfent" (1409-1450) وهو تاجر من أصول جنوية كان مقيما بميورقة، قام برحلته سنة 1447م إلى إقليم توات وبالتحديد إلى مدينة تمنطيط التي أقام بها عند رئيسها "يحي بن إدير"، وكتب منها رسالة أعطى فيها تفاصيلا مهمة عن الحياة والمجتمع التواتي في منتصف القرن التاسع الهجري، الخامس عشر للميلاد، وكانت مهمته الأصلية هي اكتشاف طريق الذهب، ورسالته هذه وجهت إلى من بعثه في هذه المهمة وهو التاجر الجنوي "جيوفاني ماريانو Giovani Mariano" وقد اكتشفت هذه الرسالة من طرف الكاتب "شارل دولارونسيار Charles de la Roncière" في بداية القرن الماضي.[1]

وقد أمدتنا هذه الرسالة بمعلومات تاريخية وجغرافية، فعن معلوماتها التاريخية فهي تتحدث عن وضع اليهود في إقليم توات وتحكمهم في الأسواق والتجارة بشكل كبير ورئاستهم للقوافل التجارية، وكذا بعض طوائف اليهود في هذا الإقليم الصحراوي ومنهم الفلسطينيون والذين يمثلون اليهود المنحدرين من نسل "جالوت"، بالإضافة إلى العرب الذين يشكلون نسبة كبيرة من سكان المنطقة، ولهم معرفة واسعة وخبرة كبيرة بالطرق والمسالك، كما ذكر في رسالته العنصر التارقي الذي يمثل قبائل الملثمين الضاربة في أعماق الصحراء، وكذا عمل الأدلاء في الطرق التجارية لأنهم أصحاب خبرة بها وهم أدرى بالمسالك الآمنة، وهم يأخذون على عملهم هذا أجورا كبيرة.

أما فيما يخص المعلومات الجغرافية فيتحدث "مالفنت" في رسالته عن المسالك بين هنين المجاورة لعاصمة الزيانيين والتي بدأ منها رحلته إلى إقليم توات وتفضيل التجار لهذا المسلك على المسلك القديم الذي يمر عبر "تبلبالة" لأن هذا الأخير أصبح يشكل خطرا كبيرا عليهم بسبب نقص الأمن وتعرضه المستمر لهجمات قطاع الطرق، والمدة التي يمكن أن يقضيها سالكو هذه الطريق

[1] Jacob Oliel, Les Juifs au Sahara, op. cit., P 158.

للوصول إلى "تمنطيط"، التي أنقصت من القيمة الاقتصادية التي كانت تحتلها مدن "سجلماسة" و"درعة" بعد أن هجرها التجار، كما وذكر في رسالته أعداد قصور إقليم توات والتي تتراوح بين 150 و200 قصر وسكانها الذين يشكل اليهود عددا معتبرا منهم ويحتلون بينهم مكانة كبيرة، ويسيطرون فيها على الحياة الاقتصادية.

وأورد "مالفنت" تصورا لبعض الأودية المتواجدة بالصحراء مثل نهر النيل الذي يشق إفريقيا، ونهري النيجر، والسينغال الذي يشكل حسبه أحد الأنهار الكبرى في المنطقة والذي يقسمها إلى قسمين[1].

وتذكر بعض المصادر وجود جغرافيين تمكنوا من رسم خرائط لبلاد المغرب والسودان وحتى البحر المتوسط، منهم المسيحيون واليهود، وأغلب هؤلاء من أصل ميورقي، وذلك بسبب حرص المسيحيين على معرفة تفاصيل الجغرافيا في البلاد التي حاولوا الاستيلاء عليها والسيطرة على منابع ذهب السودان ومعرفة مسالكه، لذلك كلف ملوك ميورقة بعضهم برسم هذه الخرائط، وقد ظهر منهم في القرن الثامن هجري، الرابع عشر ميلادي "أ.ديلسار A.Dulcert"و"أبراهام غراسك أو القريشي Abraham Gresques"، "سوليري Soleri" "ميسيا دوفيلاديست Mecia De Villadestes" و "جوان دوفالسيكا Juan De Vallsecha". وقد برع هؤلاء في رسم الخرائط الجغرافية وخاصة منها البحرية، وأتقنوا وضع مواقع لجزر البحر، حتى غدا ما صنعوه يحتل المرتبة العليا في علم البحار والخرائط، من حيث دقته وجماله وبفضلهم أصبحت مدرسة ميورقة مشتهرة عالميا.[2]

ولم يتوقف الأمر بهؤلاء الجغرافيين عند هذا الحد، بل برعوا كذلك في صناعة الأدوات المستعملة في البحرية وحتى في علم الفلك والنجوم، فقد صنع اليهودي يعقوب بن مخير بن تبون المتوفى سنة 1303م الأسطرلاب الذي حمل أسماء أكبر المدن في الجانب الإسلامي كسلا وطنجة

[1] انظر تفاصيل هذه الرسالة عند.Jacob oliel, Les Juifs au Sahara, op. cit., P 85-95
[2] Ibid, P 83.

ووزان، وتعدى إلى مدن المشرق الإسلامي كالقاهرة ومكة المكرمة والمدينة المنورة، وخاصة ذكره لمدينة سجلماسة، وإشارته إلى إقليم توات[1].

كما ترجم "موسى بن طيبون" كتاب "البطروجي" وهو كتاب في الهيئة وعلم الفلك إلى اللغة العبرية وذلك سنة 1296م[2]، وربما يكون "بن طيبون" هذا هو نفسه "بن تبون" الذي صنع الأسطرلاب، وذلك بسبب تشابه اسميهما وفترة حياتهما.

وساهم جغرافيون آخرون في رسم خرائط كافية وموسعة عن كل بلاد المغرب والغرب المسيحي، مثل "أطلس كتالان" "L'Atlas de Catalane" أو يسمى "أطلس شارل الخامس" "L'Atlas de Charles V" المؤلف سنة 1375م، وصاحبه هو "أبراهام غراسك" الذي أصبح أحد أبرز الأعمال في مجال الجغرافيا ومنه استمد اللاحقون معظم المعلومات عن جغرافية هذه المنطقة[3]. وقد حدد فيه خاصة الأودية المؤدية إلى بلاد السودان أي إلى مناطق تواجد الذهب، وركز فيها على الطريق البادئة بمدينة تلمسان.[4]

بينما استطاع "دوفيلاديست" المذكور سابقا رسم خريطة شاملة لإفريقيا والصحراء، أثبت فيها الطريق العابرة للصحراء الشرقية مرورا بتقرت والقصر الكبير والهقار وإنزيزا إلى غاية تمبكتو، كما أورد فيها الطريق القديمة المارة عبر تمنطيط وبودا أكبر مدن إقليم توات لذلك العصر، وصولا على أنهار النيجر والسينغال مع تحديد بعض الأودية الفرعية في تلك المناطق، وذكر فيها الطريق التي تعبر شمال بلاد الصحراء وتقطعها عرضيا إلى غاية البحر المحيط.[5]

---

[1] الزعفراني، يهود المغرب والأندلس، ج1، ص 68.

[2] محمد طالبي، إشعاع الحضارة المغربية وتأثيرها على الحضارة الغربية، ضمن كتاب تاريخ إفريقيا العام، مج4، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام، اليونسكو، باريس، 1988م، ص 92.

[3] Dufourcq, L'Espagne Catalane, op. cit., P 144-145.

[4] Dhina, Le Royaume Abdelouadide, op. cit., P 57.

[5] Jacob oliel, Les Juifs au Sahara, op. cit., P 85.

وقد استقى مؤلفو هذه الخرائط معلوماتهم من طرف التجار الذين كانوا يجوبون المناطق انطلاقا من الممالك المسيحية إلى بلاد السودان، ويعرفون جيدا هذه المسالك والمدن المتواجدة هناك، فهم شهود عيان يروون ما خبروه وشاهدوه وعايشوه، لذلك جاءت هذه الخرائط مقاربة إلى حد كبير الخرائط الحالية، إذ أنها كانت أولى المحاولات لرسم صورة مصغرة عن جغرافيا المنطقة، استغلها علماء الجغرافيا اللاحقون في رسم خرائطهم عن هذه البلاد.

وفي الجانب العمراني تجدر الإشارة إلى أن اليهود خاصة ساكني الصحراء قاموا بتأسيس قصور جديدة مثل "قصر تازولت"، أما الذين استقروا في القصور الأخرى فإنهم اختاروا لأنفسهم أحياء ودروب خاصة بهم مثل "أولاد ميمون" بتمنطيط، هذه القصور والدروب التي أنشأها اليهود تميزت عن غيرها في العديد من المجالات، خاصة في الجانب العمراني، مما جعلهم يشكلون إضافة في هذا المجال، فظهرت العمارة اليهودية التي شيدت من نفس المواد المحلية (الطين والحجارة)، وتختلف عن العمارة البربرية بشكلها الدائري في غالب الأحيان، والبرج الواحد الذي يتوسطها، وهي عبارة عن قلعة تتموضع فوق مرتفع وتتكون من أزقة رئيسية وأخرى ثانوية، ومساكنها بها حجرات تحت أرضية (دهاليز)، بالإضافة إلى بناء المعابد الخاصة بهم، مثل المعبد اليهودي في قصر "أولاد أهمالي" بتمنطيط الذي عثر به على حجر منحوت بالعبرية.[1]

كما أن هناك أسطورة تقول أن قلعة المنصورة التي بناها السلطان المريني أبو يعقوب يوسف بن عبد الحق أثناء حصاره مدينة تلمسان لسبع سنوات من سنة 699هـ إلى غاية 706هـ، قد تولى بناءها مهندس يهودي لا يُذكر اسمه، وبما أن المسجد كان في أسفل القلعة والسلالم تهبط مباشرة إليه، فإن اليهودي لما وصل إلى قمة البناء مُنع من النزول لئلا يدنس المسجد، ثم تضيف الحكاية كيف أن

[1] محمد قومي، دور يهود توات، ص 103.

هذا اليهودي المجهول حاول الطيران باستعمال ريش الطيور لكنه سقط سريعا وسمي هذا المكان الذي سقط فيه "ممر اليهودي".[1]

هذا وإن كانت الإضافات التي ترويها الحكاية السابقة تعتبر أسطورية إلا أننا يمكن أن نقبل بفرضية أن يكون المهندس يهوديا، على اعتبار أن اليهود قد نبغوا في مجالات متعددة، ولا يستبعد أن يكونوا قد أُستخدموا حتى في البناء، على اعتبار أن المرينيين استعملوهم خلال دولتهم في مجالات عدة.

2-2-3-الطب:

نبغ بعض الذميين في مهنة الطب والتطبيب، وازدهرت على أيديهم العلوم الطبية، ولا سيما بين أولئك المهجرين من بلاد الأندلس، وقد كان أغلبهم يمتهن الطب والفلسفة في آن واحد، بالإضافة إلى تبحره في العلوم الدينية، وقد اهتمَّ اليهود بتعلم الطب، وعدُّوه وسيلةً للكسبِ وللحصول على مناصب رفيعة لدى الحكام[2]؛ وقد تعلم معظم الأطباء اليهود الأندلسيين في المعاهد الإسلامية، على أيدي الأطباء المسلمين الذين تفَوقوا في هذا المجال، وأكثروا فيه التأليف. يظهر ذلك من خلال قائمة تراجم الأطباء الأندلسيين التي أوردها ابن أبي أصيبعة في "عيون الأنباء"، وأشهرُ عالمٍ يهوديّ كتب في الطب، واشتهر به، وتأثر بأطباء المسلمين هو موسى بن ميمون الذي تعلَّم الطب على أيدي المسلمين في الأندلس والمغرب[3]، يقول عنه القفطي: "قرأ علم الأوائل بالأندلس، وأحكم الرياضيات وأخذ أشياء من المنطقيات، وقرأ هناك الطب فأجاده"، ومارسها في مصر، ووضع فيها مؤلفاته الطبيعة التي بلغت عشراً، بين مقالةٍ ورسالةٍ دُوِّنت جميعها بالعربية، منها اختصار الكتب

---

[1] Allouche, Les Juifs d'Algérie, op. cit., P 134.

[2] ينظر: أبو العباس أحمد ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965م، ص488-500.

[3] إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون، حياته ومصنفاته، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ط2، 1355هـ-1936م، ص142.

الستة عشر للطبيب الإغريقي "جالينوس"، والذي يسمى كتاب "المختصر"، الذي تحدَّث عنه القفطي بقوله: "وصنف مختصراً لواحد وعشرين كتاباً من كتب جالينوس، فجاء في غاية الاختصار"[1] ومقالة في البواسير وعلاجها، ومقالة في السموم والتحرز من الأدوية القَتالَّة[2].

ومن أبرز أمثلة هؤلاء الذين برزوا في العلوم الطبية ونبغوا فيها خلال عهد دولة بني عبد الواد نذكر:

-إفرايم أنقاوة وهو الطبيب الشهير والحبر بمدينة تلمسان وقد زاول بها مهنة الطب بعد تهجيره من الأندلس سنة 1392م، وقد تمكن من إيجاد دواء لابنة السلطان الزياني آنذاك وهو أبو العباس أحمد بن أبي حمو موسى الثاني الملقب بالعاقل الذي حكم بين (834-866هـ/1428-1462م)، وهذا بعد أن عجز الأطباء عن إيجاد دواء شاف لها، فكافأه السلطان بالسماح لليهود بسكنى مدينة تلمسان بجوار قصره بعد أن كان لا يسمح لهم بالدخول إليها[3].

-وكان موشي بن صموئيل المعروف بابن الأشقر يعد من أشهر الأطباء وأمهرهم قدوة وحذقا في ميدان الطب، وزاول بمدينة تلمسان مهنته، وقد قال عنه الرحالة المصري "عبد الباسط بن خليل" الذي زار المدينة حوالي سنة 867هـ/1462م، "أنه لم يعرف ذميا أمهر ولا أقدر في صنعته منه"[4]، حتى صار الطبيب الخاص للبلاط الزياني والمقرب من أمرائه، وقد تعلم عبد الباسط على يدي هذا الطبيب اليهودي نبذة نافعة من الطب-كما قال-، وأجازه في ذلك.

ويذكر ابن مرزوق في مسنده عن طبيب ماهر في تلمسان فيقول :"ولما استولى مولانا على تلمسان-ويقصد أبا الحسن المريني- جرى ذكر يهودي كان بها مشتهرا بالمهارة في الطب، وكان عجبا

---

[1] جمال الدين القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، دار الآثار، بيروت، د.ت، ص 329.

[2] ولفنسون، موسى بن ميمون، ص150.

[3] Allouche, Les Juifs en Algérie, op. cit., P 134-135.

[4] عمر عبد السلام التدمري، مشاهدات وأخبار عبد الباسط الظاهري في بلاد المغرب والأندلس من خلال كتابه المخطوط "الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم (866-871هـ/1462-1467م)"، ضمن كتاب من مظاهر التضامن المغاربي عبر التاريخ، إعداد عبد الكريم كريم، 1424هـ/2003م، ص 192. انظر كذلك Robert Brunschvig , Deux récits de voyages inédits en Afrique du Nord, Paris 1936, P 107.

في نوعه ونحن بفاس، وكان قد عرض لمولانا في باطن كوعه الأيمن وجع بسبب بلغم تحجر فيه، فعاناه جهده، فقال قائل:"نبعث عن اليهودي المذكور" فلم يعرج عليه، فلما وصلنا إلى تلمسان جرى ذكرهن فقال لي :"وجه عنه" فجاء، فسئل عن الشكية، فاستفسر عن السبب وعما عولجت به الشكية، ثم تحدث فيها فبالغ في الإجادة وشرح السبب والعلامات وذكر العلاج، فأطنب الحاضرون في استحسانه"[1].

لكن السلطان المريني لم يقبل منه العلاج إلا أن يسلم فيجعله مقربا منه وطبيبا وأمينا، لكن هذا اليهودي لم يقبل رغم محاولات ابن مرزوق واجتهاده في ذلك، ويذكر أنه قد صنع للسلطان مرهما ووصف له علاجا لدائه، لكنه لم يقبل منه ولم يعمل به[2].

وكان إبراهيم بن زميرو –المذكور سابقا في ميدان الشعر- طبيبا كذلك[3].

-ومن الأطباء الذين اشتهروا كذلك نجد عائلة "غابيسون Gabison"، الإشبيلية الأصل التي هاجرت إلى الجزائر سنة 1492م، وكان "أبراهام غابيسون Abraham Gabison" من بين أشهرهم وامتهن الطب ونبغ فيه مما جعله يشتهر في مدينة تلمسان، ثم انتقل إلى مدينة الجزائر بعد زوال الدولة الزيانية، اشتغل هنالك طبيبا للباشا العثماني أحمد أعراب (1571-1574م)، وعاد إلى مدينة تلمسان سنة 1579م لمعالجة المرضى الذين عصف بهم الطاعون، والذي أودى بحياة أرواح الكثيرين في مدينة بني عبد الوادي، ويبدو أنه مات متأثرا بالوباء عن عمر ناهز 59 سنة[4].

---

[1] ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، ص 381.

[2] المصدر نفسه، ص ن.

[3] Nicol Serfati, Les courtisans Juifs des Sultans Marocains 13e-18eme siècle – hommes politiques et hauts digniataires XIIIe-XVIII Siècles, Préface de Haïm Zafrani, Editions Bouchène, Saint Denis, France, 1999, P 115.

[4] سعد الله، يهود الجزائر –هؤلاء المجهولون-، ص 204-205.

وقد كان شمعون بن سماح دوران "راشباس" طبيبا في بداية حياته العملية في مدينة "بالما" بجزيرة ميورقة، وكان يأمل أن يعيش من خلالها حياة رغيدة، لكنه عند هجرته إلى الجزائر لم يجد ضالته في ممارسة هذه المهنة، ربما لعدم إقبال الناس عليه، أو لكون سكان الجزائر كانوا يفضلون التداوي بالأعشاب على الطب الحديث الذي كان يمارسه راشباس[1]. وتظهر بعض ملكاته في عالم الطب في مؤلفه السابق الذكر "Maguen Aboth أو الدفاع عن الآباء" الذي يظهر فيه إطلاعه في ميدان التطبيب، حيث أورد معلومات عن الدورة الشهرية للمرأة وتأثير ذلك على العلاقة الزوجية وعلى الأطفال، ثم ذكر بعض آراء علماء اليهود عن ذلك وحتى أنه حاول في بعض المرات رد رأي "ابن سينا" بخصوص طبيعة الرجل والمرأة بين الحارة أو الباردة، ثم عرّج على ذكر العوامل المتحكمة في إنجاب الذكور أو الإناث، إلى غير ذلك من المعلومات المتعلقة بالزواج والإنجاب[2].

وكان ابنه سلومون الذي تولى بعده رئاسة الطائفة اليهودية بمدينة الجزائر دارسا للطب والعلوم في بداية تعلمه، إلى جانب دراسته الدينية[3].

واشتهر قبل هؤلاء "أستروك كوهين Astruc Cohen" وهو من أوائل المهاجرين من الأندلس إلى الجزائر قبل سنة 1391م، وقد كان طبيبا خاصا للسلطان الزياني "أبو تاشفين الثاني" ومقربا منه[4].

---

[1] Jews Encyclopedia, op. cit., V6, P 302.

[2] Henri Jahier et A. Fingerhuth, Extrait du « Maguen Aboth » « Le Bouclier des Pères » du Grand Rabbin d'Alger, Simeon ben Zemah Duran, Imprémerie Abécé, Paris, 1955, P 1-8.

[3] Jews Encyclopedia, op. cit., V6, P 306.

[4] سعد الله، يهود الجزائر –هؤلاء المجهولون-، ص 109.

3-أبرز علماء أهل الذمة:

3-1-إسحاق بن شيشيت برفات: Issac Bar Chechet Barfet:

المعروف بريباخ (وهو الذي سبق ذكره في محور وظيفة الناجد في الفصل الأول)، وقد درس مع أعلام اليهودية الكبار مثل "بيريز هاكوهين Perez Ha Cohen" "ونسيم جيروندي Nissim Gérondi" نسبة إلى مدينة "جيرونده Géronde" التي اشتغل بها حاخاما قبل أن ينتقل إلى مدينة سرقسطة وقلعة اليهود (Calatayud) أو قلعة أيوب[1]، وكتالونيا، وبلنسية، وطرطوشة، وقد كان على رأس الطائفة اليهودية في مدينة سرقسطة سنة 1372م.[2] وبعد أحداث 1391م والتهجير القسري لليهود من الأندلس، غادرها إلى بلاد المغرب واختار مدينة مليانة أولا ملجأ له ثم استقر نهائيا بمدينة الجزائر وحظي بتعيين السلطان الزياني وعلى الأرجح هو الأمير "أبو تاشفين الثاني" الذي حكم بين سنوات(791-795هـ/1389-1393م) كحاخام أكبر (Grand Rabbin) لكل الطائفة اليهودية المتواجدة على الأراضي التابعة لحكم بني عبد الواد، وكان ذلك بدعم من الطبيب الخاص والمقرب من السلطان الزياني "أستروك كوهين Astruc Cohen"[3].

وظل في منصب الحاخام الأكبر حتى وفاته سنة 811هـ/1408م على أرجح الأقوال، وهو أول حاخام يعين مباشرة من طرف السلطة الإسلامية دون إجماع وانتخاب من طرف طائفة اليهود مثلما جرت عليه العادة، وهذا ما لاقى رفضا من قبل يهود الجزائر آنذاك[4].

لقد كان ريباخ قبل قدومه إلى الجزائر صديقا وشريكا في المناظرات الاجتهادية الروحية اليهودية في الأندلس لـ: "موسى بن عباس Mosse ben Abas"،" بن فينيست دي لاكافاليريا

---

[1] انظر الأمير شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، الجزء الأول، المطبعة الرحمانية، مصر، الطبعة الأولى، 1355هـ/ 1936م، ص 106.

[2] Allouche et Laloum, Les Juifs d'Algérie, p, cit, P 220.

[3] فوزي سعد الله، يهود الجزائر -هؤلاء المجهولون-، ج1، ص 109.

[4] C. Cahen, Histoire des Juifs de l'Afrique septentrionale, op. cit., P 57.

و"حسداي غريسكاس (أو القريشي) الأرغوني Hasdaï Benvenist de la Cavalleria Grascas d'Aragon"، إضافة إلى أن هذا الزعيم الروحي الإسرائيلي كان يمثل جيلا جديدا من المثقفين ورجال الدين اليهود الداعين للعودة إلى الدراسة الخالصة للتلمود والتوراة الحصن الواقي الوحيد لوحدة يهود الممالك الإسبانية في عهد المجازر المسيحية الأولى[1].

وبنظرة روحية تصوفية فإن هذه الفلسفة في الحقيقة تبدو صدى للمدرسة السلفية الإسلامية التي تبلورت مع ابن تيمية في المشرق واتخذت لنفسها أشكالا متعددة في الجزائر، مثلا، وفي المغرب على يد مجموعة من الفقهاء منهم "عبد الحق الإسلامي السبتي" المعاصر للسلطان المريني (801-831هـ/1398-1427م)[2] ومحمد بن عبد الكريم المغيلي (ت 909هـ/1504م)، وهي حركات تدعو إلى العودة إلى أصول الدين ومراجعه الأساسية بصرامة كرد فعل على الانحطاط والضعف الذي مس الأمة[3].

شارك ريباخ مع صديقه راشباس في وضع تقانوت الجزائر التي نشرت فيما بعد بإسطنبول سنة 1546م، والتي نظمت الحياة المدنية والدينية لليهود في الجزائر، وقد حاولا إدخال نوع من الديمقراطية في القرارات، وأصبحت السلطة داخل المجتمع اليهودي بيد مجلس يضم كبار الحاخامات، ولم تعد للأطراف الخارجية يد في تسيير وظيفة الناجد، بل غدت سلطة الانتخاب هي السائدة وأي شيء يراد تقريره يمر عبر الإعلان عنه ثم التصويت في يوم السبت قبل إخراج لفائف التوراة (السفاريم Sépharim)، وبفضل جهود هذين الربيين أصبحت مدينة الجزائر القطب الرئيسي لليهودية الشمال إفريقية[4].

---

[1] فوزي سعد الله، يهود الجزائر -هؤلاء المجهولون-، ص 109-110.

[2] محمد المنوني، التيارات الفكرية في المغرب المريني، مجلة الثقافة المغربية، العدد 5، المغرب، 1391هـ/1971م، ص 93-94.

[3] فوزي سعد الله، يهود الجزائر، ص 110.

[4] Allouche et Laloum, Les Juifs d'Algérie, p, cit, P 220.

3-2- شمعون بن سماح دوران Shimon Bar Shemah Duran:

الملقب براشباس أو راشباخ، ولد في ميورقة، ودرس بها في مدينة بالما على يد الربي "إفرايم فيدال Ephraim Vidal " الذي توفي سنة 1391م، وفي أرغونة على يد "جناح ديمستري Jonah Desmastre"، وتزوج ابنته فيما بعد، وأصبح بفضل هذه المصاهرة ينتسب إلى أشهر الأسر اليهودية.[1]

وبعد أحداث سنة 1391م في الأندلس، هاجر مع عائلته إلى الجزائر تاركا ثروته وراءه، مع كثير من أبناء جلدته، وقد صاحب في هذه الهجرة رجل الدين إسحاق بن شيشيت برفات، هجرتهم هذه كانت إضافة كبيرة للأهالي من اليهود، إذ أنهم احتلوا مركز رئاسة الطائفة وغيروا الكثير من القوانين التي كان أهل البلاد من أبناء ديانتهم يتبعونها.

وربما كان عدم نجاحه المهني في الطب من أحد أسباب تحوله إلى امتهان التنظيم الطائفي خلفا لصديقه "بن شيشيت"، من جهة، ومن جهة أخرى لأنه عندما قبل تعيينه على رأس الطائفة اليهودية بمدينة الجزائر كان أول من تقاضى أجرا على هذا المنصب، وقد أدى به هذا إلى تبذير طاقة وجهد كبيرين في الدفاع عن نفسه من ألسنة أبناء جلدته الذين كانوا يرددون أنه يتاجر بالدين، وأنه حول العقيدة الموسوية إلى سجل تجاري ومصدرا لاكتساب المال، فقدم لهم الفتاوى والأدلة الشرعية على جواز تقاضيه لأجره وعدم تناقضه مع شريعة موسى، وأنه لم يكن بحاجة لهذا الأجر كي يعيش لأنه من عائلة ميسورة الحال[2].

وقد اجتهد راشباس كثيرا في تغيير عادات اليهود الأهالي الذين اتبعوا عادات البلاد التي سكنوها وابتعدوا- حسب رأيه- عن تعاليم دينهم، إذ يقول عنهم ريباش:"حين قدمنا إلى هذه البلاد لم نجد عادات يهودية، لأن سكان هذه البلاد لم يعتادوا الحكم في منازعاتهم وفقا لقوانين ديانتنا،

---

[1] Jewish Encyclopedia, op. cit., V6, P 302.

[2] فوزي سعد الله، يهود الجزائر، ص 111.

فجميع القضايا كانت تعرض على القاضي المسلم". وهذا ما لم يتقبله الربيان وعدوه بمثابة خيانة يعاقب عليها التشريع اليهودي.[1]

لقد حاول راشباس -الذي كان مستاء من تعيين ريباش في منصب الناجد- إثبات أحقيته برئاسة الطائفة اليهودية في الجزائر، لأنه كان يرى في نفسه الكفاءة والمقدرة على تحمل تبعات هذا المنصب إلا أن احترامه لرفيقه وكبر سنه منعاه من إبداء هذا الرأي صراحة، غير أنه كان يقوم في الواقع بإثبات جدارته حتى بتصرفات غير لائقة، إذ يقول عن نفسه في مجموعة أجوبته (رسبونسة) المعروفة بتاشباص"Tashbaz":" لقد كنت طفوليا وتصرفت بوقاحة اتجاه الربي الذي كان كبيرا وصاحب علم"[2].

وقد تعاون الربيان على تقديم قوانين جديدة تحكم الطائفة اليهودية وتغير من تقاليدها التي ورثتها عن المسلمين، لذا فقد قدما ما يسمى "بتقانوت الجزائر" وهي مجموعة الفتاوى التي وضعها ريباش وراشباس سنة 797هـ/1394م وتتكون من اثنتي عشرة مادة. إلى جانب ذلك فقد قدم راشباس إجابات على ما كان يرِده من نوازل ومستجدات من مختلف مناطق الدولة الزيانية أو غيرها، وكان له في ذلك معاونين من بينهم تلميذه "أبراهام هاكوهين شلال " بميناء "هنين"، وكانت له اتصالات مع يهود توات وقسنطينة وتلمسان...

وترك راشباس بعد وفاته إرثا ثقافيا كبيرا في التشريع والأدب والشعر والفلسفة ورسائل كثيرة ذكرها في مجموعة أجوبته[3]، كما تداولت ذريته على منصب الزعامة ورئاسة الطائفة اليهودية في مدينة الجزائر، فقد خلفه ابنه سلومون أو سليمان في هذا المنصب إلى غاية سنة 1467م، ثم خلفه ابنه سماح بن سلومون إلى غاية سنة 1500م ثم أخوه شمعون دوران الثاني حتى وفاته سنة 1502م، ثم

[1] الزعفراني، يهود الأندلس والمغرب، ج2، ص 357.

[2] Jewish Encyclopedia, op. cit., V6, P 302.

[3] هذه المؤلفات مذكورة في Jewish Encyclopedia, op. cit., V6, P 305.

انتقلت الرئاسة إلى شمعون بن سماح إلى غاية سنة 1531م[1] وبقيت في فرع آل دوران حتى انتقلت إلى عائلة بوشعرة في العهد العثماني بداية من سنة 1735م[2].

ويبدو أن منصب المقدم أو الناجد كان من المناصب المتوارثة، إذ بقي أفراد عائلة دوران يتوارثونه لستة أجيال كاملة، ورغم ضياع المنصب وخروجه من أسرتهم إلا أنهم كانوا طرفا هاما في الصراع الذي حدث حوله بين أكبر العائلات اليهودية، فبعدما فقدت هذه العائلة زعامة جماعة اليهود لمدة 71 سنة، تمكن أحد أفرادها ويدعى "دافيد دوران David Duran" من تولي الوظيفة مرة أخرى سنة 1805م، إلا أنه لم يبق في منصبه إلا أشهرا معدودة، فقد تمت إقالته من طرف الداي أحمد باشا في جويلية 1806م[3].

وتوفي كل من ريباخ وراشباس بمدينة الجزائر، ودفنا إلى جوار بعضهما البعض بالمقبرة اليهودية خارج القصبة بمحاذاة الباب الشمالي الغربي للحي المعروف "بباب الوادي"، وفي سنة 1844م أصدر الحاكم العام للجزائر قرارا في 11 مارس جعل المقبرة اليهودية ملكا للإدارة الاحتلالية ريثما تبدأ هذه الأخيرة في إنجاز مشاريع عمومية كانت تقتضي حسبها تحويل المقبرة إلى مكان آخر. وفي سنة 1880م حولت رفاتهما لأسباب عمرانية أثناء توسيع المدينة إلى مقبرة بولوغين الحالية، حيث مازالا محل تقديس وتبرك من طرف اليهود الجزائريين وحتى الفرنسيين، وأول ما يقوم به عادة اليهود العائدون إلى البلاد بعد رحيل 1962م هو زيارة ضريح الحاخامين أو الربانيم "Rabbanim" كما يقال بالعبرية، وإشعال الشموع على قبريهما وتلاوة أسفار من التوراة والعهد القديم والدعاء والتضرع لهما[4].

---

[1] بوعمامة، اليهود، ص 172. (انظر أسماء الذين تداولوا على رئاسة الطائفة اليهودية في مدينة الجزائر في الملحق رقم 03).

[2] طوبال، طائفة اليهود بمجتمع الجزائر، ص 130.

[3] المرجع نفسه، ص 134.

[4] فوزي سعد الله، يهود الجزائر، ص 166.

3-3-إفرايم بن إسرائيل أنقاوة Ephraim ben Israel Ankoa:

طبيب وربي وفيلسوف يهودي من أتباع موسى بن ميمون، واضع لبنة المجتمع اليهودي التلمساني، نزح من إسبانيا ومن التعسف المسيحي بها، بعد أن قتل والداه في أحداث سنة 1391م، وتقول الأسطورة اليهودية أنه قدم إلى شمال إفريقيا على ظهر أسد متخذا من ثعبان لجاما له، وحط رحاله أول الأمر بمدينة مراكش ظنا منه أنها لا تزال مدينة الأطباء، ولم يمكث بها سوى شهر، غادرها متوجها إلى تلمسان التي طاب له بها المقام، وحدث أن مرضت البنت الوحيدة للسلطان الزياني وهو أبو العباس العاقل، ورفض كل العطايا التي قدمت له من طرف السلطان كمكافأة له، وكان طلبه الوحيد هو إسكان الجماعة اليهودية داخل مدينة تلمسان، وهو ما قبله السلطان وأمر بإسكان اليهود بجوار قصر المشور، وكان اهتمام "أنقاوة" الأول هو إنشاء بيعة كبيرة لتعليم شريعة موسى[1]، وهو ما حققه إذ بنى في عهد الدولة الزيانية كنيسا يحمل اسمه ولا يزال قائما إلى حد الآن، وفي نفس المكان بنى ابنه "إسرائيل Israel " مدرسة كانت موجهة للتعليم العالي لشريعة موسى، وأطلق على هذه المدرسة اسم "Masria "[2].

وبعد وفاته سنة 1442م دفن بمقبرة خارج مدينة ندرومة لا تزال محجا ليهود الجزائر والعالم. وقد خلف بعد وفاته ابنين أحدهما: "يهودا Judah" الذي استقر بمدينة وهران، والآخر إسرائيل – المذكور سابقا- والذي بقي بمدينة تلمسان وهو والد زوجة "سماح بن دوران".[3]

وقد ترك "أنقاوة" عدة مؤلفات بعضها لا يزال مخطوطا تضم معظمها نصائح إلى ولده، وأجوبة على بعض الانتقادات تجاه الفلسفة الميمونية. وأناشيد دينية لا تزال ترتل في المعابد اليهودية وفي الصلوات[4].

---

[1] Jewish Encyclopedia, Vol 06, P 127.

[2] Darmon, origine et constitution de la communauté Israélite de Tlemcen, P 381.

[3] Jewish Encyclopedia, Vol 06, P 127.

[4] Ibidem.

3-4-يوسف الأشقر Joseph Alaschkar:

المعروف بـــ"الركيز Er-Rkyèse" عاش في القرن 9هـ/15م، اسمه الكامل يوسف بن موسى الأشقر من أسرة إسبانية عريقة، جده الأول هو السموأل المولود حوالي 1310م بإشبيلية، وكان طبيبا، غادر ابنه يهودا إشبيلية واستقر بمالقا بعد موجة الاضطهادات التي تعرض لها اليهود عام 1391م، وأصبح على رأس الجماعة اليهودية، كان ليهودا ابنٌ وُلد حوالي 1380م، صار رجل دين وشاعرا، له قصيدة تضم حوالي 51 بيتا حول الأحكام الغذائية اليهودية، ورزق بولدين يهودا ويوسف، أصبحا من رجال الدين وبعد قرار الطرد عام 1492م انتقل الأخوان إلى بلاد المغرب، فاستقر يهودا بمدينة مستغانم واختار يوسف مدينة تلمسان والتي أصبحت منذ عام 1391م مركزا للعلوم الدينية اليهودية إذ قدم إليها العديد من رجال العلم والدين اليهود من غرناطة وإشبيلية ونقلوا إليها علومهم ومعرفتهم[1].

أصبح يوسف الأشقر بعد استقراره في تلمسان رئيسا لمدرسة "الياشيفاه"، وكان ذا إنتاج علمي غزير سواء في التشريع والتفسير، وحتى الشعر لكن أيا من كتبه لم ينشر إلا قصيدة في مدح معاصره سلومون بن شمعون دوران بعنوان "*Tikkon Soferim*"[2].

وتنسج حول شخصية يوسف الأشقر روايات بلغت حد الأساطير منها أن الحاخام توفي في منتصف نهار الجمعة، وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة وهو في كامل قواه العقلية طلب من تلاميذه أن يضعوا مسمارا في جدار البيت وألا ينزعوه حتى ينتهوا من مراسيم دفنه، فنفذ التلاميذ وصيته، لكن تخوفهم كان من عدم مقدرتهم على إتمام المراسيم قبل حلول الغروب ودخول يوم السبت، لكن الحدث الذي أبهر الجميع هو أن كل الطقوس وحتى الدفن وكل ما يتعلق به قد انتهت والشمس لا تزال في الأفق، وبعد العودة إلى منزل الحاخام ثم نزع المسمار من الجدار فاختفت الشمس مباشرة

---

[1] بوعمامة، اليهود، ص 177-178.

[2] Jewish Encyclopedia, op. cit., V 02, P 511.

وحل الظلام، فآمن الحضور بقداسة الربي وأنه هو الذي عطل بمعجزاته غروب الشمس حتى ينتهي من دفنه، ويقول "ألفرد بيل" بأن لقب "الركيز" معناه الرجل الذي أوقف الشمس[1].

ولا يزال قبر الركيز إلى جانب قبر الربي أنقاوة مزارا ومحجا لليهود، واعتبر كتاب " *Safenat Paaneah*" ليوسف الأشقر بمثابة صورة ورمز لليهودية الجزائرية المعروفة بصرامتها ودقتها في تطبيق تعاليم الحلخة، وبنظرتها الصوفية إلى التعليم الديني، كون كثير من الجمعيات دراسة الزوهار تكونت وتطورت عن طريق وساطة أكاديميات الجزائر[2].

3-5-علماء آخرون:

-موشي بن صمويل بن يهودا الإسرائيلي المالقي الأندلسي اليهودي المتطبب المعروف بابن الأشقر، يعد من أشهر الأطباء وأمهرهم قدوة وحذقا في ميدان الطب، ولد بمالقة قبل سنة 820هـ/1418م، أخذ هذا العلم عن أبيه واشتهر بهذه الصنعة في الأندلس انتقل إلى تلمسان وحط رحاله بها، حيث زاول مهنة الطب وتدريسه للطلاب المهتمين به فلازمه كثير منهم وتوافدوا عليه من حواضر وأقطار مختلفة طلبا لهذا العلم مثل الرحالة عبد الباسط بن خليل، وقد أخذ ابن الأشقر شهرة كبيرة في مدينة تلمسان وذاع صيته خارجها، وانتهت إليه رئاسة الطب، حتى صار الطبيب الخاص والمقرب للبلاط الزياني[3].

-يوسف إفرايم قارو Joseph Ephraïm Caro: (1488-1575م) وهو شخصية مخضرمة عاشت نهاية عصر الدويلات في المغرب الإسلامي وبداية العهد العثماني، وأحد أعلام عصره الذين ملأوا الفراغ الذي تركه لدى الطائفة اليهودية موت ريباخ وراشباس، وكان يوسف قارو حاخاما إسباني الأصل، وأقام مدة طويلة في الجزائر ثم لجأ إلى مدينة صفد احتجاج على ما كان يعتبره تجاوزات دينية لليهود في الجزائر، كان واسع الثقافة الدينية اليهودية ومطلعا على الهموم الروحية والفكرية والتنظيمية

[1] بوعمامة، المرجع السابق، ص 179-180.

[2] Allouche et Laloum, Les Juifs d'Algérie, op. cit., P 222.

[3] فيلالي، تلمسان، مرجع سابق، ج1، ص 249.

لبني إسرائيل، خاصة وأنه تنقل بين مختلف الجاليات العبرية والبلدان الإسلامية والمسيحية، وترك للطائفة اليهودية عدة مؤلفات أبرزها، بيت يوسف، وشولحان عاروخ أي المائدة المنضودة الذي أصبح المرجع الديني الأول ليهود شمال إفريقيا ومصر والمشرق[1].

وانتشر مذهب يوسف قارو بين الأحبار المغاربة أيا كانت أصولهم، سواء منهم المهجرون أو الأهالي، الذين تلقوا مذهبه سريعا واعتبروه بمثابة "وحي منزل على طور سيناء"، وكان لعمل يوسف قارو وشروحه نفوذ كبير وأثر عميق مازالت آثاره ممتدة حتى الآن على تعاليم التشريع في مختلف المدارس الكبرى اليهودية، وفي فقه المحاكم الربية وفي الكتابات التشريعية التي تفرعت عن هذه[2].

-يهوذا خلاص (أو قلاش) Juda Kallash: الذي عاصر رب "أنقاوة" واستقر بتلمسان، اشتهر بكتابه "مسياح يلمين Messiah Yllemin" الذي علق فيه على تفسير وشرح الفقيه اليهودي الفرنسي "راشي Rachi" للكتاب المقدس، وقد كان "خلاص" حاخاما مشهورا في تلمسان، يقال أنه عاش في عصر ريباخ وراشباس ورب أنقاوة، غير أن بعض المؤرخين يقولون أنه عاش في نهاية القرن 16م، وأنه ألف آنذاك كتابه "سفر هامستار Sefer Hamoussar" يلقي ببعض الغموض على هذه المسألة، إلا إذا كان قد عاش 120 سنة على الأقل، "يهوذا خلاص" ألف كذلك كتابا عن أحد أعمال الفيلسوف "موس بن ميمون" عنوانه "ماقيد ميشنيه Maguid Mishné" ونظم الأشعار الدينية، مايزال محفوظا كمخطوط إلى اليوم، ويبدو على هذا المثقف المخضرم هو الآخر مثل "يوسف قارو" أنه كان يتمتع باحترام وتقدير كبيرين عند الطائفة الموسوية[3].

-إسحاق بوناستروك Issac Bonastruc: حاخام وعالم يهودي يعتبر من مجموعة العلماء التي هاجرت إلى الجزائر بعد سنة 1391م، رفقة ريباخ وراشباس، وشارك رفقتهم في تحضير تقانوت الجزائر ذات الاثنتي عشرة مادة، المتعلقة بقوانين الزواج سنة 1394م والتي بقيت لعقود تعتبر مرجعا أساسيا

[1] سعد الله، يهود الجزائر -هؤلاء المجهولون-، ص 120-121.

[2] الزعفراني، يهود الأندلس والمغرب، ج1، ص 269.

[3] سعد الله، يهود الجزائر -هؤلاء المجهولون-، ص 203.

للتشريعات اليهودية، وكان "بوناستروك" ذا شخصية قوية قادرة على الإقناع بالحجة والبرهان، وقد اضطر إلى مغادرة مدينة الجزائر سنة 1404م إثر انتقاداته ضد "ساول أستروك هاكوهين Saul Astruc Hakohen"، كبير الحاخامات اليهود، وبعد وفاة هذا الأخير استقر "بوناستروك" في مدينة قسنطينة، أين أصبح من جديد هدفا لهجمات اليهود بسبب ردوده وانتقاداته لحاخاماتهم، ولم يتخل عن هجماته ضدهم إلا بعد تلقيه ترضيات من طرف ريباخ وراشباس[1].

-الربي عمرام بن مرواس عفراتي Rabbi Amram Ben Merrouas Ephrati، لاجئ إسباني بعد أحداث 1391م، نزل بوهران التي وجد بها جماعة يهودية هامة تنحدر من أصول إسبانية، كان جده "عمرام بن ناثان" ربيا في فالنسيا، وبعد قدوم عمرام الحفيد إلى وهران أصبح بها رئيسا للطائفة اليهودية حيث كان معاصرا لريباخ وراشباس، وتبادل معهما المراسلات والتساؤلات حول بعض المسائل، وقبل وفاته غادر وهران واستقر في مدينة غرناطة، ورغم أنه له عدة تآليف ومخطوطات إلا أن كتاباته ومؤلفاته لم تكتشف لحد الآن[2].

[1] Jewish Encyclopedia, op. cit., V 04, P 1200.

[2] Allouche et Laloum, Les Juifs d’Algérie, op. cit., P 224.

رغم قلة المصادر التي تناولت الدور الثقافي الذي لعبه أهل الذمة في الدولة الزيانية، إلا أننا استطعنا باعتمادنا على المعلومات المتوافرة، أن نبرز مكانة التعليم لدى اليهود، وحرصهم الشديد على تعليم أبنائهم بتوفير الوسائل المتاحة وتشابهها في كثير من الأحيان مع المجتمع الذي ساكنوه، كما أنهم اتبعوا أساليب منهجية لضمان سيرورة التعلم والحصول على متعلمين جيدين يتأهلون فيما بعد إلى قيادة الطائفة اليهودية، وقد حرص علماء اليهود ومنظروهم على التركيز على أهمية التعليم، وفرضيته، كما حددوا مناهج التعليم ومراحله، وقدموا عدة نماذج لذلك، كما انتشرت المدارس في المغرب الإسلامي ووجد البعض منها في أرجاء الدولة الزيانية خاصة العاصمة تلمسان.

ومن جهة أخرى فقد شارك اليهود في مختلف العلوم وساهموا في إثرائها، وفي مقدمتها العلوم التي تتعلق بشرائعهم، وذلك عن طريق تفسير النصوص التوراتية والتلمودية وإيضاحها لأبناء ملتهم، وحتى وضع قوانين وتشريعات جديدة تنظم الحياة العامة للطائفة اليهودية بالبلاد الزيانية كما هو الحال بالنسبة لتقنوت الجزائر، وفي ما يتعلق بالأدب واللغة فقد انتهج الأدباء اليهود منهج اللغويين العرب وأخذوا منهم واستلهموا من اللغة العربية، وأتقنوها، واستعملها كثير منهم في التأليف نثرا وشعرا، حتى اشتهرت مؤلفاتهم وذاع صيتها في العالم.

ولم يهمل اليهود في هذا العصر العلوم العقلية بل تعلموها ونشروها بينهم وبرزوا فيها فقد ناقش كثير منهم الأمور الفلسفية، إلا أنهم لم يحيدوا في كثير من الأحيان عما تعلموه من المسلمين في هذا المجال، فظهر مفكرون وفلاسفة اتبعوا نهج الفلاسفة المسلمين كابن رشد وابن سينا وغيرهم، وألفوا في علوم المنطق والإلهيات والفلسفة وبلغت شهرة مؤلفاتهم أرجاء العالم وجعلها اليهود معلما من معالم ثقافتهم إلى حد الآن.

وفي جانب العلوم الطبية، برع بعض اليهود في عالم التطبيب وتشخيص الأمراض وتفوقوا في هذا العلم وصنعوا الأدوية، وفاقت شهرتهم حدود المنطقة، وبرزت منهم عائلات بأكملها، منهم من عمل عند الأمراء والملوك الذين قربوهم وجعلوا منهم مستشارين خاصين لهم، لكن عادات أهل البلاد

وحرصهم على التداوي بالأعشاب واتباع التقاليد في ذلك، جعل بعضهم يغير مهنة الطب إلى مهن أخرى.

وقد أشرنا إلى بعض أبرز علماء أهل الذمة الذين كانوا على عهد الزيانيين كلهم يهودا، فظهر منهم الربيان الكبيران ريباخ وراشباس، وأفرايم النقاوة، ويوسف الأشقر، وموشي بن صمويل ويوسف قارو، وآخرون، ساهم كل واحد منهم في إثراء العلوم اليهودية النقلية منها والعقلية، وألفوا كتبا لا يزال كثير منها في حكم المفقود.


الخاتمة

على ضوء ما اطلعنا عليه خلال دراستنا المتواضعة لموضوع أهل الذمة خلال عهد الدولة الزيانية، توصلنا إلى بعض الاستنتاجات، وهي الآتية:

- أن تواجد أهل الذمة في بلاد المغرب الإسلامي كان منذ عهود قديمة وأنهم ساكنوا أهل البلاد، طيلة فترات حكم الدول المتعاقبة، وتمازجوا معهم واندمجوا معهم اجتماعيا وثقافيا، وتؤكد بعض الآثار -على قلتها- هذه الحقائق.
- أن اليهود والنصارى ظلوا يتواجدون بين سكان المغرب الأوسط، ويتفاعلون مع الأحداث الجارية في البلاد، وربما وصلوا في مرات إلى التقرب من السلطة الحاكمة.
- أن بعض القبائل البربرية القاطنة في المغرب الأوسط كان أصلها يهوديا، أو على الأقل بعض أفرادها يهود.
- أن تعامل الدول الإسلامية المتعاقبة، قبل الحكم الزياني للمنطقة مع أهل الذمة كان وفقا لأحكام الشريعة الإسلامية، إلا أن هناك تجاوزات في بعض الأحيان إما تساهلا معهم أو تشددا وتجاوزا في ذلك.
- لم يكن لأهل الذمة تأثير في الجانب السياسي خلال عهد الدولة الزيانية، لأنه لم يكن لهم تمثيل كبير، ولم يتبوءوا مناصب سيادية طيلة الحكم الزياني للمنطقة، عكس ما كان عليه إخوانهم في الدولتين المجاورتين الحفصية والمرينية.
- اقتصر الحضور السياسي للذميين -خاصة اليهود منهم- في التمثيل الدبلوماسي، كونهم كانوا سفراء بين الدول المسيحية والدولة الزيانية.
- أثبت كثير من أهل الذمة كفاءاتهم في السفارات التي قاموا بها، فحققوا عدة مطالب لرؤسائهم، وأثبتوا تضلعهم في ميدان التفاوض.
- في أواخر الدولة الزيانية كان بعض السفراء والوسطاء عامل إضعاف للسلطة لأنهم استغلوا هذه الفترة للعمل لفائدتهم الشخصية، أو لصالح الدول المعادية.

- استخدم الزيانيون الجند النصارى الذين ورثوهم عن الموحدين في حماية السلطان وفي بعض معاركهم، لقاء أجور معينة يتلقونها من خزانة الدولة، وكانت دولهم الأصلية تتلقى جزءا من هذه الرواتب لذلك لم تمانع في استخدامهم.
- أبيدت فرقة الحرس الخاص من النصارى التي عند السلطان يغمراسن بن زيان، بسبب محاولتها اغتياله، وتوقف الملوك من بعده عن استعمالهم لفترة من الزمن، لكنهم عادوا إلى ذلك، حسبما تؤكده المصادر.
- عينت الدول المسيحية ممثلين عسكريين لها في الدولة الزيانية أوكلت إليهم مهمة رئاسة وتولي أمور طوائفهم وتمثيلها أمام السلطة الحاكمة، وقد ناله في كثير من الأحيان المقربون من سلطات بلدانهم لأنه كان منصبا رفيعا وعائداته المالية مرتفعة، مع ما كان يعود على الدول الأجنبية من فوائد مالية إضافية.
- استعمل الزيانيون النصارى واليهود في مجال الاستخبارات والجوسسة، فكانوا يرسلونهم إلى الدول المجاورة لهم للاطلاع على الأخبار ونقلها إليهم، أو يبثونهم في الأنحاء لاستطلاع الأحوال العامة، أو يجعلونهم على أبواب المدن لتفتيش الناس.
- سيطر اليهود في بعض المدن الزيانية، وتحكموا في رقاب العامة، وهو ما أثار عليهم العلماء المسلمين وعلى رأسهم الإمام المغيلي، الذي قام بحركة كبيرة ضد اليهود في إقليم توات فأعمل فيهم قتلا وتشريدا، وهدم بِيعهم بعد أن تلقى تأييدا كبيرا من علماء أرسلوا لهم فتاواهم المؤيدة للحد من السيطرة اليهودية والتعدي على أحكام الشرع.
- لم يهتم بالنشاط الزراعي إلا قليل من أهل الذمة لأنهم كانوا يرون فيه نشاطا غير ربحي، مقارنة مع الجهد المبذول فيه، لكنهم ملكوا أراضي صالحة للزراعة ونشطوا في مجال الري، وربّوا بعض الحيوانات واستفادوا منها.
- أظهر اليهود تفوقا كبيرا في المجال الصناعي والحرفي، خاصة الذين هاجروا من الأندلس، ونقلوا معهم حرفهم ومهاراتهم، وتفننوا في بعض الصنائع كالصياغة وسك العملات نظرا لتجنب

كثير من المسلمين لها ونظرتهم لها نظرة ريبة وشبهة، واستطاعوا من خلالها تحصيل عائدات مالية ضخمة.

- تفوّق الذميون في التجارة خلال العصر الزياني كما كان دأبهم في كل العصور، واعتبروها مصدرا لدخل متميز، حيث كانت رحلة تجارية واحدة من أي مدينة ساحلية إلى بلاد السودان أو إلى دولة أخرى كافية لإغناء أي واحد منهم.
- عرف أهل الذمة الطرق التجارية البرية من عاصمة الدولة تلمسان إلى جنوبها وصولا إلى بلاد السودان، أو منها إلى المشرق أو المغرب، كما سلكوا الطرق البحرية على متن سفن الدول المسيحية أو غيرها إلى المشرق الإسلامي أو إلى الأندلس وجزائر البحر و العواصم الأوربية في ذلك العصر.
- نشطت تجارة الذهب والعبيد التي احتل فيها النصارى واليهود خاصة المراتب الأولى، فجلبوا الذهب من بلاد السودان وصدروه إلى كل العالم، ونقلوا العبيد السود والروم إلى أقاصي العالم، وارتفعت أسهمهم في أسواق المدن الزيانية وسيطروا عليها.
- سكن التجار النصارى في الفنادق التي أعدت خصيصا لهم في المدن الساحلية والتي كانت تضم كافة المرافق اللازمة لضمان استقرارهم، كما حوت مخازن ومستودعات، وحتى أسواقا تجري فيها المبادلات.
- نظمت السلطة الزيانية الموانئ، فجعلت فيها إدارات جمركية سميت بالديوان، يقوم عليها موظفون مختلفون، بدءا بالمتصرف الذي يدير شؤون الديوان ويكلف بجباية الضرائب على التجار، ويضم إليه معاونون كثر يساعدون في تنفيذ الأعمال والقيام عليها ومراقبة البضائع والمبادلات.
- ضمنت الموانئ للدولة الزيانية مصدرا كبيرا من مصادر الدخل، نظرا لحجم المبادلات التجارية التي كانت تتم عبرها.

- تاجر أهل الذمة بكافة السلع المتوفرة، استيرادا وتصديرا، ورغم وجود حظر على بعض السلع من الدول المسيحية أو الدولة الزيانية، إلا أن هؤلاء لم يعبأوا بذلك، وحرصوا على الاستمرار في تجاراتهم ما دامت تضمن لهم أرباحا معتبرة.
- فرضت الدولة الزيانية ضرائب معينة على التجار الذميين، ومست معظم السلع المتبادل بها، مع وجود تخفيضات على بعض السلع الثمينة، وإعفاءات على عدة سلع خاصة في أوقات الشدة، أو تنازلات في أحيان أخرى.
- وظف الزيانيون يهودا ونصارى في استخلاص الضرائب، خاصة في المرحلة الأخيرة من عمر الدولة، حتى تحكم هؤلاء في رقاب المسلمين، واشتطوا في مطالبة الناس بها، وتجاوزوا الحدود المفروضة عليهم.
- اجتماعيا انقسم اليهود إلى أهالي وهم اليهود الأصليون المسمون التوشابيم ومهاجرين ويطلق عليهم الميغوراشيم، وهم الذين انتقلوا من الأندلس والبلاد الأوربية ووجدوا في مدن الدولة الزيانية ملاذا لهم من بطش المسيحيين، واندمج الفريقان في كتلة واحدة مع سيطرة واضحة للميغوراشيم، الذين كانوا أصحاب علم وحرف وصناعات وأموال، مع وجود بعض اليهود الذين سكنوا المدن الداخلية واستقروا بها.
- انتظم اليهود في تجمعات خاصة بهم، سهلت عليهم القيام بطقوسهم الدينية في حرية كاملة، مع اختلاطهم بأهل البلاد، في الأمور الحياتية الأخرى.
- كانت لليهود عادات خاصة ورثوها عن أجدادهم أو اكتسبوها من السكان، فيما يخص الطعام واللباس، رغم وجود تشريعات خاصة بأحكام الباس عندهم.
- اختص اليهود بتشريعات خاصة لتنظيم الزواج والطلاق وأمور الأسرة، كما تم تعديل بعض القوانين السابقة بقوانين جديدة اهتم بتنظيمها علماء وأحبار قادمون من الأندلس، وأصبحت تشريعات ملزمة لكل يهود الدولة الزيانية.

- اشترك يهود الدولة الزيانية مع بني جلدتهم عبر الأقطار المختلفة في الاحتفال بأعياد عامة بطقوس معروفة، غير أنهم أضافوا إليها بعض الأعياد الخاصة بمنطقتهم كالهيلولة والميمونة..، تأثروا فيها بالمسلمين، ولا يزال الكثير منها منتشرا في هذه البلاد.
- عدم وجود تمييز عنصري بين المسلمين وأهل الذمة، سواء من طرف السلطات الحاكمة، أو من طرف المجتمع المسلم في حد ذاته، ولم تكن هناك محاولات لعزل اليهود المتواجدين على الأراضي الزيانية، أو إيجاد غيتوهات خاصة بهم، بل العكس عرفت عدة فترات تميزا كبيرا لليهود والنصارى بالغنى وتملك العبيد، والمتاجرة بكافة أنواع السلع، وحتى أن السلطة كانت تبسط حمايتها على هؤلاء بموجب الاتفاقيات الموقعة بينها وبين الدول المسيحية.
- وفي الجانب الثقافي حرص اليهود على تعليم أبنائهم لأنهم كانوا يعتبرونه فرضا، وحددوا لذلك مناهج محددة، نظّر لها كثير من علمائهم، وطبقوها في البلاد الزيانية حتى أنها شابهت في كثير من الأحيان ما كان معمولا به لدى المسلمين.
- انتشرت المدارس عبر أرجاء الدولة الزيانية وكان مرافقة للكنائس والبيع في أغلبها، وقام عليها أحبار وعلماء أسسوها وتابعوا التلاميذ فيها عبر مراحل التعليم المختلفة لتحضيرهم لقيادة الطائفة اليهودية وتعليم أبناء جلدتهم أمور دينهم.
- شارك اليهود في مختلف العلوم وأثروها بما لديهم من سابق معرفة وعلم، فظهر منهم علماء ومفكرون ومنظرون تركوا بصماتهم في تاريخ البلاد.
- انتعشت العلوم النقلية اليهودية في عهد الدولة الزيانية، خاصة ما تعلق بتفسير النصوص الشرعية، وتوضيح التشريعات وحتى تعديلها. كما ازدهرت علوم اللغة والأدب عندهم وانتهجوا فيها مناهج اللغويين العرب لأنهم تأثروا باللغة العربية وأبدعوا فيها.
- أتقن اليهود العلوم العقلية وبرعوا فيها ونشروها بينهم فقد برز كثير منهم في الفلسفة وعلوم المنطق، وناقشوا الأمور المتعلقة بهما، واتبعوا في ذلك مناهج علماء المسلمين الفلاسفة كابن رشد وابن سينا وغيرهم، ونسجوا على منوالهم أفكارهم، وبلغت شهرتهم آفاق العالم.

- كما ازدهرت العلوم الطبية عند اليهود، وبرع منهم أطباء شخصوا الأمراض وصنعوا الأدوية وعالجوا المرضى، حتى أن السلطة الزيانية قربتهم وجعلتهم مستشارين خاصين لها كأمثال الطبيب "موشي بن صمويل" و"أستروك هاكوهين"، والطبيب الحبر "إفرايم النقاوة" الذي كان له الفضل في شفاء ابنة أحد السلاطين الزيانيين، الذي كافأه بإسكان اليهود بجوار قصره في العاصمة تلمسان.
- ألف علماء اليهود في الدولة الزيانية كتبا كثيرة في مختلف العلوم، ساهمت في إثراء العلوم في ذلك الوقت، لكن الإهمال والنسيان والإتلاف وعدم حرص اليهود ذاتهم عليها أدى إلى فقدها إلى يومنا هذا.

هذا عن النتائج التي توصل إليها البحث أما عن التوصيات التي استخلصناها بعد سنوات من الدرس والبحث في موضوع أهل الذمة في الدولة الزيانية فنلخصها في الآتي:

§ تنشيط البحوث الأثرية في المناطق التي عرفت تواجدا واسعا لأهل الذمة، مثل إقليم توات، والمدن الساحلية.

§ محاولة تعميق البحث أكثر في الجانب السياسي لأهل الذمة، وذلك بالاعتماد على الوثائق والمصادر الأجنبية التي لها اطلاع واسع في هذا الجانب.

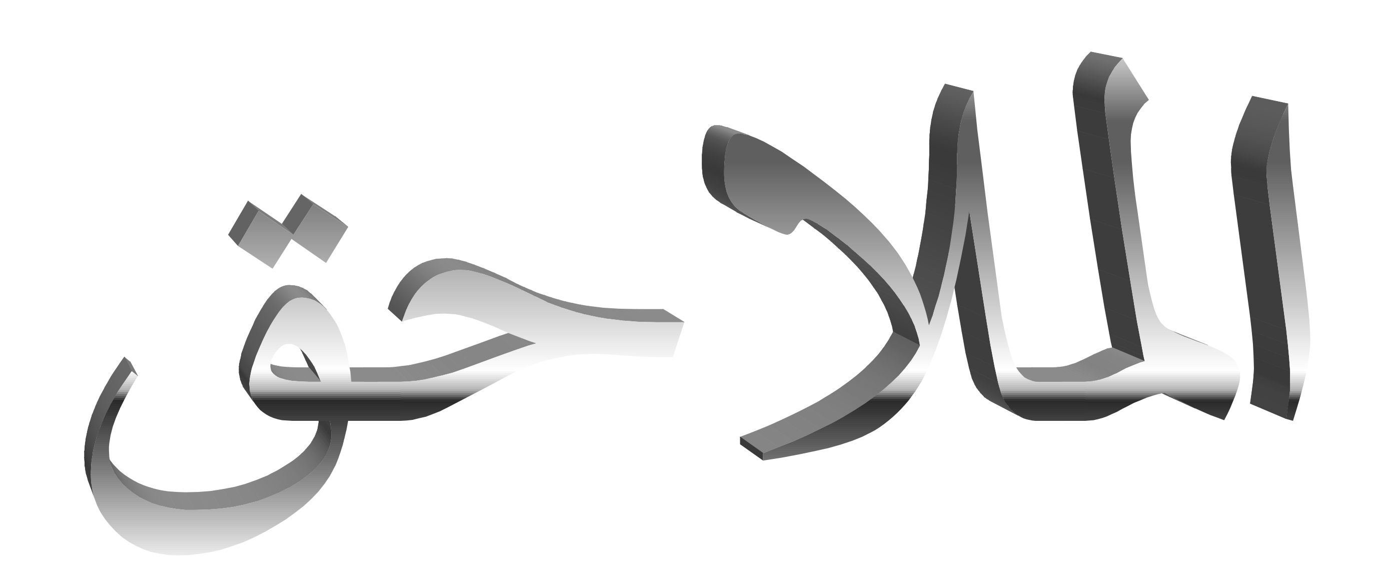
§ الاعتماد على المناهج البحثية الحديثة في دراسة الجانب الاقتصادي من هذا الموضوع، وهذا ما يدعم بشكل كبير هذا الموضوع ويساعد على تصحيح النظرة، وإظهار خبايا جديدة كانت خافية فيما مضى، كحجم المبادلات، وتغيراتها وأسباب ذلك ونتائجه.

§ تمكين الباحثين من دراسة الجوانب الاجتماعية لأهل الذمة خاصة في الأحياء التي كان يسكنها هؤلاء، وذلك بإيجاد آليات للدخول إليها وإلى البِيع التي لا تزال موجودة إلى الآن في مختلف أرجاء البلاد.

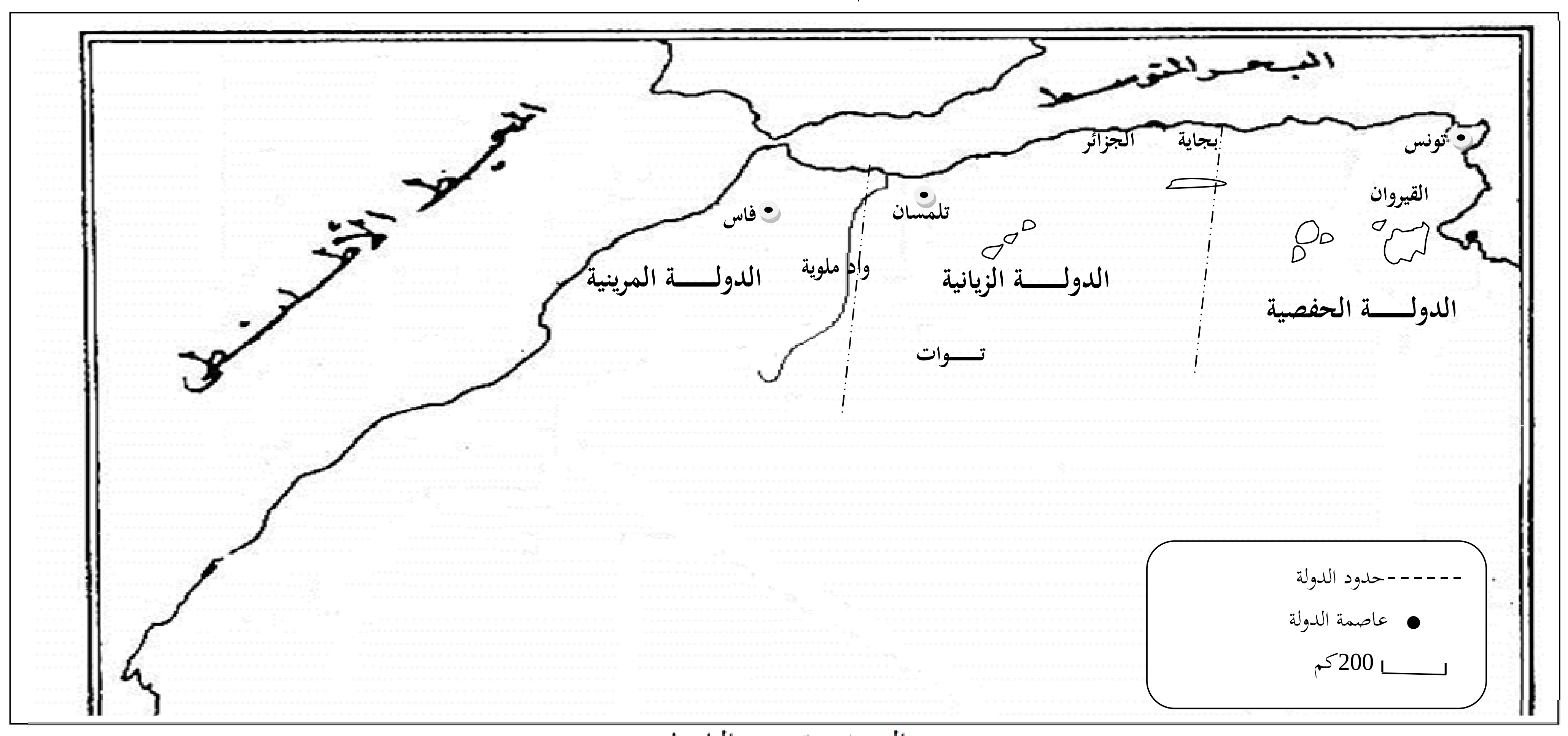
- تعميق الدراسات الخاصة باللغة العبرية في ترجمة المؤلفات التي تركها اليهود، وتحقيق المخطوط منها، لتوسيع نطاق البحث في الدور الثقافي لأهل الذمة في بلاد المغرب.

ونتمنى أن يتواصل البحث في هذا الموضوع إن كان من طرفنا أو من طرف باحثين آخرين، لأنه من الموضوعات الجديرة بالاهتمام والبحث والتنقيب، لكشف خبايا هذا الموضوع، ودحضا للآراء القائلة بوجود تمييزات عنصرية بين المسلمين وأهل الذمة من طرف السلطات الحاكمة أو من طرف المجتمع المسلم في حد ذاته.

هذا وما كان نقص أو خطأ أو تقصير فمِنّي، وما كان من توفيق فمن الله وحده، ونسأل الله العلي القدير أن يتقبل منا.

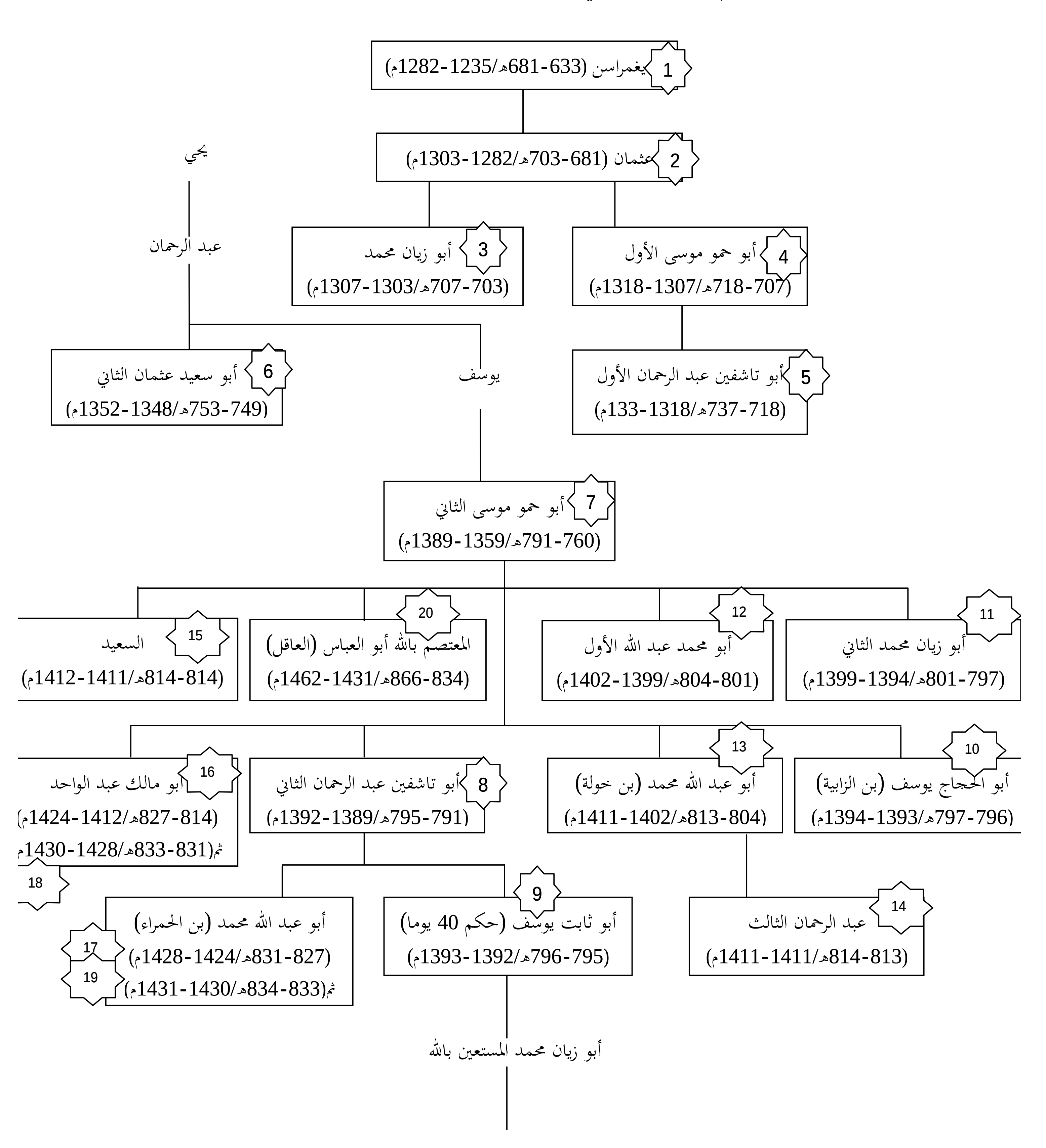

الملاحق

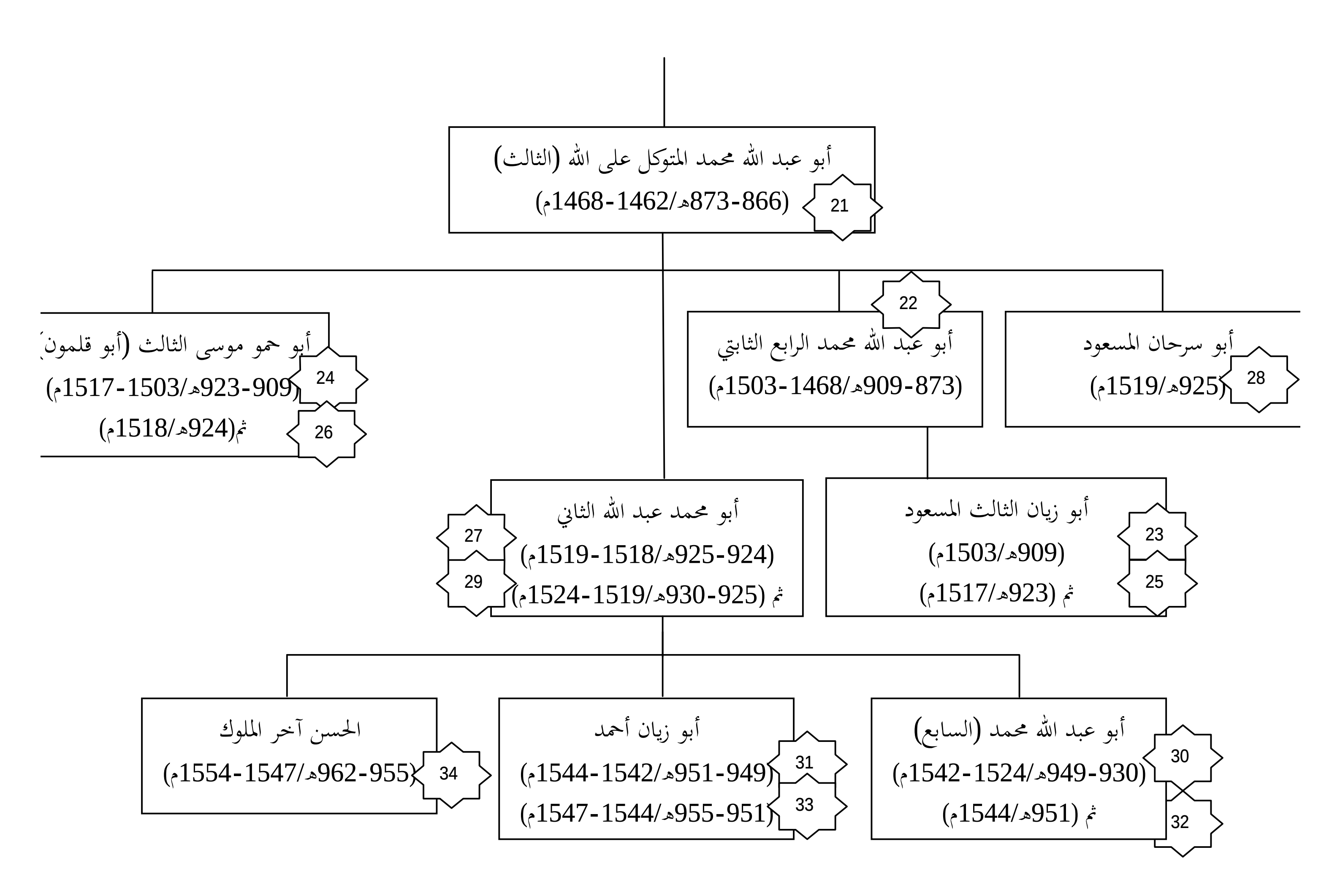
الملحق رقم 01: حدود الدولة الزيانية



المصدر: تصميم الباحث

الملحق رقم 02: ملوك بني زيان (633-962هـ/1235-1554م)





المصدر: من تنسيق الباحث بالاعتماد على:

-أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة، ص 79-329.

-عبد العزيز فيلالي، تلمسان، الملحق، ص 500-501.

-الدراجي بوزياني، نظم الحكم في دولة بني زيان، الملحق، ص 304.

ملاحظة: هناك اختلاف كبير في أمراء الفترة الأخيرة من حكم الدولة الزيانية.

الملحق رقم 03: أسماء الأحبار الذين تداولوا على رئاسة الطائفة اليهودية في مدينة الجزائر خلال العهد الزياني

الاسم	فترة الرئاسة
إسحاق بن شيشيت برفات (ريباخ)	1394-1408م
شمعون بن سماح دوران (راشباس)	1408-1444م
سلومون بن شمعون دوران	1444-1467م
سماح بن سلومون دوران	1467-1496م
شمعون بن سلومون دوران	1496-1502م
شمعون بن سماح بن سلومون دوران	1502-1535م (التاريخ الأول مختلف فيه)

المصدر: من تصميم الباحث بالاعتماد على

Jewish Encyclopedia, V6, P 302.

نجوى طوبال، طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر، ص 130.

فاطمة بوعمامة، يهود المغرب الإسلامي، ص 172.

الملحق رقم04:

نص معاهدة سنة 685هـ/1286م بين أبي سعيد عثمان بن يغمراسن ملك تلمسان وألفونسو الثالث ملك أرغونة:

البند الأول: بكل اعتقاد ومحبة يريد الملك عثمان أن تكون بينه وبين الملك أدفونش صداقة كما كانت مع والد هذا الأخير وجدّه: بطرس وجقمة، ويتعهد الملك عثمان أن يعطي الملك المذكور أدفونش نصف المداخيل التي يحصل عليها من موانئه الحالية، والتي ستكون في حوزته مستقبلا، ويمنح الملك أدفونش فندقا للمسيحيين في مدينة وهران، وعلى ملك تلمسان أن يدفع نصف مداخيل كل الموانئ الأخرى التي يملكها وسيملكها إلى المشرف الذي يعينه الملك أدفونش في مدينة وهران، وهذا يشمل كل المسيحيين الذين يصلون مختلف هذه الموانئ، وهذا الفندق الذي منح الملك أدفونش، ليقيم فيه المشرف المذكور يكون حرا ومعفيا من الضرائب.

وبالإضافة إلى ذلك يتعهد ملك تلمسان المذكور لملك أرغونة بتسديد ضريبة خمسة آلاف دينار كان عليه أن يسددها للملك بطرس عندما أرسل جقمة بيريز "Jacque Perez" قائدا إلى تلمسان.

البند الثاني: ويستطيع الملك أدفونش إذا احتاج موادا غذائية من أراضي ملك تلمسان أن يشتريها بحرية، بنقوده بكل صداقة وتكون هذه المواد الغذائية التي يحتاجها الملك أدفونش لاستعماله الخاص معفاة من الضرائب.

البند الثالث: يخضع كل المسيحيين بأراضي ملك تلمسان، مهما كان أصلها ومقاطعاتها، لقانون أرغونة الذي يمثله القائد الذي يرسله ملكها لمملكة تلمسان ويستطيع كل المسيحيين الموجودين في هذه المملكة الدخول والخروج برخصة من القائد المذكور، حتى لو منع ملك تلمسان ذلك شفهيا أو كتابيا.

البند الرابع: يعطي ملك تلمسان المذكور لهذا القائد الذي يرسله ملك أرغونة مبلغا قدره ثمانون بيزيتة فضية في اليوم، ويعطي لكل فارس تابع للقائد خمسة وعشرين دنيا أوبيزتين ونصفا، ولكل حامل

سلاح خمسة عشر دنيا، ويدفع لهم على أساس الدينار الذهبي الذي يعادل ثمان بيزيتة، وفي حالة عمل السرية، يوفر ما يكفي من الجمال والبغال للقائد المذكور وعائلته والشعير لحيواناته.

البند الخامس: يوفر ملك تلمسان حصانا مجهزا لكل فارس ويعوض الخيول التي تموت أو تضيع أثناء أداء المهمة ويوفر للقائد المذكور ولأفراد عائلته العدد الكافي من الخيول.

البند السادس: ويوفر للقائد المذكور ولأتباعه محلات السكن.

البند السابع: يخصص للأسقف الذي يأتي مع القائد راتب فارس.

البند الثامن: يستطيع القائد مغادرة تلمسان بعد قضاء مدة العمل المتفق عليها بحرية وأمان مع كل من يريد الذهاب معه، ويتعهد ملك تلمسان المذكور أن يعطيه وسريته رخصة لمغادرة البلاد بكل أمان وحرية، ويأخذون كل ما تحصلوا عليه من أرباح دون أية عرقلة.

البند التاسع: هؤلاء الرجال أحرار في شراء غذائهم وحاجاتهم في مملكة تلمسان بكل أمان ودون أية عرقلة، ما لم تكن لهم أهداف تجارية، ولا يدفعون ضرائب.

البند العاشر: يتعهد ملك تلمسان بمساعدة ملك أرغونة بسرية كلما احتاج لذلك وطلبه.

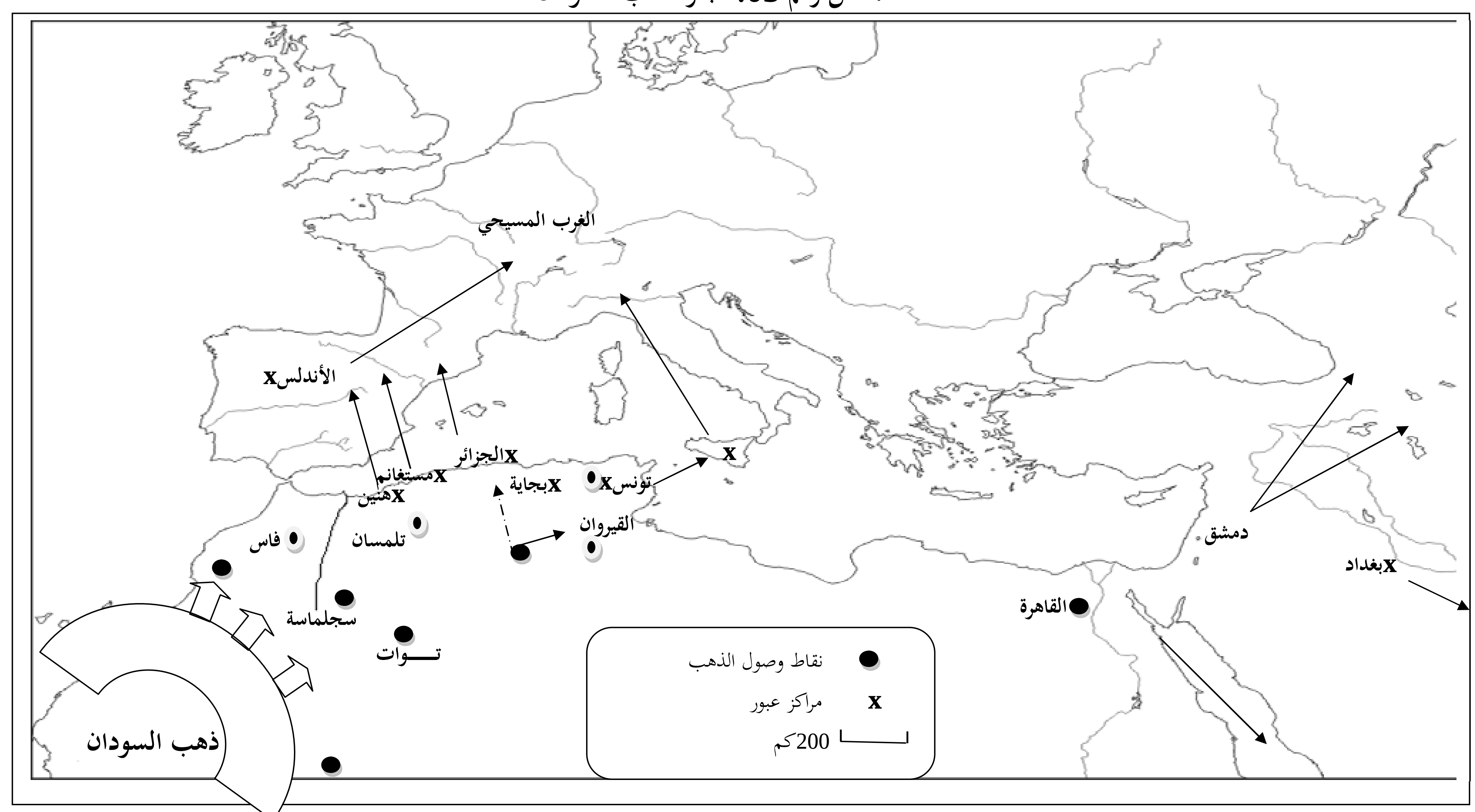
البند الحادي عشر: يضع ملك تلمسان المذكور سفينة مجهزة بالمواد الغذائية وكل الحاجات تحت تصرف القائد المذكور ورجاله عند عودتهم، ويدفع لهذه السرية مبلغا من المال يحدده حسب رغبته.

يعد ويتعهد ملك تلمسان للملك أدفونش المذكور والقائد الذي يرسله الأمير، باحترام وتنفيذ كلما سجل بوضوح، كليا وجزئيا وللاطمئنان أكثر فإنه يقسم على ذلك شخصيا بالشريعة، ويقسم على ذلك أيضا أخوه أبو عون، ومحمد ابن أبي يحي، ومحمد بن فارس بن زيان، وعلي بن مقن الفج، وعبد الملقار بن حسنة، وعمر بن عموق وعلي بن الحسن الرشدية.

المصدر: انظر نص الاتفاقية مترجما بالفرنسية عند

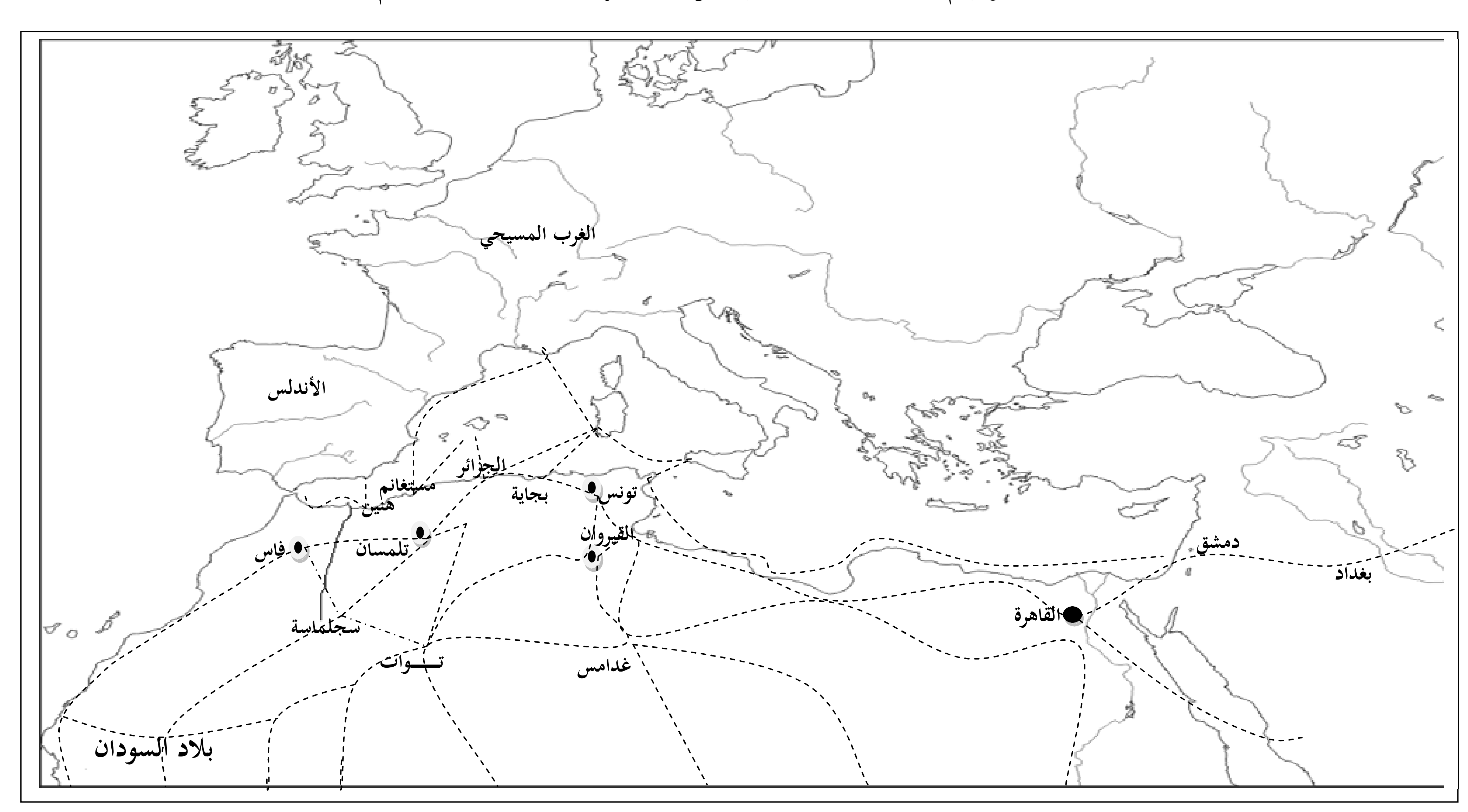
Dhina, Le royaume, P 206-208

الملحق رقم **05**: تجارة ذهب السودان



المصدر: من تنسيق الباحث اعتمادا على **Dhina, Le royaume abdelouadide, P 159**

الملحق رقم 06: المسالك التجارية بين البلاد الزيانية ومختلف مدن العالم



الملحق رقم07: أوزان ومقاييس الدينار الزياني

الدينـــــــــار		نصف الدينـــــار		ربع الدينـــــار		ثمن الدينـــــار	
الوزن بالغرام	طول القطر بالملم	الوزن بالغرام	طول القطر بالملم	الوزن بالغرام	طول القطر بالملم	الوزن بالغرام	طول القطر بالملم
95,4	30	2,30	22	1,15	17	0,56	8
4,66	32	2,26	25	1,15	16	0,52	6
4,65	32	2,22	25	1,15	16		
4,65	30			1,15	15		
4,65	30			1,14	15		
4,65	30			1,13	16		
4,65	30			1,10	20		
4,63	30			1,05	20		
4,62	31			1,05	14		
4,62	29						
4,58	32						
4,58	32						
4,55	30						
4,52	32						
4,50	30						
4,48	34						
4,45	29						
4,44	29						

المصدر: بوزياني الدراجي، نظم الحكم في الدولة الزيانية، ص 236.

الملحق رقم 08: صور قبور أحبار اليهود

-قبر الربي "أفرايم أنقاوة" في ضواحي مدينة تلمسان



المصدر: www.Nemours-Ghazaouat.com

الملحق رقم **09**: نسخة عن عقد "كتوباه" حُرر من طرف أحد أحبار اليهود



KETOUBA rédigée par Rabbi Itzhak ATTIA datée du jeudi 5 Elul 5700 (1940) : époux : Simon, fils de Shlomo ATTIA - épouse : Sarah bat Messaoud ABBOU

المصدر: Jacob Oliel, Les Juifs de Colomb-Béchar (1903-1962), Alpha graphic, Orleans, France, 1999.

الملحق رقم 10: قصيدة نظمها بعض أحبار مدينة وهران تخليدا لذكرى يهود توات

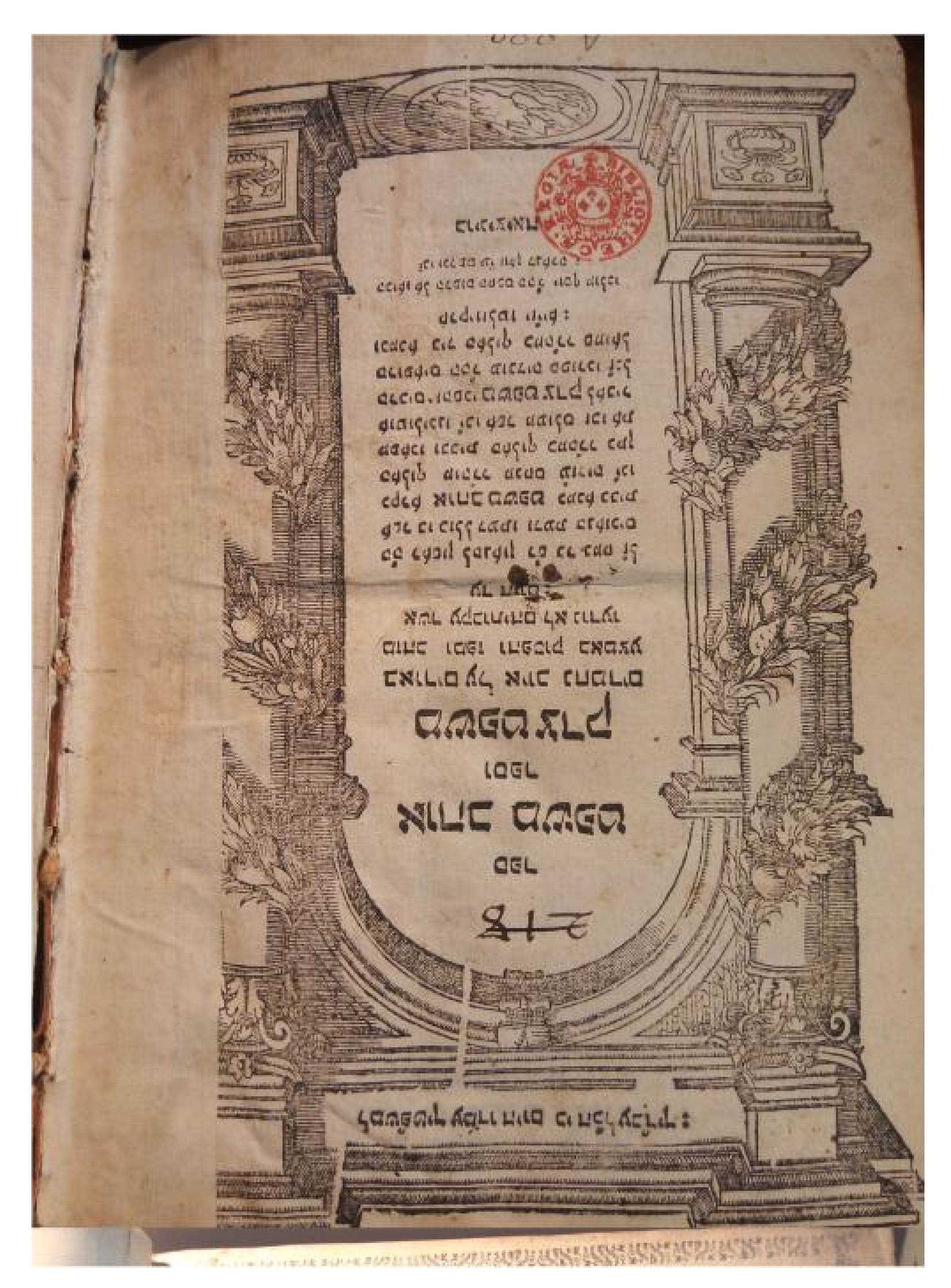
עוד סירוב קם עלי צורר נודע ממגלה
הרג בתי גוררין ותאותי יהלל בית נורא עלילה
ואחריו בדרעה קם אויב ידרס כל בית התפלה
וגם שמו עליהם הקים רעים וקשים בלי חמלה
יאות לי על זה חגר שק ואקרע לבבי
ביגוני אחי מר לימר לי

والترجمة الفرنسية:

« Une autre chose s'est insupportable : l'oppresseur connu, Al Meghili, l'assassin des maisonnées du Gourara et du Touat, celui qui a profané la maison (de dieu), horrible méfait ! Oh terrible nouvelle ! Touat a été anéanti. Ensuite l'ennemi s'est manifesté au Draa. Il a abattu la maison de prière. Je me ceins du cilice à cause de tout cela. Je déchire mon cœur. Dans ma peine, j'ai mal pour mes frères. »

المصدر: Jacob Oliel, Les Juifs au Sahara, P 119-120

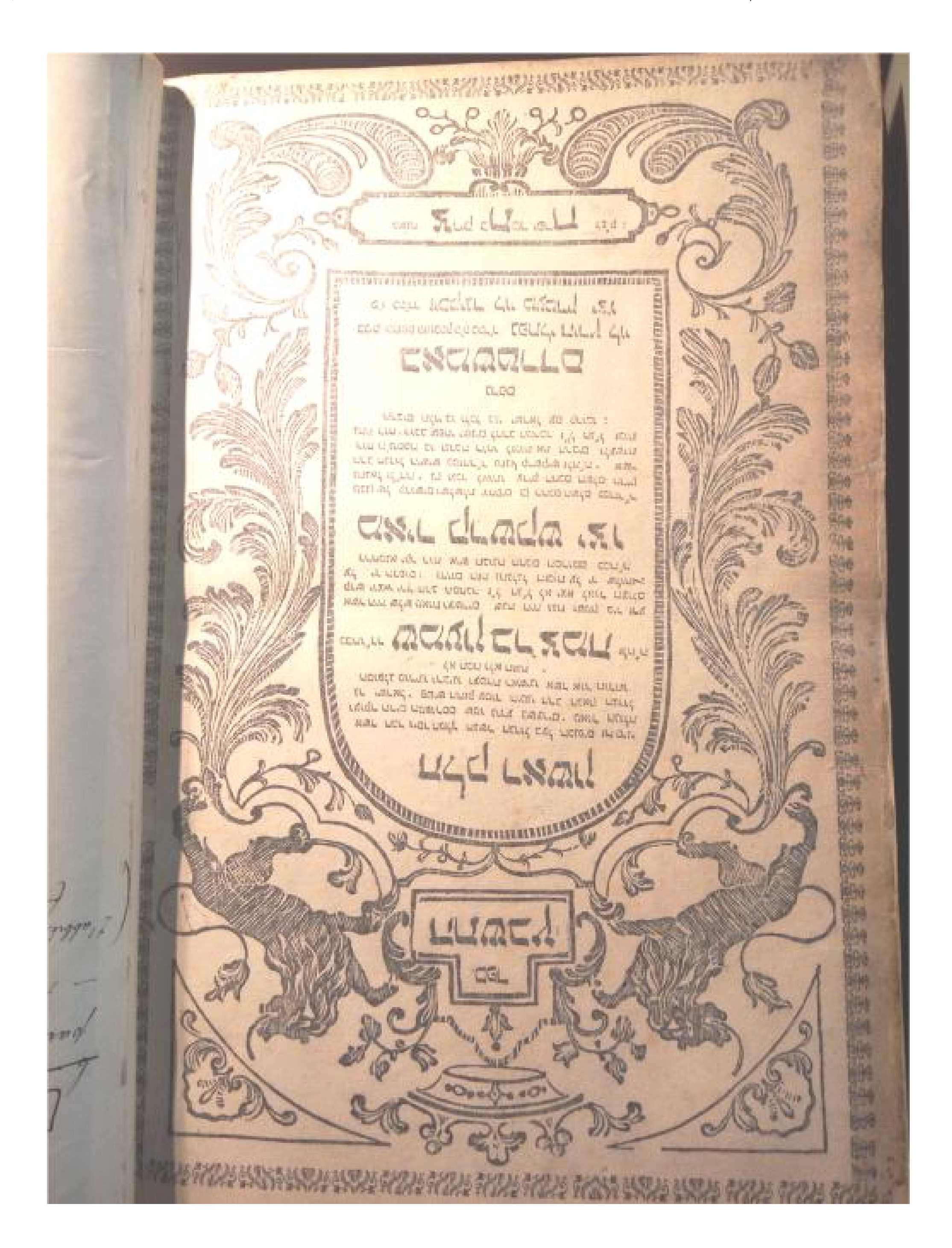
الملحق رقم 11: الصفحة الأولى من كتاب فتاوى راشباس (طبعة سنة 1589م)



المصدر:

Simeon Ben Semah Duran, les responsa de simeon ben semah Duran, publie par Joseph Molkho, Venise, 1589 j.c (dans la bibliothèque national Française sous la cote N° :A-2736)

الملحق رقم 12: الصفحة الأولى من كتاب فتاوى راشباس (طبعة سنة 1738م)



المصدر:

Simeon Ben Semah Duran, les responsa de simeon ben semah Duran(2 tome en 1vol), publie par Nephtali Hirz Levi, Amsterdam, 1738 j.c (dans la bibliothèque national Française sous la cote N° :A-2017)

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1-القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع.

أولا: المخطوطات

1- ابن الأعرج، محمد السليماني الحسني(ت 1344هـ)، زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ، مخطوط المكتبة الوطنية بالرباط، المملكة المغربية، رقم د-3657.

2- ابن مرزوق، محمد الخطيب التلمساني (ت 781هـ/1379م). نوازل ابن مرزوق، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة، رقم 1342.

ثانيا: الوثائق الأرشيفية

Archives Vincennes, France, boite 1H 4448, dossier N° 01, bulletin de renseignements.

ثالثا: المصادر العربية

ابن أبي أصيبعة، أبو العباس أحمد بن القاسم السعدي الجزري، (ت 668هـ/1269م).

1-عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965م.

ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (ت726هـ/1325م).

2-الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والورق، الرباط، 1973م.

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني (ت630هـ).

3- الكامل في التاريخ، مراجعة وتدقيق محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1407هـ/1987م، المجلد السادس.

ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل (ت 810هـ/1408م).

4- تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تقديم وتحقيق وتعليق هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، 1421هـ/2001م.

5- روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، مطبوعات القصر الملكي، المطبعة الملكية، الرباط، 1382هـ/ 1962م.

ابن حنبل، أحمد (ت 241هـ).

6- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1416هـ/1996م، ج6

ابن الزيات، أبو يعقوب يحي بن يوسف التادلي (ت 617هـ/1220م).

7- التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، 1997م.

ابن العبري، غريغوريوس الملطي(ت 1286م).

8- تاريخ مختصر الدول، وقف على تصحيحه وفهرسته:الأب أنطون صالحاني اليسوعي،دار الرائد اللبناني، بيروت، ط2، 1415هـ/ 1994م.

ابن القطان المراكشي، أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي(ت 628هـ/1230م).

9- نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.

ابن أنس، مالك الأصبحي(ت 179هـ).

10- الموطأ، برواية يحي بن يحي الليثي، تحقيق كلال حسن علي، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1434هـ/ 2013م.

11- المدونة الكبرى، مطبعة السعادة، مصر، 1323هـ، المجلد 2، الجزء 4.

ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت756هـ/1355م).

12- رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المجلد الرابع، حققه وقدم له عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1417هـ/1997م.

ابن حزم، أبو محمد علي بن محمد الظاهري الأندلسي(ت 465هـ/1063م).

13- جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، 1962م.

ابن خلدون، أبو زكرياء يحي بن محمد (ت780هـ/1378م).

14- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم وتحقيق وتعليق بوزياني الدراجي، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.

ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد،(ت808هـ/1406م).

15- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1431هـ/2001م.

ابن خلكان، أبي العباس أحمد بن محمد (ت 681هـ/1283م).

16- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م.

ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد (ت530هـ/1126م).

17- فتاوى ابن رشد، ج3، تحقيق المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1407هـ/1987م.

ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى (ت 685هـ/1286م).

18- كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.

ابن صاحب الصلاة، أبو مروان عبد الملك بن محمد بن يحي الباجي (ت594هـ/1197م).

19- تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق د. عبد الهادي التازي، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1383هـ/1964م.

ابن عبد الرؤوف، أحمد بن عبد الله القرطبي (ت 424هـ).

20- رسالة في آداب الحسبة والمحتسب نشرت ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، 1955م.

ابن عبدون، محمد بن أحمد التجيبي (ت ق5هـ/11م).

21- رسالة في القضاء والحسبة، تحقيق فاطمة الإدريسي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1430هـ/2009م.

ابن عذارى المراكشي،(كان حيا عام 712هـ/1311م).

22- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الرابع (البيان المرابطي)، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1983م.

ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ت751هـ/1350م).

23- أحكام أهل الذمة، تحقيق يوسف بن أحمد البكري وشاكر بن توفيق العاروري، رمادي للنشر، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1417هـ/1997م.

ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل (ت 774هـ/1372م).

24- تفسير القرآن العظيم، الجزء الأول، دار الغد الجديد للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى 1428هـ/2007م.

ابن مرزوق، محمد الخطيب التلمساني (ت 781هـ/1379م).

25- المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م.

ابن مريم التلمساني، أبو عبد الله محمد بن أحمد (كان حيا سنة 1014هـ/1605م).

26- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، طبعة 1986م.

ابن ميمون، موسى القرطبي الأندلسي (ت603هـ/1205م).

27- دلالة الحائرين، تحقيق وترجمة حسن آتاي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دت.

أبو حمو موسى بن يوسف الزياني (ت 791هـ/1388م).

28- واسطة السلوك في سياسة الملوك، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1379هـ/1962م.

الإدريسي، محمد الشريف (ت558هـ/1162م).

29- ذكر بلاد المغرب والأندلس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق وتقديم وتعليق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.

البكري، عبيد الله بن عبد العزيز (ت 487هـ/1094م).

30- المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، نشر ديسلان سنة 1837م، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

التنبكتي، أحمد بابا (ت 1032هـ/1624م).

31- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1422هـ/2002م.

التنسي، محمد بن عبد الله الحافظ (ت 899هـ/1493م).

32- تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، حققه وعلق عليه محمود بوعياد، منشورات موفم للنشر، الجزائر، 2011م.

الحكيم، أبو الحسن علي بن يوسف (ت بعد 759هـ/1357م).

33- الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تحقيق ونشر: حسين مؤنس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد 6، العدد 1-2، 1378هـ/1958م.

الحميري، محمد بن عبد المنعم السبتي (ت أواخر ق9هـ/15م).

34- كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م.

الزركشي، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (كان حيا سنة 894هـ/1488م).

35- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ج2، تحقيق وتعليق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، الطبعة الثانية، 1966م.

الزركلي، خير الدين.

36- الأعلام، ج6، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، مايو 2002م.

السقطي، أبو عبد الله محمد بن أبي محمد المالقي (ت1096هـ/1684م).

37- في آداب الحسبة، تحقيق حسن الزين، مؤسسة دار الفكر الحديث، بيروت، لبنان، 1987م.

السملالي، عباس بن إبراهيم المراكشي (ت 1378هـ/1959م).

38- الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، ج10، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية، 1413هـ/1993م.

السموأل، بن يحيى بن عباس المغربي (570هـ/1174م).

39- الباهر في الجبر، تحقيق وتحليل: صلاح أحمد، ورشدي راشد، مطبعة الجامعة، دمشق، 1972م.

40- بذل المجهود في إفحام اليهود، تقديم: محمد أحمد الشامي، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة، د.ت.

السيد سابق.

41- فقه السنة، ج3، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1999م.

العبدري، أبو عبد الله بن محمد (ت أواخر ق7هـ/13م).

42- رحلة العبدري المسماة الرحلة المغربية، تحقيق محمد الفاسي، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1968م.

الفشتالي، أبي فارس عبد العزيز (ت 1031هـ/1621م).

43- مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء، تحقيق عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، الرباط، 1972م.

القفطي، أبي الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف (ت 646هـ/1248م).

44- إخبار العلماء بأخبار الحكماء، دار الآثار، بيروت، د.ت.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي(ت 821هـ/1418م).

45- مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ج2، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1985م.

المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد (ت ق5هـ/11م).

46- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، ج1، تحقيق بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى 1414هـ/1994م.

الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت450هـ/1058م).

47- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق سمير مصطفى، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2001م.

المجيلدي، أحمد سعيد (ت 1094هـ/1683م).

48- كتاب التيسير في أحكام التسعير، تحقيق موسى لقبال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1981م.

المراكشي عبد الواحد(ت581هـ/1185م).

49- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي،الدار البيضاء، المغرب الأقصى، دار الكتاب، الطبعة السابعة، 1978م.

المزاري، بن عودة.

50- طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة يحي بوعزيز، ج1، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974م.

المغيلي، محمد بن عبد الكريم (ت 909هـ/1504م).

51- مصباح الأرواح في أصول الفلاح، ضمن كتاب رسالتان في أهل الذمة، دراسة وتحقيق عبد المجيد الخيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1421هـ/2001م.

52- رسالة في اليهود، تقديم وتحقيق عبد الرحيم بنحادة، عمر بنميرة، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط، الطبعة الأولى، 2005م.

53- أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، تقديم وتحقيق عبد القادر زبادية ، سلسلة ذخائر المغرب العربي ، مطبعة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، 1974م.

المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ/1631م).

54- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1968م.

الناصري السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد (ت 1279هـ/1863م).

55- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955م.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 732هـ/1332م).

56- نهاية الأرب في فنون الأدب، ج24، تحقيق عبد المجيد ترحيني، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1424هـ/ 2004م.

الوزان، حسن بن محمد الفاسي (ت 957هـ/1552م).

57- وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1983، ج2.

الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحي (ت914هـ/1514م).

58- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق محمد حجي وآخرين، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، 1401هـ/1981م.

مؤلف مجهول (من أهل القرن 8هـ/14م).

59- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار، وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1399هـ/1979م.

مؤلف مجهول (من أهل القرن 6هـ/12م).

60- كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1985م.

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي (ت626هـ).

61- معجم البلدان، تصحيح محمد أمين الخانجي، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى، 1324هـ/1906م.

رابعا:المراجع العربية

أبو المجد، ليلى.

1- أحكام النساء في التلمود، عقود الزواج، ترجمة وتعليق ليلى إبراهيم أبو المجد، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1426هـ/2006م.

أبو ريه، عطا.

2- اليهود في ليبيا وتونس والجزائر، إيتراك للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2005م.

أبو غضة، زكي علي السيد.

3- المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، الطبعة الأولى، 1424هـ/ 2003م.

أبو مصطفى، كمال السيد.

4- جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 1996م.

أرسلان، الأمير شكيب.

5- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، الجزء الأول، المطبعة الرحمانية، مصر، الطبعة الأولى، 1355هـ/ 1936م.

6- تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1352هـ.

البارودي، رضوان.

7- دراسات وبحوث في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، مصر، 2007م.

الباشا، نجاة.

8- التجارة في المغرب الإسلامي من القرن 4 إلى 8هـ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، منشورات الجامعة التونسية، 1976م.

التازي، عبد الهادي.

9- التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، المجلد السابع –عهد بني مرين والوطاسيين- الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مصر، 1408هـ/1988م.

التدمري، عمر عبد السلام.

10- مشاهدات وأخبار عبد الباسط الظاهري في بلاد المغرب والأندلس من خلال كتابه المخطوط "الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم (866-871هـ/1462-1467م)"، ضمن كتاب من مظاهر التضامن المغاربي عبر التاريخ، إعداد عبد الكريم كريم، 1424هـ/2003م.

الجيلالي، عبد الرحمن.

11- تاريخ الجزائر العام، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.

الحمدي، أحمد.

12- الإمام المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية، مؤسسة الجزائر، ط1، 1422هـ/2002م.

13- الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، سيدي بلعباس، الجزائر، 1433هـ/ 2012م.

السعدي، غازي.

14- الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، دار الجليل للنشر، عمان، ط1، 1994.

السعيد يوسف، سوزان.

15- المرأة في الشريعة اليهودية حقوقها وواجباتها، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2005م.

السيوطي، ثروت أنيس.

16- نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين، القاهرة، دار الكتاب العربي، دت.

الشامي، رشاد عبد الله.

17- الرموز الدينية في اليهودية، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، مصر، ضمن سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد 11، سنة 2000م.

الشيخ الأمين، عوض الله.

18- تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وآثارها الحضارية حتى القرن السادس عشر الميلادي، ضمن كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1404هـ/ 1984م.

الكعاك، عثمان.

19- الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط، معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة، 1965م

المدني، أحمد توفيق.

20- حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، ضمن كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.

المسيري، عبد الوهاب.

21- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الثاني، الجزء الأول، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، 2006م.

الموحى، عبد الرزاق رحيم صلال.

22- العبادات في الأديان السماوية، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، 2001م.

الميلي، مبارك بن محمد.

23- تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1976م.

الهواري، محمد.

24- الصوم في اليهودية، دار هاني للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1408هـ/1988م.

بحر، عبد المجيد محمد.

25- اليهود في الأندلس، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكتاب العربي، 1970م.

براهامي، نصر الدين، نص: سيدي محمد نقادي.

26- تلمسان الذاكرة، منشورات ثالة، الجزائر، بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007م.

بشاري، لطيفة.

27- العلاقات التجارية للمغرب الأوسط في عهد إمارة بني عبد الواد من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين (13-16م)، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر.

بشتاوي، عادل سعيد.

28- الأندلسيون المواركة—دراسة في تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة-، الطبعة الأولى، مطابع انترناشيونال برس، القاهرة، 1403هـ/1983م.

بشير، عبد الرحمان.

29- اليهود في المغرب العربي (22-462م/642-1080م)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2001م.

بن أشنهو، عبد الحميد.

30- الملك العالم يوبا الثاني وزوجته كليوباترة سيليني، وزارة الأخبار والثقافة، الجزائر، 1971م.

بن خروف، عمار.

31- العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري/السادس عشر ميلادي، الجزء الثاني، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.

بوتشيش، إبراهيم القادري.

32- مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، بيروت ، دار الطليعة، الطبعة الأولى، حزيران (يونيو) 1998م.

33- حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي، بيروت، دار الطليعة، الطبعة الأولى، يونيو 2002م.

بوزياني، الدراجي.

34- نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م.

بوعزيز، يحي.

35- الموجز في تاريخ الجزائر، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1965م.

36- وهران، منشورات وزارة الثقافة، مديرية الدراسات التاريخية وإحياء التراث، الجزائر، 1981م

بوعمامة، فاطمة.

37- اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن هجري، الموافق للرابع عشر والخامس عشر ميلاديين، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1432هـ/2011م.

جواد، علي.

38- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1976م.

حساني، مختار.

39- تاريخ الدولة الزيانية، دار الحضارة، الجزائر، الطبعة الأولى، 2007م.

حسن، إبراهيم حسن.

40- النظم الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثالثة، 1962م.

خان، ظفر الإسلام.

41- التلمود تاريخه وتعاليمه، دار النفائس، بيروت، ط2، 1404هـ/ 1975م.

دهينة، عطاء الله.

42- الحياة الاقتصادية والاجتماعية لدولة بني زيان، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ،ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

رزوق، أسعد.

43- التلمود والصهيونية، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، 1970م.

ريه، عطا علي محمد شحاته.

44- اليهود في المغرب الأقصى في عهد المرينيين والوطاسيين، دار الكلمة، دمشق، الطبعة الأولى، 1999م.

زبادية، عبد القادر.

45- مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين (1493-1591م)، الجزائر، 1971م.

زغروت، فتحي.

46- الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين (المغرب والأندلس)، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1426هـ/2005م.

زيتون، عادل.

47- العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار دمشق للطباعة والنشر، ط1، 1980م.

سعد الله، أبو القاسم.

48- تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1998م.

سعد الله، فوزي.

49- يهود الجزائر في مجالس الغناء والطرب، دار قرطبة، الجزائر، 1430هـ/2010م.

50- يهود الجزائر -هؤلاء المجهولون-، الجزء الأول، دار قرطبة، الجزائر، 1426هـ/2005م.

سعيدان، عمر.

51- علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن الرابع عشر ميلادي، دراسة ووثائق (رسائل ومعاهدات) وتعاليق وتحاليل، منشورات سعيدان، سوسة، الجمهورية التونسية، نوفمبر 2002م،

سعيدوني، ناصر الدين.

52- النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية، (1800-1830)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م.

شاوش، محمد بن رمضان.

53- باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ج2، 2011م.

شلبي، أحمد.

54- مقارنة الأديان اليهودية، مكتبة النهضة، مصر، الطبعة الثامنة، 1988م.

شنيتي، محمد البشير.

55- التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

صابر، أحمد طه.

56- نظام الأسرة في اليهودية والنصرانية والإسلام، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2000م.

طالبي، محمد.

57- إشعاع الحضارة المغربية وتأثيرها على الحضارة الغربية، ضمن كتاب تاريخ إفريقيا العام، مج4، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام، اليونسكو، باريس، 1988م.

ظاظا، حسن.

58- الفكر الديني اليهودي، أطواره ومذاهبه، دار العلوم، بيروت، الطبعة الثانية، 1407هـ/1987م.

عاشور، محمد، وظاظا، حسن.

59- اليهود ليسوا تجارا بالنشأة، دار الاتحاد العربي للطباعة، مصر، 1975م.

عبدلي، لخضر.

60- التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد، ابن النديم للنشر والتوزيع، وهران، ط1، 2011م.

علوي، حسن حافظي.

61- سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، وزارة الشؤون والأوقاف الإسلامية، المملكة المغربية، 1418هـ/1997م.

عويس، عبد الحليم.

62- دولة بني حماد، صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثانية، 1411هـ/ 1991م.

غانم، محمد الصغير.

63- التوسع الفينيقي في البحر الأبيض المتوسط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1979م.

غطاس، عائشة.

64- الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830م، مقاربة اجتماعية-اقتصادية، منشورات ANEP، الجزائر، 2007م.

فرج، محمود فرج.

65- إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2007م.

زكي، فهمي نعيم.

66- طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973م.

فيلالي، عبد العزيز.

67- دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م.

68- تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر، الجزائر، دط، 2007م.

قاسم، عبده قاسم.

69- اليهود في مصر، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، 1413هـ/1993م.

قنديل، عبد الرزاق أحمد.

70- الأثر الإسلامي في الفكر اليهودي، دار التراث، القاهرة، 1404هـ/1984م.

كحالة، عمر رضا.

71- الزواج، ج 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1400هـ/1980م.

كواتي، مسعود.

72- اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط الموحدين، دار هومة للنشر، الجزائر، 2000م.

مصالحة، عمر أمين.

73- التلمود المرجعية اليهودية للتشريعات الدينية والاجتماعية، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 2006م.

موسى، عز الدين أحمد.

74- النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس هجري، دار الشروق، بيروت، الطبعة الأولى، 1413هـ/1993م.

نويهض، عادل.

75- معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1400هـ/1980م.

هنداوي، إبراهيم موسى.

76- الأثر العربي في الفكر اليهودي، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، 1963م.

ولفنسون، إسرائيل.

77- موسى بن ميمون، حياته ومصنفاته، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ط2، 1355هـ/1936م.

خامساً: الكتب المترجمة

أشباخ، يوسف.

1- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ج1، ترجمة وتعليق عبد الله عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1359هـ/1940م.

الزعفراني، حاييم.

2- ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب –تاريخ، ثقافة، دين-، ترجمة أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1987م.

3- يهود الأندلس والمغرب، ترجمة أحمد شحلان، مرسم للنشر، الرباط، المغرب، 2000م.

الهادي روجي إدريس.

4- الدولة الصنهاجية، ج2، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1992م

بالنشيا، آنخل جنثالث.

5- تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمه عن الإسبانية: حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة النهضة، ط1، 1955م.

برنشفيك، روبار.

6- تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13إلى نهاية القرن15م، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1988م.

بليل، رشيد.

7- قصور قورارة وأولياؤها الصالحون في المأثور الشفاهي والمناقب والأخبار المحلية، ترجمة عبد الحميد بورايو، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، الجزائر، 2008م.

بوستو، غييرمو غوثالبيس.

8- الموريسكيون في المغرب، ترجمة: مروة محمد إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005م.

جواتياين، سلومو ديبفريتز.

9- دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تعريب وتحقيق عطية القوصي، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الأولى، 1980م.

كاربخال، مارمول.

10- إفريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، محمد زنيبر، أحمد التوفيق، أحمد بنجلون، دار نشر المعرفة، الرباط، ج2، 1408-1409هـ/1988-1989م.

لوتورنو، روجيه.

11- فاس في عصر بني مرين، ترجمة نقولا زيادة، مكتبة لبنان، بيروت، 1967م.

مارتي، بول.

12- القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني وقصة الاحتلال الفرنسي للمنطقة، ترجمة وتحقيق محمد محمود ودادي، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا، 2001م.

سادساً: الرسائل الجامعية

بلوط، عمر.

1- الفنادق في مدينة تلمسان الزيانية، رسالة لنيل شهادة الماجستير، تخصص آثار إسلامية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، إشراف أ.د.لعرج عبد العزيز، 2004/2003م.

بن موسى، جميلة.

2- تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي وبلاد السودان الغربي من القرن الثالث إلى الخامس هجري، رسالة ماجستير، تخصص: التاريخ الوسيط، إشراف: د.إبراهيم فخار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 1421-1422هـ/2000-2001م.

حمزة، عبد الصمد.

3- اقتصاد المغازي عند مؤرخي الغرب الإسلامي، مذكرة ماجستير، تخصص: تاريخ وحضارة، إشراف: أ.د. محمد الأمين بلغيث، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 1431-1432هـ /2010-2011م.

شريف، عبد القادر.

4- النصارى ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية دولة الموحدين (21-668هـ/641-1269م)، مذكرة لنيل درجة الماجستير، تخصص تاريخ وسيط، إشراف:د. محمد بن عميرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 1423-1424هـ/2003-2004م.

طوبال، نجوى.

5- طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر ما بين (1700-1830م) من خلال سجلات المحاكم الشرعية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تاريخ حديث، إشراف: د.عائشة غطاس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 1424-1425هـ/2004-2005م.

قومي، محمد.

6- دور الطائفة اليهودية بتوات خلال القرنين 9-10هـ/15-16م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، إشراف:أ.د.غازي الشمري، المدرسة الدكتورالية (الدين والمجتمع)، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران2، السنة الجامعية 1434-1435هـ/ 2013-2014م.

مزاري، توفيق عبد الصمد.

7- الجهاد البحري في عهدي المرابطين والموحدين، أطروحة دكتوراه في العلوم الإسلامية، إشراف أ.د. بلغيث محمد الأمين، تخصص تاريخ وحضارة، جامعة الجزائر،1428-1429هـ /2007-2008م.

سابعا: الدوريات والملتقيات العربية

بلجوزي، بوعبد الله.

1- ميناء مستغانم ودوره في تطور المدينة خلال الفترة الإسلامية، مداخلة منشورة في كتاب الملتقى الدولي "الموانئ الجزائرية عبر العصور "سلما وحربا"" المنعقد يومي 07-08 ديسمبر 2009 بالجزائر العاصمة، تنظيم مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط (الجزائر) إلى نهاية العهد العثماني- جامعة الجزائر، مطبعة دار هومة، الجزائر.

بن موسى، جميلة.

2- اليهود وتجارة ذهب السودان الغربي، حولية المؤرخ العربي، العدد الأول، 2002م، المركز الوطني للدراسات والبحث في تاريخ الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر.

بوتشيش، إبراهيم القادري.

3- المرابطون وسياسة التسامح مع نصارى الأندلس، مجلة دراسات أندلسية، تونس، العدد 11، رجب 1414هـ/1994م.

بوعزيز، يحي.

4- طرق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأوربيون خلال القرن التاسع عشر، مجلة الثقافة، السنة العاشرة، العدد 59، شوال/ ذو القعدة 1400هـ/ سبتمبر/أكتوبر 1980م، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1980م.

بولقطيب، الحسين.

5- الحياة الاقتصادية للحلف القبلي المصمودي، مجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، العدد 18، السنة الخامسة، شتاء عام 1993م/1413هـ.

بونو، سلفاتوري.

6- وضع الجاليات الأوربية في المغرب، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 25، جمادى(1-2) 1395هـ/ ماي-جوان 1975م، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر.

بيلامي، وداد.

7- الشركات التجارية اليهودية في إيالة الجزائر (1686-1826)، مقال مطبوع ضمن كتاب أعمال المؤتمر الثاني عشر للدراسات العثمانية وبحوث أخرى، المنعقد بتونس في 31 أوت 2006، الجزء الأول، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، نوفمبر/تشرين الثاني 2007م.

حسن، محمد.

8- المرسى الكبير بوهران ودوره في الملاحة المتوسطية من النشأة إلى الاحتلال الإسباني (904-1509م)، كتاب الملتقى الدولي "الموانئ الجزائرية عبر العصور "سلما وحربا"" المنعقد يومي 07-08 ديسمبر 2009م بالجزائر العاصمة، تنظيم مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط (الجزائر) إلى نهاية العهد العثماني –جامعة الجزائر، منشورات دار هومة، الجزائر.

حمزة، عبد الصمد.

9- النظام المالي لدولتي المرابطين والموحدين، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، العدد 06، ديسمبر 2012م، جامعة زيان عاشور بالجلفة.

مبارك، فضيلة.

10- صحوة المغيلي وثورته ضد يهود تمنطيط، ضمن أعمال الملتقى الوطني الرابع حول "إسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية إبان العصر الحديث"جامعة أدرار، 19-20 أفريل 2010م.

مقلاتي، عبد الله.

11- موقف الشيخ المغيلي من يهود توات، مجلة الحقيقة، عدد 06، 2005م، جامعة أدرار.

المنوني، محمد.

12- التيارات الفكرية في المغرب المريني، مجلة الثقافة المغربية، العدد 5، المغرب، 1391هـ/1971م.

الودغيري، عبد العلي.

13- ملامح من التأثير المغربيّ في الحركة الإصلاحية في النيجر، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، العدد 11، 1429هـ/جويلية 1999م.

ثامنا: المراجع الأجنبية

Abitbol, Michel.

1-Le passé d'une discorde, Juifs et Arabes depuis le VII siècle à nous jours, Librairie Académique Perrin, Paris, 1999.

Abrahams, Israël.

2-Jewish life in the middle ages, The Macmillan Company, New York, 1896.

Allouche, Jean Luc- et Laloum, Jean.

3-Les Juifs d'Algérie, Images et textes, Editions du Scribe, Paris, 1978.

Allouche, Joëlle-Benayoun et Doris Bensimon,

4-Les Juifs d'Algérie, hier et aujourd'hui, Mémoire et identité, Bibliothèque historique Privat, Toulouse, France, 1989

Ashtor, Eliyahu,

5-The Jews of Moslem Spain, Translated from the Hebrew by Aaron Klein and Jenny Machlowitz Klein, The Jewish Publication Society of America, PHILADELPHIA, USA, 1984, vol3.

Ayoun, Richard et Cohen Bernard.

6-Les Juifs d'Algérie, deux mille ans d'histoire, Editions Jean-Claude Lattès, Paris, 1982.

Ayoun, Richard.

7-Algérie et Tunisie : du XIIIe au XXe siècle, dans le livre : Les Juifs d'Espagne, histoire d'une diasporsa (1492-1992) Ouvrage dirigé par Henry Méchoulan, librairie européenne des idées, 1992.

Barges, Jean Joseph Léandre.

8-Tlemcen, ancienne capitale du royaume de ce nom, Imprimerie orientale de Marius Nicolas, Paris, 1859.

Bel, Alfred.

9-Tlemcen et ses environs guide illustré du touriste, Toulouse, sd.

Bel-Ange, Norbert.

10-Les Juifs de Mostaganem, dans la collection « Histoire et perspectives méditerranéennes », Editions l'Harmattan, Paris, 1990.

Belhamissi, Moulay.

11-Histoire de Mostaganem (des origines à l'occupation française), S.N.E.D, Alger, 1976.

Bouziane-Oufriha, Fatima-Zohra,

12-Tlemcen capitale musulmane le siècle d'or du Maghreb central, Essai, Editions Dalimen, dans le cadre de "Tlemcen capitale de la culture islamique 2011", 2011

Brochier, André

13-Dictionnaire des communes, douars et centres d'Algérie sous l'administration civile Française, AMAROM, Aix-en-Provence, France, 2016

Brunschvig, Robert.

14- Deux récits de voyages inédits en Afrique du Nord, Paris, 1936.

Cahen, Claude.

15- Histoire des Juifs de l'Afrique septentrionale, extrait du recueil des notices et mémoires de la société de la province de Constantine, Constantine, 1867.

Chantel De la Véronne.

16- Relations entre Oran et Tlemcen dans la première partie du XVI^{e} siècle, Librairie orientaliste Paul Geuthner S.A, Paris, 1983,

Chouraqui, André.

17- La saga des Juifs en Afrique du nord, Librairie Hachette, Paris, 1972.

18- Marche vers l'occident, les juifs d'Afrique du nord, paris, PUF, 1952,

De Beylie, Genéral. L.

19- La Kalaa des Beni Hammad –une capitale berbère de l'Afrique du Nord- au XI^{e} Siècle, Ernest Lerous Editeur, Paris, 1909.

De Mas Latrie, M.L.

20- Traité de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des Chrétiens avec les Arabes de l'Afrique septentrionale au Moyen Age, Henri Plon Imprimerie-Editeur, Paris, 1866.

Dhina, Atallah.

21- Le Royaume Abdelouadide à l'époque d'Abou Hammou Moussa 1er et d'Abou Tachfin 1er, OPU, Alger, sd.

22-Les états de l’occident Musulman aux XIIIe, XIVe et XVe siècles –Institutions gouvernementales et administratives-, Office des publications universitaires, Alger, 1984.

Dubnov, Semon.

23- Semon Dubnov, History of The Jews From Roman Empire to The early Mediaval Period, translated from the Russian by Moshe Spiegel, Library of Congress, NEW YORK, USA,1968.

Dufourcq, Charles-Emmanuel et Dalché, J.Gautier .

24-Histoire économique et sociale de l’Espagne chrétienne au Moyen Age, Librairie Armand Colin, Paris, 1976

Dufourcq, Charles-Emmanuel.

25-L'Espagne catalane et le Maghreb au XIII et XIV^e Siècles –De la bataille de Las Navas de Tolosa(1212 j.c) à l’avènement du Sultan mérinide Abou-l-Hasan (1313 j.c), Presses Universitaires de France, Paris, 1966.

26-Les relations de la péninsule Ibérique et l'Afrique du nord au XIV siècle, anuario de estudios medievales, instituto de historia mediaval de espana, Bercelona, 1970-1971.

27-La vie quotidienne dans les ports méditerranéens au Moyen Age (Provence-Languedoc-Catalogne), Librairie Hachette, FRANCE, 1975.

28-L’ibérie chrétienne et le Maghreb XIIe-XVe siècle, Variorum, Hampshire, Great Britain, 1990.

Eisenbeth, Maurice.

29-Les juifs de l'Afrique du Nord –Démographie et onomastique, Imprimerie du Lycee, Alger, 1936.

30-Les juifs en Algérie, esquisse historique depuis les origines jusqu'à nos jours, Extrait de L'encyclopédie Coloniale et Maritime, Paris, sd,

Garrot, Henri.

31-Les Juifs Algériens-Leurs origines-, Librairie Louis Relin, Alger, 1898.

Grayzel, Solomon.

32-A history of Jews, USA, 1984.

Henri Jahier et A. Fingerhuth.

33- Extrait du « Maguen Aboth » « Le Bouclier des Pères » du Grand Rabbin d'Alger, Simeon ben Zemah Duran, Imprémerie Abécé, Paris, 1955.

Hirschberg, H.Z (J.W).

34-A History of the Jews in North Africa, Volume 1 -from the antiquity to the sixteenth century-, Leiden. E.J. Brill, 1974

Iancu-Agou, Daniele.

35-Les Juifs méditerranéens au Moyen Âge, culture et prosopographie Séminaire de l'année universitaire 2005-2006, avec la collaboration d'Elie Nicolas, Les Editions du CERF, Paris, 2010.

36- Les relations entre les Juifs de Marseille et les communautés Juives d'Afrique du Nord à la fin du XV^{e} Siècle, in Les relations intercommunautaires Juives en méditerranée occidentale XIII^{e}-XX^{e}

Siècle, Editions du centre nationale de la recherche scientifique, Paris, 1984,

Kaddache, Mahfoud.

37-L'Algérie des Algériens de la préhistoire à 1954, EDIF 2000, ALGER, 2003, P 300

Klein, Henri.

38-Feuillets d'El-Djezaïr, Imprimerie F-Fontana , Alger, 1937.

Leroy, Béatrice.

39-Une famille Sépharades à travers les siècles: Les Menirs (XII^{e}-XXI^{e} siècles), Editions du Centre National de la Recherche Scientifique, Paris, 1985.

Malka, Victor.

40-Les Juifs Sépharades, série "que sais-je ?", P.U.F, Paris, Mars 1991.

Marçais, George.

41-Tlemcen, les villes d'arts célèbre, Paris, Librairie Renouard, 1950 .

Oliel, Jacob.

42-Les Juifs au Sahara, le Touat au Moyen Âge, CNRS Editions, Paris, 1994.

43-Les Juifs de Colomb-Béchar (1903-1962), Alpha graphic, Orleans, France, 1999.

Serfati, S. Nicol.

44-Les courtisans Juifs des Sultans Marocains 13e-18eme siècle – hommes politiques et hauts dignitaires XIIIe-XVIIIe Siècles, Préface de Haïm Zafrani, Editions Bouchène, Saint Denis, France, 1999.

Slousch, Nahum.

45-Travels in North Africa, The Jewish Publication Society of America, Philadelphia, 1927.

Taledano, Joseph.

46-Les Juifs Magrébins, Editions Brepols, Belgique, 1988.

Valensi, Lucette.

47-Juifs et Musulmans en Algérie VIIe-XX Siècle, Edition Tallendier, Paris, 2016.

Verlinden, Charles et Renouard Yves.

48-L'esclavage dans l'Europe médiévale. Tome I. Péninsule Ibérique-France. In: Bulletin Hispanique, T 58, N°3, 1956.

Zafrani, Haïm.

49- Juifs d'Andalousie et du Maghreb, Maisonneuve et Larousse, Paris,1996.

50-Les Juifs du Maroc, vie sociale, économique et religieuse, Etudes de Taqqanot et Responsa, Librairie Paul Geuthner, Paris, 1972.

51-Deux mille ans de vie Juive au Maroc, histoire et culture, religion et magie, A. Retnani, Editions, EDDIF, Casablanca, 2000.

52-Juifs d'Andalousie et du Maghreb, Maisonneuve et Larousse, Paris,1996.

تاسعا: الدوريات والملتقيات الأجنبية

Brosselard, Charles.

1-Coudée royale, in Revue Africaine, T4, N°19, Année 1859-1860, OPU, Alger, 1860

Darmon, Raoul.

2-Origine et constitution de la communauté Israélite de Tlemcen, in Revue Africaine, OPU, Alger, V14, N°79, 1870.

Dufourcq, Charles-Emmanuel.

3-Les communications entre les royaumes ibériques et les pays de l'occident musulman dans les derniers siècles du Moyen Age, extrait du colloque « les communications dans la péninsule ibérique au Moyen Age », Université de Pau, 28-29 Mars 1980, Editions du centre national de la recherche scientifique, Paris, France, 1981.

4-Prix et niveaux de vie dans les pays catalans et maghribins à la fin du XII et au début du XIV siècles, extrait de la Revue LE MOYEN AGE N°3-4, 1965, ALGER.

Eben, Haezer.

5-Le code rabbiniqe Traduction de M.Sautayra et M.Charleville, in Revue Africaine, vol 13, année 1869, OPU, Alger.

Idriss, H.R.

6-La société au Maghreb après la disparition des Almohades, dans le livre de l'Histoire générale de L'Afrique (Livre IV : L'Afrique du XIIe au XVI siècle), Publié par l'UNESCO, Paris, 2011, P 134.

Llabador, Francis.

7-Recherches d'Archéolgie musulmane : Les ruines de Taount, bourgade berbère du Maghreb central, in Revue Africaine, V 88, année 1944, OPU, Alger.

De Haedo, Fray Diego.

8-Topographia historia general de Argel, trad en Français par A.Berbrugger et MM.Monireau, in Revue Africaine, N°14, 1870, OPU, Alger.

Loeb, Isidore.

9-Réflexions sur les Juifs, in Revue des études juives, La librairie A. Durlacher, Paris, T28, 1894

Malka, Elie.

10-Conditions et statut légal des Juifs au Maroc à la fin du 15e siècle, in Revue des Etudes Islamiques, Année 1953, Tome XXI, Librairie orientaliste Paul Geuthner, Paris.(M.Film N°8-G-11881, BNF)

Rouche, Issac.

11-Un grand Rabbin à Tlemcen au XVeme siècle, in Bulletin de la société de géographie et d'archéologie d'Oran, Société Anonyme

des papeteries et imprimeries, Oran, 50eme Année, Tome 57, 1936.(M.Film N°8-G-1198, BNF)

Simon Ben Semah Duran,

12-Réponse 393, in Abitbol.M, Juifs Maghrébins et commerce transsaharien du XIII au XVe siècle, in Revue Française d'outre-mer, Paris, 1979.

Vincent Monteil,

13-Problème du Sahara occidental-Juifs et Judaisée, in Hesperis N°XXXVIII, T 38, Année 1951, Librairie Larose, Paris. (M.Film N° 4-03-1358, BNF).

14-Le courrier de Tlemcen, Vendredi le 03 Mars 1893, Trente-troisième année, N°1675, Imprimerie veuve des Ageux, Tlemcen, .(BNF)

عاشرًا: الموسوعات

1-المنهل قاموس فرنسي-عربي، سهيل إدريس، دار الآداب، بيروت، الطبعة الثالثة والعشرون، 1999م.

2- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة، 1426هـ/ 2005م،

3-Jewish Encyclopedia, Keterpress, Juresalem, 1901-1910.

4-Encyclopedia of Islam, nouvelle edition, G.-P. Maisonneuve et Larose S.A, Paris, Vol 2, Part 2.

الحادي عشر: المواقع الالكترونية

www.Nemours-Ghazaouat.com

الفهارس العامة

أ-فهرس الآيات والأحاديث:

-الآيات:

"قاتلوا..صاغرون": سورة التوبة، الآية29: 26، 137.

-الأحاديث:

"إنما بذلوا...كأموالنا": 26.

"بعثت...فهو منهم": 166.

"سُنُّوا بهم سنة أهل الكتاب": 26.

ب-فهرس الأعلام والشخصيات:

-أ-

-ب-

ج-فهرس الشعوب والقبائل:

-ك-

-م-

د-فهرس الأماكن والبلدان:

-ت-

-ج-

-ن-

فهرس الموضوعات:


الملخص

نشأت الدولة الزيانية في بلاد المغرب الأوسط وارثة مناطق نفوذها عن الدولة الموحدية التي آذنت بزوال امبراطوية مترامية الأطراف حكمت البلاد من المحيط الأطلسي إلى طرابلس إضافة إلى العدوة الأندلسية، وحافظ الخلفاء من بني زيان على دولتهم وناضلوا من أجل إبقاء رايتها في المغرب الأوسط رغم ما كابدوه من عناء وحصار وتشريد وقتل ومآس، فدامت دولتهم أكثر من ثلاثة قرون حتى جاءها وعد الله غير المكذوب، وانمحى اسمها ورسمها من هذه المنطقة.

ولئن ضمت هذه الدولة في صفوفها كثيرا من البربر من قبيل بني عبد الواد، وجانبا من العرب المتحالفين معهم، فقد كان لأهل الذمة بينهم حضور، وتأثير، طيلة مدة سيطرتها على المغرب الأوسط، ويرجع تواجد هؤلاء إلى عصور متقدمة عن الفتح الإسلامي للمنطقة، إذ نجد لهم حضورا في كل كتب التاريخ قبل هذه الحقبة، رغم أن هذه المؤلفات لا تحدد ولا تتفق على تاريخ محدد لدخولهم إلى البلاد، لكنهم عاصروا فترة السيطرة الرومانية والبيزنطية، ووجدهم الفاتحون المسلمون في عدة مناطق، كما كان لهم تأثير في عصر الدول المستقلة التي راعت مصالحهم وأقرت لهم حقوقهم المكفولة شرعا، وبعد أن وجدوا في الفترة التي شهدت تحكم القبائل الصنهاجية نوعا من الحرية، عرفوا تضييقا من لدن أوائل الموحدين الذين لاحقوهم وألزموهم بالإسلام أو الهجرة، هذا الحال عرف انفراجا من متأخري خلفاء الدولة الموحدية.

وإذا كان حضور الذميين خاصة اليهود منهم متميزا في بلاط المرينيين أو الحفصيين، فإن الأمر كان أقل إن لم نقل نادرا في حكم الزيانيين، الذين استنكفوا عن استعمالهم، في المناصب السيادية، فلم يؤثر عنهم استوزار أي ذمي طيلة عهدهم، وأقصى ما حصل عليه النصارى أو اليهود في عصر الدولة الزيانية هو تقلد منصب سفراء أو قناصل، كما استعملهم الزيانيون في بعض الأعمال العسكرية أو التجسسية، وفي تحصيل الضرائب في فترات متأخرة من عمر الدولة.

أما من الجانب الاقتصادي فإن اليهود الذين لم يكن لهم اهتمام كبير بالنشاط الزراعي غير أنهم نشطوا في مختلف الصناعات والحرف وأجادوها، خاصة الذين جلبوها معهم من بلاد الأندلس بعد تهجيرهم منها. ونشط اليهود والنصارى على حد السواء في التجارة، فأسسوا الشركات التجارية، وتركز كثير من المسيحيين في المدن الساحلية خاصة التي تحتوي على موانئ، لمزاولة الاستيراد والتصدير من وإلى الدولة الزيانية التي أسست لهم نظاما جمركيا محكما، وحرص أهل الذمة على مزاولة كل نشاط تجاري يدر عليهم أرباحا مهما كانت الصعاب المحدقة به.

أما اجتماعيا فإن الهجرات المتوالية لليهود من أوربا آنذاك إلى المغرب الإسلامي عامة والأوسط منه خاصة، أحدثت تباينا بين اليهود الأهالي والمهاجرين الجدد، الذين استطاعوا في كثير من الأحايين تولي الرئاسة الاجتماعية والدينية لبني جلدتهم واندمجوا اجتماعيا مع بعضهم البعض، وانتشر اليهود في كثير من المدن الزيانية سواء منها الساحلية أو الداخلية أو حتى الصحراوية وسكنوا أحياء خاصة بهم كما هي عادتهم في كل البلاد، وحافظوا على عاداتهم الموروثة أو المستقاة من تشريعاتهم، في اللباس والطعام والزواج والطلاق، والتنظيمات الأسرية المختلفة، كما نقلوا عادات أهل البلاد، وأورثوهم بعضا من تقاليدهم، لكنهم التزموا بتشريعاتهم فيما يخص التقويم والصوم، والاحتفالات التي دخلت عليها احتفالات بأعياد ومناسبات جديدة شاركوا فيها سكان المغرب الإسلامي.

وفي الجانب الثقافي، ركز اليهود على تنظيم العملية التعليمية والتنظير لمناهج التعليم المختلفة، وظهر منهم أصحاب النظريات الجديدة في سبل وطرائق التعليم، وتأسست المدارس وتنوعت خاصة ما تعلق منها بنشر التعاليم التوراتية وشرح وتفسير النصوص التشريعية وتكوين التلاميذ والعلماء ليصبحوا أحبارا ويحافظوا على استمرارية التكوين في المجال الديني. وعرفت علوم التفسير والفقه والتشريع نقلة نوعية بظهور فقهاء ومفسرين ومشرعين، أثْروا الثقافة اليهودية بمزيد من النصوص وحرصوا على إظهارها وإحياء ما انطمس منها، وأُلّفت الكتب في الأدب والفلسفة والطب وغيرها، من طرف علماء يهود ذاع صيتهم في العالم خاصة لدى الطوائف اليهودية.

Summary :

The Zianids nation rose in the Middle Maghreb inheriting its expansions from the Almohades nation which permitted the collapse of a vast empire that roled from the Atlantic Ocean to Tripoli, added to that the Andalusian part.

The caliphs from the Zianids preserved and maintained their nation and fought for its existence in the Middle Maghreb though they suffered from hardship, siege, displacement, murder…As a result, their state lasted more than three centuries till it was vanished from that region.

During its control over the Middle Maghreb, that statehood gatherd under its rows a lot of Barbarians and some of their Arab allies without neglecting the presence and influence of the Dhemmis, their existence was due to previous ages from the Islamic conquering of the region. In fact, we can find them in all historical books before that period. Though these books don't determine or agree on specific date when they accessed to the state. But they actually witnessed all the period of the Bizantinian and Roman control, also the Muslim conquerors found them in many places. They also had influence during the independent states age which watched their interests and admitted their legal rights. As they found some kind of freedom during the Senhagian tribes control, they knew some pressure from primitive Almohades who traced them and obliged them to choose either Islam or migration. This situation got better by the late caliphs

of the Amohades, and if the presence of the Jews was remarked and special in the court of the Marinians and Hafsids, it was less if not rare in the Zianides rule who dispensed to use them in lordship or ministry posts throughout their reign. The maximum thing the Jews and Christians got was being ambassadors or consuls as well as being used by the Zianides in military or espionage posts or in collecting taxes by the late period of the state.

Concerning the economic side, the Jews didn't use to have a big interest in agriculture activity, but they were skillful in various industries and crafts especially the ones they bought with them from Andalusia after being displaced from. Both Jews and Christians were active in commerce. Thus, they founded commercial companies, many Christians settled in coastal cities which had ports in order to import and export from and to the Zianides who established a strict customs system. Dhemmis insisted on practicing any commercial activities that could bring profits and gains despite difficulties end risks.

On the social side, the continuous migrations of Jews from Europe at that time to Islamic Maghreb generally and specifically the middle one showed a difference between the native Jews and the new comers, who were able to take presidency; social, religious..of their race and adopted each other socially. The Jews spread in many of the Zianides cities, either the coastal or internal ones and even the ones in the desert. They lived in districts of their own across all the nation,

they preserved and kept their traditions that were inherited or taken from their legislations in clothing, food, marriage and divorce and different family regulations. They also took some of the native traditions and bequeathed them some of their legislations concerning calendar and fast and the celebrations that witnessed celebrations about new feasts and occasions they shared with the Islamic Maghreb inhabitants.

Concerning the cultural side, the Jews focused on organizing the educational process and the theorizing of different educational. There appeared among them who brought new theories in the methods and styles of teaching. Schools were established and were diverse especially the ones related to spreading Torah regulations and explaining legislative texts as well as training students and scientists to become Toners who could preserve the continuity of genesis in the religious field. The sciences of interpretation, jurisprudence and legislation knew a qualitative transformation with the appearance of interpreters, jurists and legislators who enriched the Jewish culture with more texts and insisted on revealing and commemorating what blurred from it. Besides, books in literature, philosophy, medicine and other were authored by Jewish scientists who become well-known all over the world especially over the Jewish groups.

ملخص

كان لأهل الذمة حضور في الدولة الزيانية، وتأثير، طيلة مدة سيطرتها على المغرب الأوسط، ويرجع تواجد هؤلاء إلى عصور متقدمة عن الفتح الإسلامي للمنطقة، إذ نجد لهم حضورا في كل كتب التاريخ قبل هذه الحقبة، رغم أن هذه المؤلفات لا تحدد ولا تتفق على تاريخ محدد لدخولهم إلى البلاد، لكنهم عاصروا فترة السيطرة الرومانية والبيزنطية، ووجدهم الفاتحون المسلمون في عدة مناطق، كما كان لهم تأثير في عصر الدول المستقلة التي راعت مصالحهم وأقرت لهم حقوقهم المكفولة شرعا، وبعد أن وجدوا في الفترة التي شهدت تحكم القبائل الصنهاجية نوعا من الحرية، عرفوا تضييقا من لدن أوائل الموحدين الذين لاحقوهم وألزموهم بالإسلام أو الهجرة، هذا الحال عرف انفراجا من متأخري خلفاء الدولة الموحدية. ولم يؤثر عن الدولة الزيانية استوزار أي ذمي طيلة عهدهم، وأقصى ما حصل عليه النصارى أو اليهود في عصر الدولة الزيانية هو تقلد منصب سفراء أو قناصل، وفي تحصيل الضرائب في فترات متأخرة من عمر الدولة.

الكلمات المفتاحية:

تلمسان؛ الزيانيون؛ أهل الذمة؛ اليهود؛ النصارى؛ السفراء؛ الدولة الزيانية؛ التجارة؛ الصناعة؛ العلوم.

نوقشت يوم 17 نوفمبر 2017